هذه حاشية على متن الهمزية مسماة
بالفتوحات الاحمدية بالمنح المحمدية
تاليف العالم العلامة الحبر البحر
الفهامة الشيخ سليمان
الجمل نفعنا الله بعلومه
والمسلمين اجمعين
آمين
م

هذه حاشية على متن الهمزية مسماة
بالفتوحات الاحمدية بالمنح المحمدية
تاليف العالم العلامة الحبر البحر
الفهامة الشيخ سليمان
الجمل نفعنا الله بعلومه
والمسلمين اجمعين
آمين
م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فضل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء والمرسلين
واختصه بشمائل ومعجزات لم تجتمع لغيره من سائر المخلوقين واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها فى سلك اهل عناياته
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المخصوص منه بخواص هباته صلى
الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زائغ وتحريفاته
وهداة الخلق الى الصراط المستقيم بايضاح كلياته وجزئياته صلاة
وسلاما دائمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه واهل طاعاته اما بعد
فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد ان كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تحصى واحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان المادحين لجنابه
العلى والواصفين لكماله الجلى لم يصلوا الا الى قل من كل لا حد لنهايته
فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء كل ما يتعين من ذلك
كيف وآى الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة
من صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وانه لو بالغ الاولون والآخرون
فى احصاء مناقبه لعجزوا عن احصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه
قال الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعر المتقدمين مدحه صلى الله
عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانى
وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل
غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قليلا من
كثير لكن المتاخرون رأوا ان مدحه عليه الصلاة والسلام من اعظم القرب

وان

وإن كان الوصول الى الكنه لا يستطاع لاجل التعلق بجنابه الشريف
والتبرك بخدمة قدره المنيف فاكثروا من مدحه وتفننوا فيه ومن
ابلغ ما مدح به صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن
ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع ما صاغه صوغ
التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف الكامل الهمام
المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وافصح
الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري من قصيدته
الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المعاني النجيبة الاوضاع الغريبة
النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج على منوالها ولا وصل الى على حسنها
وكمالها احد وقد شرحت شروحا كثيرة فقد شرحها الامام الجوجري
بشرحين وشرحها ابن قطيع المالكي والشمس الدلجي والشيخ ابو الفضل
المالكي والشيخ احمد بن عبد الحق السنباطي والعارف بالله تعالى السيد
مصطفى البكري الصديقي والشيخ الفاضل فريد عصره الامام ابن حجر
الهيتمي المكي وشرحه احسن شروحها وانفعها لكن رايت فيه طولا تتقاصر
عنه الهمم القاصرة فاحببت ان التقط منه بعض عبارات تتعلق
بحل المتن وتقربه للكسالى وربما زدت على عباراته بعض عبارات من
تقرير شيخنا الحفني وسميتها الفتوحات الاحمدية بالمنح المحمدية
فاقول وبالله التوفيق قدم المص رحمه الله تعالى امرين مهمين
احدهما البداءة بالبسملة للحديث المشهور واقتداء بالكتاب العزيز
فقال بسم الله الرحمن الرحيم ولم ينظر الى ما قيل ان الشعر لا يبدأ
بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت
على افضل العلوم والمعلومات فهي احق بالبداءة بالبسملة من كثير من
التصانيف وثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع
وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب
الحشو وتناسب المعاني وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى ايضا حسن
الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال في النظم او النثر بان يكون
مبدأ الافتتاح دالا على ما بني ذلك النظم او النثر عليه من الغرض المسوق
اليه وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى
على المتأمل لغرضه وهو ذكر اوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يبلغها غيره فهذا البيت الاول الذى افتتح به ابلغها وما بعده من بقية
القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا البيت ووجه الانتزاع المذكور
ان براعة الاستهلال مشتملة على جميع ما فى براعة المطلع اى يعتبر فيها ما
يعتبر فى براعة المطلع من الامور السبعة المقررة عندهم التى من جملتها صحة
السبك ووضوح المعنى وغير ذلك وتزيد براعة الاستهلال على براعة المطلع
بكون براعة الاستهلال فيها اشارة الى المقصود كيف هى فى الاصل
اسم مبنى لتضمنه معنى حرف الشرط او الاستفهام على حركة لالتقاء الساكنين
وكانت فتحة لخفتها وهى هنا استفهامية والاستفهام غير حقيقى اذ القصد به
الانكار والاستبعاد والتعجب فالمراد منه نفى رقيهم كرقيه والتعجب ممن
يتشكك فى ذلك وهى فى محل نصب على الحال من فاعل ترقى اى على اى حالة
ترقى الانبياء رقيك اى لا يكون ذلك ولا كان وقوله ترقى يقال رقى بكسر
القاف يرقى بفتحها فى المحسوسات كالسطح ويقال رقى يرقى بفتح القاف فيهما
فى المعانى وهو التنقل من صفات الكمال الى اكمل ومصدر هذين رقى على فعول
وفى المصباح رقيته ارقيه من باب رمى رقيا عوذته بالله والاسم الرقيا على
فعلى اهـ والمراد هنا الاولان فالحسى رقيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء
من بيت المقدس الى السموات السبع الى حيث شاء الله لكنه لم يجاوز العرش
على الراجح والمعنوى تنقله صلى الله عليه وسلم من كل صفة كمال الى اكمل منها
وهو صلى الله عليه وسلم يترقى دائما وابدا حيا وميتا كل لحظة الى مراتب يعلمها
الله تعالى وكون المراد بالرقى هنا ما يشمل المعنيين المذكورين من قبيل استعمال
المشترك فى معنييه ان قلنا انه حقيقة فيهما ومن قبيل الجمع بين الحقيقة
والمجاز ان قلنا انه حقيقة فى الحسى مجاز فى المعنوى عند من اجازه واما
عند المانع له فيكون من عموم المجاز بان يقال المراد بالرقى مطلق العلو
وكل من المعنيين فرد من افراده تامل وقوله الانبياء جمع نبى فعيل بمعنى
فاعل او مفعول من النبأ بهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر ومخبر
عن الله تعالى او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع او مرفوع الرتبة على غيره من الخلق
ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبئ الله بالهمز بل قولوا
يا نبى الله اى بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء
سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوى اسلامهم وتواترت
به القراءة نسخ النهى عنه لزوال سببه فان قيل نفى رقى الانبياء رقيه

كيف ترقى رقيك الانبياء

اى الماضى والمضارع

لان اصله رقوى

اى حيا ودائما

لا يستلزم نفي رقي الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص
والمراد انما هو نفي رقي كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلنا ممنوع بل هي
وافية بل مصرحة به لان قوله ما طاولتها سماء صريح في نفي رقي الكل رقيه
كما يعلم مما يأتي في شرحه لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي انه اراد بالانبياء هنا
ما يشمل الرسل على ان المحقق الكمال بن الهمام نقل في مسايرته ان المحققين
على ترادف النبي والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وعلى هذا القول
يشترط في النبي ان يكون مبلغا فان لم يبلغ ما امر به لم يكن نبيا ولا رسولا
والرقي بمعنييه المذكورين خاص به صلى الله عليه وسلم اما الاول فواضح
وكذا الثاني عند من تامل اي القرآن والاحاديث الدالة على ترفعه صلى الله
عليه وسلم على سائر الانبياء والمرسلين فمن تلك الاحاديث حديث الترمذي
انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم
فمن سواه الا تحت لوائي وفي شرح الشفاء للشهاب ما نصه ثم ان البرهان
ذكر عن ابن مسعود ان عبد الله بن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفة لواء الحمد فقال طوله الف سنة وستمائة سنة من ياقوتة حمراء
وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب ذوابة
بالمشرق وذوابة بالمغرب وذوابة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر
الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثاني الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا
الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد انتهى
وما افاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء هو ما عليه عامة العلماء
للادلة الصريحة فيه واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار
الايمان بهم وبما انزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوا بين الانبياء
لا تفضلوني على الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهي اما قبل علمه بالتفضيل
وانه افضلهم واما محمولة على التواضع لتصريحه بالتفضيل وعلى تفضيل يؤدي
الى التنقيص من مقام احدهم وعليهما يدل سياق الحديث او على التفضيل
في ذات النبوة او الرسالة فانهم كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون فيه
وانما يتفاوتون في زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات
وقوله يا سماء يا حرف نداء للبعيد او للقريب المنزل منزلته وهو هنا
اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق او تسامى والمراد
بالسماء محمد صلى الله عليه وسلم كما سيأتي فهي نكرة مقصودة وما اشتهر من وجوب بنائها على الضم

يا سماء ما طاولتها سماء

قدم النحاة بما اذا لم توصف بمفرد او ظرف او جملة وانه وجب نصبها وكانت
من قبيل الشبيه بالمضاف فقد قالوا في ضابطه هو ما تعلق به شيء من تمام
معناه والصفة من تمام معنى الموصوف والنكرة هنا قد وصفت بجملة
ما طاولتها سماء وقوله ما طاولتها سماء ما نافية اي غالبتها في الطول والارتفاع
وقد استفيد من الشطر الاول نفي مساواة احدهم له ومن الثاني نفي زيادة
احدهم عليه قال في القاموس طاولني فطلته اي كنت اطول منه فالمراد
من المفاعلة اصل الفعل بان يراد بقوله ما طاولتها ما طالت اي ارتفعت
عليها سماء وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانية
لبقية الانبياء لان السماء اعلى ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق
ورشح لذلك بذكر الارتقاء الملائم للمستعار منه   لم يساووك
حال من فاعل ترقى او مستانف وقوله في علاك اسم مفرد بمعنى الشرف اي
لم يساووك في شرفك ويصح ان يكون جمع عليا ككبرى تانيث الاعلى من
علي بالفتح يعلو علوا في المكان وعلي بالكسر يعلى علاء وعلى بالفتح يعلى علاء في
الشرف فيهما اي في مراتبك العالية وهذا الشطر الاول من هذا البيت تاكيد
للشطر الاول من البيت قبله اذ مفادهما نفي المساواة ومع كونه ذكر للتاكيد
ذكر لنكتة اخرى وهي التوطئة للشطر الثاني الذي هو بمنزلة التعليل له
فما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت الاول والبرهان عليها بما في
الشطر الثاني ثم اعادتها بمعناها في اول البيت الثاني والبرهان عليها بما في
بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته وقوله وقد حال اي حجز ومنع جملة مستانفة
او حالية من الفاعل او المفعول وقوله سنا بالقصر وهو في الاصل الضوء
الحسي استعير هنا للعلوم صلى الله عليه وسلم التي اختصه الله بها وامن
ان ينال له الزيادة منها ولما اختصه الله به من جماله الظاهر في خلقه وفي
خلقه فالسنا هنا عبارة عن مجموع الامور الثلاثة هكذا قال الشيخ والاولى
ابقاؤه على ظاهره وان المراد بالسنا الضوء الحسي وهو صلى الله عليه وسلم
كان نورا بدليل ما ذكره هو انه لم يكن له ظل يظهر في شمس ولا قمر تامل وقوله
منك فيه تجريد اي ان هذا السنا بمعانيه المذكورة ناشئ منك وقوله
وسناء اي شرف ورفعة ومعنى البيت انتفت مساواتهم له لمانع منعهم
عن اللحوق به هو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل
احد ابدا الى كمالهما فضلا عن كماله   انما هي للحصر عند الجمهور وقيل بالمنطوق

لم يساووك في علاك وقد حال سنا منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

وقيل

وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص
امر باخر بطريق مخصوص ويعبر عنه بانه اثبات الحكم للمذكور ونفيه عمن سواه
وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقي او مجازي
وقوله مثلوا اي صوروا او قرروا وذكروا اي الواصفون والمتصدون لضبط
صفاتك وشمائلك كعلي وهند بن ابي هالة وهذا المرجع اي تفسير الضمير
بالواصفين دل عليه السياق وان لم يتقدم لهم ذكر ويصح ان يرجع الضمير
للانبياء والمعنى عليه انما مثل الانبياء اي ذكروا لاممهم صفاتك وقرروها
لهم الا كما مثل النجوم الماء او المعنى عليه انما ظهور صفاتك فيهم كظهور النجم في
الماء فصفاتك الظاهرة والباطنة كانت موجودة في الانبياء في الجملة على
سبيل التقريب كما مثل النجوم الماء وعلى هذا فاسناد التمثيل والتصوير للانبيا
مجاز كما في انبت الربيع البقل والا فالمعنى الحقيقي عليه انما اظهر الله صفاتك
في الانبياء السابقين كاظهار صورة النجم في الماء وقوله صفاتك جمع صفة
وهي المعنى القائم بالذات وقوله للناس من الانس فيختص ببني آدم واصله
الاناس حذفت همزته تخفيفا او من نوس اذا تحرك فيعم الجن والذي في
القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز
ادخل عليه ال وقوله كما نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي تمثيلا او تصويرا
مثل تمثيل الماء النجوم وقوله الماء اصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر
قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل ابيض وقيل
اسود ومعنى البيت ان الصفات التي ذكرها الواصفون لك وحكوها
عنك ليست هي حقيقة صفاتك في نفس الامر لان حقيقة صفاتك لم
يعلمها الا خالقك كحقيقة ذاتك وهذا كالماء يحكي صورة النجم وتظهر فيه
وترى والمرئي فيه ليس حقيقة النجم وانما هي صورة تحاكي صورته تقريبا وقد
اشار لهذا المعنى في بردة المديح بقوله اعيى الورى فهم معناه البيتين
انت مصباح كل فضل ظاهر التركيب تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه
بالمصباح تشبيها بليغا اي انت كالمصباح وهو صحيح من حيث انه صلى الله
عليه وسلم مستمد منه الكمالات كما تستمد المصابيح من المصباح والمراد بالفضل
الكمال والشرف الذي وجد في غيره واثر التشبيه بالسراج على النير لانه
يقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ففيه اشارة بليغة الى
ان خلفاءه صلى الله عليه وسلم المقتبسين من نوره باقية بعده عليه السلام

انت مصباح كل فضل فما تـ
صدر الا عن ضوئك الاضواء

كما ان السراج الحقيقي قد يؤخذ منه سراج غيره ثم ان السراج الاول يذهب
ويبقى المصباح الذي فرع منه باقياً بعده ويستضيء به وان ذهب السراج
الذي اوقد منه فكذلك صلى الله عليه وسلم فان خلفاءه الذين استمدوا
الانوار والمعارف منه بقوا بعده وحصل لهم الاستضاءة الكلي بعد ذهابه
صلى الله عليه وسلم الى ربه ويصح ان يكون المشبه بالمصباح نوره المعنوي
ويكون في الكلام تقدير اي نورك المعنوي كالمصباح ووجه
التشبيه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر
ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر
من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم
لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافي ذلك ان السراج دون
نوره صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة واذا تقرر ان كمالات غيره المشبهة بالاضواء
مستمدة من كماله الذي هو الضوء الاعلى فبسبب ذلك ما يصدر بقوله
فما يصدر الفاء سببية وما نافية اي ما يبرز في الوجود ضوء اي كمال
وشرف الا ان يكون ناشئا وصادرا عن ضوئك اي شرفك وكمالك
فانت المخصوص بان ذلك الذي يبرز عن ضوئك الذي اكرمك الله به الاضواء
كلها من الايات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان تأخر وجودك
عن جميع الانبياء لان نور نبوتك متقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات
وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه يا رسول الله
اخبرني عن اول شيء خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان الله
تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور
بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة
ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا انس
فلما اراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اقسام الحديث فقد
علم ان المراد بضوئه كمالاته وصفاته وبالاضواء كمالات غيره واطلاق
الضوء على صفات الكمال المعنوية استعارة تصريحية بجامع ان كلا من
الضوئين المعنوي والحسي يهتدى به الى المقصود وايضا كما ان
الدينية تنور الظاهر والباطن او بجامع الانتفاع في كل من المشبه
والمشبه به اذ كل فضيلة كالعلم مثلا له ضياء واشراق يوصل الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل كما ان بالضياء يدرك المطلوب ويفصل بين الاشياء

قوله

لك ذات العلوم اى نفس العلوم والمراد بها المعلومات اى المدلولات والدوال او يقال المسميات والاسماء والمراد بالاسماء الالفاظ الدالة على المعانى ولو افعالا او حروفا ومعنى كونها له ان الله علمه اياها على لسان الملك او بالالقاء فى الروع اى القلب او بخلق العلم الضرورى او بسماع الكلام النفسى وقوله من عالم الغيب حال والعالم بفتح اللام والغيب بمعنى الغائب اى حالة كون العلوم من جملة العالم الذى غاب عن المشاهدة فالغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل اى الغائب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المفعول اى المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا لان العلم به افخم واظهر ولان اكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والآخرين فى الحديث المشهور ولانه اختص به صلى الله عليه وسلم من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات وقوله ومنها اى العلوم المذكورة التى هى بمعنى المعلومات فلا استخدام فى العبارة خلافا لمن قال به وهو خبر مقدم ولآدم حال والاسماء مبتدأ مؤخر اى ان آدم علم باحدى الطرق الاربعة المتقدمة اسماء الاشياء اى الالفاظ الدالة عليها ولو افعالا او حروفا دون المسميات اى المعانى المدلولة لتلك الالفاظ فحاصل الفرق بين نبينا وبينه ان نبينا علم الاسماء والمسميات وآدم علم الاسماء فقط وما درج عليه الناظم هو المتبادر من الآية وهو قول من اقوال ثلاثة ووراءه قولان آخران احدهما انه علم الاسماء والمسميات كنبينا لكن علم نبينا بهما اتم واجلى وثانيهما انه علم المسميات دون الاسماء لان المزية فى العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسماءها كذا وكذا قاله بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ اى لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر او صريح فى الاسماء فقط

فى ضمائر الكون حال وجملة تختار خبر تزل والكون الوجود اى الموجودات وضمائره مستوراته اى المستورات منه لخفية والمراد بها هنا اصلاب الاباء وارحام الامهات وقوله تختار اى تصطفى لك اى لاجلك الامهات جمع ام وهى الوالدة مباشرة او بواسطة من قبل الام او من قبل الاب وقوله والآباء جمع اب وهو الوالد مباشرة او بواسطة من قبل الاب او الام

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء
لم تزل فى ضمائر الكون تختار لك الامهات والآباء

والمعنى كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك
فلم يكن في امهاتك من لدن حواء الى امك امنة ولا في ابائك من لدن آدم
الى ابيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار وقد كان نوره صلى الله عليه وسلم
في آدم ظاهرا يلمع في جبهته ثم انتقل ذلك النور لولده شيث فلما قربت
وفاة آدم وصى شيثا ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء
وكذلك وصى شيث بنيه وهكذا لم تزل تلك الوصية معمولا بها حتى وصل
ذلك النور الى عبد المطلب ثم الى ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف
من سفاح الجاهلية بكسر السين اى زناهم كما ورد في الاحاديث كحديث
البيهقي في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام
ويؤخذ من كلامه ما صرحت به الاحاديث ان اباء النبي وامهاته الى آدم
وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر
بل نجس وهذا صريح في ان ابوى النبي صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من
اهل الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في
حديث صححه غير واحد من الحفاظ ان الله احياهما له فامنا به خصوصية لهما
وكرامة له صلى الله عليه وسلم وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير
الخصوصية والكرامة فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهم
لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل
لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من
العذاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزيد الايمان زيادة
في شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع ان
الله تعالى ذكر في كتابه العزيز انه ابو ابرهيم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على
انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم ابا ما مضت
فترة بفتح الفاء وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذي يليه كما بين
عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قدر ما بينهما والمشهور انه
ستمائة سنة وهذه فترة في حق العرب وغيرهم اذ لم تكن في هذا الزمن رسول
اصلا وتزيد العرب على غيرهم بان الفترة في حقهم ما بين اسمعيل ومحمد وهو
الوف من السنين اذ لم يرسل للعرب بعد اسمعيل الا محمد اى ما مضى زمن
خال من الرسل نسي فيه ذكرك الا جددته الانبياء وقوله بشرت من البشارة
وهي الخبر السار بخلاف النذارة فانها الخبر الضار المسيء وقوله قومها الضمير

ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها بك الانبياء

عائد على الانبياء وان تاخر لفظا لتقدمه رتبة لكونه فاعلا ويصح ان
يعود على الفترة اى الا بشرت قوم الفترة اى الاقوام الكائنين فيها ببعثتك
وباهر رسالتك وعظمتك الانبياء اى الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة
وفى هذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على سائر
الرسل وانه نبى الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم واممهم وشاهد ذلك
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية وقد اختلف المفسرون
فيها والذى قاله على وابن عباس وطاوس والحسن انه تعالى اخذ على كل
نبى بعثه من لدن آدم ان من ادرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن
به ولينصرنه ويلزم من هذا ان الانبياء كانوا ياخذون الميثاق على اممهم بانهم
ان ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به ونصروه فان قلت قد علم الله انه
لا يظهر فى زمنهم فما فائدة اخذ ذلك الميثاق واجيب بانه تشريف وتعظيم
له وانه لو قدر انه وجد فى زمنهم لوجب عليهم الايمان به قال السبكى
دلت الاية على انهم لو ادركوا زمنه كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته
عامة لجميع الخلق الانبياء واممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وح يدخلون
فى قوله وارسلت للناس كافة وحكمة اخذ الميثاق على الانبياء اعلامهم واممهم
بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه امهم ليلة
الاسرا ويظهر فى الاخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفى آخر الزمان يكون عيسى
ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه تتباهى
بك العصور اى تتفاخر بوجودك العصور اى الازمنة الطويلة من لدن
آدم الى يوم القيمة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله لوجودك
فيه بكمال اعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك
الى هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك ثم عصر شق بطنك ثم
عصر تعبدك بحراء وهكذا فالعصور من لدن آدم الى عصر وفاته يفتخر كل
متاخر منها على سابقه اذ المتاخر افضل مما قبله وكذلك عصور امته من
الصحابة الى آخر الزمان تتباهى وتتفاخر لكن السابق يفتخر على اللاحق لقرب
السابق من عهده صلى الله عليه وسلم فكل سابق افضل من المتاخر عنه
وقوله وتسمو اى تعلو وترتفع وقوله بك الباء سببية اى بسبب تلبسها
بك وقربها منك وقوله علياء فاعل تسمو وهو نعت لمحذوف اى مرتبة علياء
وقوله بعدها علياء جملة اسمية مستقلة نعت لعلياء الاولى اى لك فى كل

تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء

عصر من العصور المذكورة رتبة اعلى مما قبلها واعلى منها ما بعدها وهكذا الى
ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله قال العارف القطب ابو الحسن الشاذلي هذا غين انوار
لا غين اغيار لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكان كلما توالت انوار العلوم
والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلى مما هو فيها وراى ان ما قبلها دونها فيستغفر
الله تعالى من تلبسه بذلك الدون تواضعا وطلبا لتزايد كماله وقد جعل الناظم
تلك المراتب هي التي تسمو وترتفع به ولم يجر على ما هو المتبادر انه الذي يسمو ويرتفع
بها لما هو الحق انه تعالى خلقه في عالم الغيب على اكمل كمال يمكن ان يوجد لمخلوق ثم
ابرزه في عالم الشهادة مندرجا في تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما
علمت انه كامل قبلها   وبدا اي ظهر للوجود اي لهذا العالم وقوله منك كريم اي
سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد الذي هو
من ادق انواع البديع وهو اعني التجريد ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مماثل
لذلك الامر في تلك الصفة مبالغة لكمالها في ذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف
بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو
انواع منها ما يكون بمن التجريدية كما هنا ونحو قولهم لي من فلان صديق حميم اي
قريب يهتم لامره اي بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص منه
فلان آخر مثله ونحو قوله تعالى لهم فيها اي في جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها
فيها تهويلا لامرها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار فهو صلى الله عليه
وسلم لكماله في صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة في صفة كرمه
وكماله فيه وقوله من كريم اي ان هذا الكريم الذي وجد منه صلى الله عليه وسلم وهو
نفسه وجد من كريم آخر اي سالم من نقص الجاهلية والمراد بالكريم الآخر ابوه وامه
عبد الله وآمنة وقوله آباؤه اي اباء ذلك الكريم الثاني كرماء وهذا ظاهر في اسلام
ابويه صلى الله عليه وسلم وقدم ما فيه   نسب التنوين فيه للتعظيم اي نسب عظيم
بل لا اظهر ولا اجل منه في الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذي يجمع متفرقها وقوله تحسب بفتح
السين وكسرها اي تظن انت ايها المخاطب وقوله العلا جمع عليا تانيث الاعلى كما مر وقوله
بحلاها بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله وهي ما يتزين به وتسمى
حليا ايضا اي بسبب حلا ذلك النسب وزينته وقوله قلدتها اي العلا في محل
مفعول تحسب الثاني والاول العلا وقوله نجومها منصوب على نزع الخافض
اي بنجومها وقوله الجوزاء اسم لبرج في السماء كما في القاموس وعليه فنجومه ما حوله

وبدا للوجود منك كريم من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاها قلدتها نجومها الجوزاء

من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة
المعروفة قيل وهي تشبه المرأة ولذا نسب التقليد اليها لكن على الاطلاق الثاني
يكون في التركيب شيء لانه اذا كان المراد بالجوزاء نفس النجوم لا يظهر قوله قلدتها
نجومها اذ النجوم نفس الجوزاء الا ان يقال ان الجوزاء اسم لمجموع النجوم والمراد
بنجومها كل فرد على حدته فيكون المراد ان المجموع قلد بكل فرد من افراده علا
النسب اي مراتبه العالية اه ولا بدع ان ينسب الى الشيء من حيث هو مجموع انه
قلد غيره كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها ومعنى البيت ان من كمال هذا
النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه
قلدتها الجوزاء بنجومها اي جعلت قلادة لها فافاد كلامه ان كل واحد من اولئك
الاباء الكرام قد ارتفع في زمنه حتى صار كانه النجم في الشرف وعلو الرتبة والاضاءة
والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان
ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع
هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذي تقلدت عنق تلك المراتب العلية اه ش
ببعض تصرف وبعبارة اخرى لشيخنا الحفني نصها قوله تحسب العلا بحلاه
الباء سببية كما نص عليه الش والحلا جمع حلية وهي ما يتحلى به من الكمالات كما
ذكره الش ايضا فح هي بمعنى العلا فيصير التركيب هكذا تحسب العلا بسبب العلا
وهذا لا يصح فح ينبغي ان يراد بالحلا نفس الزينة القائمة بالاشخاص فكانه قال
تحسب بسبب المحاسن القائمة بهم ان العلا قلدتها اه فالعلا هي المراتب
الشريفة ويكون الش ناظر لبيان الحلا في الاصل لا للمراد بها هنا ويصح ان يراد
بالحلا الصفات المحسوسة وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الش ظاهرا
وقوله قلدتها اه فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى في النجوم حيث شبه
افراد ذلك النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها في زمانه حتى صار كانه النجم
في الشرف وعلو الرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ
النجوم لتلك الافراد والثانية في الجوزاء حيث شبه مجموع تلك الافراد المسمى بالنسب
فان النسب اسم لمجموع افراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين افراد
كل والشهرة الى اخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب والثالثة
في قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب افراده للمراتب العلية لتتزين تلك
المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها
واستعار الالباس للقلادة لاعطاء الافراد واشتق منه قلدتها بمعنى اعطتها

فيكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب ايها المتامل فيه بسبب الزينة
القائمة به ان مراتبه العالية القائمة بافراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها
فيكون فى هذا البيت قد جرى على اسلوب ما سبق فى قوله وتسمو بك عليا حيث
جعل هناك المرتبة العالية هى التى تعلو به على خلاف المعتاد من ان الشخص
يعلو ويرتقى بالرتبة العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هى التى تتزين
وتتقلد بالافراد فافراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكانه
قال تحسب العلا تقلدت بافراد النسب لكن على هذا فى الكلام اظهار فى
مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجومها الجوزاء فان الجوزاء المراد بها هنا النسب
وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيه بالجوزاء وادعا انه هى وانما
ارتكب الناظم هذا التركيب الصعب للتوصل الى تشبيه الافراد بالنجوم الى آخر
ما تقدم فى الاستعارات وح ينبغى ان يراد بالحسبان هنا الاعتقاد المجاز
لا معناه الاصلى وهو الظن المشتمل على تجويز النقيض لان هذا لا يليق
بالمدح الكامل فيكون فى الكلام اربع مجازات ولعل الشارح اشار اليها كلها بقوله
كاستعارة نجوم الجوزاء الخ فتكون كلها داخلة تحت الكاف ولا يصح جعل
الجوزاء استعارة بالكناية كما ذكره بعضهم لامرين الاول انه لا يلائم قول الشارح
كاستعارة نجوم الجوزاء فان نجومها اذا كانت مستعارة لافراد النسب
المتتابع لا يصح جعلها استعارة بالكناية والثانى ان البيت ح لا يفيد المعنى
السابق من ان المراتب هى المتقلدة والمتزينة بالافراد وان تلك الافراد
كالعقد الذى يتزين به تامل اه   حبذا صيغة مدح كنعم عملا ومعنى مع
زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصلها حبب بضم
الباء الاولى اى صار حبيبا اى محبوبا لا حبب بفتح الباء اذ المعنى عليه انه
صار محبا والغرض انه محبوب ثم ادغمت الباء الاولى بعد سلب ضمتها فى الثانية
فصار حب كرد والاصح ان ذا فاعله وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص
وقيل الكل اسم واحد وقوله عقد هو المخصوص بالمدح وهو مبتدا مؤخر والجملة
قبله خبره وقوله سودد بضم السين اى سيادة وقوله وفخار بفتح الفاء اى
افتخار وتمدح بالخصال الجليلة قال بعضهم وقوله عقد سودد من قبيل التشبيه
البليغ للجمع فيه بين الطرفين وهذا مبنى على ان العقد مشبه والسودد مشبه به
وليس كذلك بل هو من قبيل اضافة الموصوف لصفته اى عقد موصوف بالسناء
والفخار نعم اطلاق العقد على النسب استعارة تصريحية وقوله انت مبتدا



والعصماء خبره وفيه حال من المبتدا والجملة صفة لعقد او حال منه اى فى ذلك
العقد وفى نسخة فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة وقوله اليتيمة اى
التى لا شبيه لها فى جنسها وقوله العصماء من العصمة اى الحفظ والمنع لان
من شان هذه الدرة ان يبالغ فى حفظها ومنعها من ان تصل اليها يد الاغيار
وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه اى حبذا نسبك الذى اذا
ذكرت وعددت معك اباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السنا
والفخار على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واعلاها بحيث تكون انت
واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد
لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول
ويفوق الوصف ومحيا مقصور كعصى مرفوع بضمة مقدرة على الالف
المحذوفة لالتقاء الساكنين معطوف على عقد سؤدد الذى هو مخصوص
بالمدح اى وحبذا ايضا محيا والمحيا معناه الوجه اى وحبذا وجه وقوله
كالشمس نعت له وقوله منك حال منه وقوله مضئ نعت آخر او ان قوله مضئ
مبتدا موخر وكالشمس خبر مقدم والجملة نعت لمحيا او حال منه لتخصيصه بمنك
وقوله اسفرت عنه الجملة حال او نعت ايضا وقوله اسفرت عنه اى انحسرت
وزالت وانقضت وانكشفت عنه اى عن ذلك المحيا او اضاءت متجاوزة
عنه ليلة عظيمة وقوله غراء اى بيضاء بظهور نوره فيها وبعدها وهذا اولى
من جعل ذلك اى جعل كونها غراء من حيث ظهور القمر فيها بناء على انها ليلة
ثانى عشر من الشهر او من حيث كونها من غرر الشهر اى اوله بناء على انها
الليلة الثانية منه لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف
الاول اذ فيه اشارة الى ان تلك الليلة استنارت بنوره فكانت غرة فى وجه
الدهر ليلة المولد بدل من ليلة غراء والمولد بكسر اللام مصدر ميمى بمعنى
الولادة وقوله الذى نعت للمولد وكان ناقصة وسرور اسمها وخبرها للدين
او بيومه او كل منهما والدين الشرع المبعوث به النبى الكريم صلى الله عليه وسلم
وقوله سرور اى فرح عظيم وقوله بيومه اى فى يومه او كان السرور بنفس
اليوم من حيث الولادة فيه واضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة
فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع لظرفه التابع له فكيف بذاته وقوله
ازدهاء اى فخار اى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وانت اشرف
مولود فلاجل ذلك سر الدين واهله باليوم الذى برزت فيه الى هذا الوجود

ومحيا كالشمس منك مضيء
اسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للدين
سرور بيومه وازدهاء

على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام وازدهاء اصله ازتهاء
من الزهو وهو التكبر والفخر وقعت تاءه الافتعال وهي من الحروف الرخوة بعد
الزاي التي هي من الشديدة فتنافرتا فابدلت دالا وابقيت بلا ادغام ويجوز
بعد قلبها زايا او الزاي دالا الادغام احداهما في الاخرى واختلفوا هل ولد
ليلا او نهارا وظاهر كلام المتن الاول والراجح الثاني لكن بعيد الفجر وعلى
انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور
انه معين وهو صفر وربيع الاول او ربيع الآخر او رجب او رمضان او يوم
عاشوراء اقوال ستة والاصح انه في شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه
غير معين والاصح انه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان وقيل لعشر
وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان
بقين منه اقوال ستة وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في الاشهر الحرم ورمضان
لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم شرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول
لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة لانه لو
دفن بها لكان يقصد تبعا لها فافرد بموضع مفضول عند اكثر العلماء لتشرف
به بل ليفوق به الفاضل عند كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق
الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزية كرامته على ربه واختلفوا في عام ولادته
والاكثرون على انه عام الفيل والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما وورائه
ذلك اقوال أخر فقيل ولد بعد الفيل بخمسة وخمسين شهرا وقيل باربعين
شهرا وقيل بعشر سنين وقيل بخمسة عشر سنة واختلفوا في مكان ولادته
والصواب انه مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه بالمسجد المشهور
الآن بالمولد وزعم انه ولد بعسفان شاذ لا يعول عليه تامل وتوالت

اي تتابعت والظاهر انه معطوف على كان الواقعة صلة للموصول الذي هو لفظ
الذي الواقع صفة للمولد الذي هو بمعنى الولادة لكن هذا المعطوف خال عن
العائد للموصول فلعله اكتفى بالعائد في المعطوف عليه او يقال ان العائد اعاد
موصوف الموصول بلفظه لان قوله ان قد ولد على تقدير الجار فهو وول بمصدر
اي بان قد ولد اي بالولادة ولعل هذا القدر كاف في العائد وقوله بشرى
بمعنى البشارة وقوله الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى
شخصه وقد هتفت الجن كثيرا ليلة مولده اي اخبرت بولادته بعضها
على الحجون بفتح الحاء جبل مطل على معلاة مكة اي مقبرتها وبعضها

على ابي قبيس وقوله وحق بفتح الحاء اي ثبت يقال حق الشيء بفتح الحاء يحق بكسرها وضمها اذا ثبت ومن هذا المعنى اسمه تعالى فمن اسمائه تعالى الحق اي الثابت وجوده ازلا وابدا وقوله الهناء اي الفرح والسرور لكمل الخلائق به عليه الصلاة والسلام وتداعى معطوف على الصلة ايضا او مستانف اي تهادم اي اشرف على السقوط لانه انشق شقا بينا افضى الى خرابه وسقط منه اربعة عشر شرافة وفسرت باربعة عشر ملكا من ملوك فارس تملك منهم عشرة في زمن عمر واربعة في زمن عثمان وقوله ايوان بكسر الهمزة اصله اوان بتشديد الواو فقلبت احدى الواوين ياء لانكسار ما قبلها وقد تحذف الياء ويقال اوان كخوان ويقال فيه ليوان ويجمع على اواوين كدواوين وهو بيت الملك المعد لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه وكان محكما يظن انه لا تهدمه الا النفخة وكان طوله مائة ذراع وسمكه كذلك وعرضه خمسون ذراعا واقر شيخنا العمادي انه بلغه ان مسجدا لسلطان حسن بني على شكل وقدر وصورة ايوان كسرى وقوله كسرى بفتح الكاف وكسرها لقب لكل من ملك الفرس وكان اسمه انوشروان وقوله ولولا حرف امتناع لوجود وقوله آية اصلها اوية قلبت الواو الفا وقوله منك متعلق بمحذوف اي صادرة منك اي علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له راس وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب وقوله ما تداعى البناء اي هذا المبني المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام ولما تحرك وانشق وسقطت شراريفه علم ان ذلك ليس الا محض آية وعلامة دالة على نبوته وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه فتداعى من كسرى بجيوش عمر غاية الهوان وطرد الى اقصى مملكته ثم قتل في زمن عثمان بجيوشه وزال ملكه بالكلية وغدا معطوف على الصلة ايضا او مستانف اي صار في تلك الليلة كل بيت نار اي كل واحد من بيوت نار الفرس التي كانوا يعبدونها ويحكمون ايقادها حتى انه كان لها الف سنة لم تخمد ونار اصله نور قلبت الواو الفا وكانت هذه الصيرورة من العجائب التي ظهرت ليلة ولادته ليتنبهوا ويسالوا عن سبب ذلك وقوله وفيه الواو للحال وقوله كربة بضم اوله اي غم ياخذ النفس وربما اهلكها وقوله من خمودها من تعليلية والخمود بضم الخاء من باب دخل سكون لهب النار من غير انطفاء جمرها فان انطفى ايضا قيل له همود وهو

وتداعى ايوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء

من باب دخل ايضا وقوله وبلاء اى عظيم صبه الله عليهم ازالة لما يعتقدونه آلهتهم ومتعبدهم فلما انطفأت تلك النيران العظيمة فى ساعة واحدة من تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك ويبنو معطوفا ومستانف كما تقدم اى ومن تلك العجائب التى ظهرت فى تلك الليلة عيون وهو مبتدأ وسوغه وصفه بقوله للفرس وجملة غارت هو الخبر والفرس بالضم ويقال لهم فارس امة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من العزامة بالفتح اى الشجاعة وكسرى من اعظم ملوكهم وقوله غارت اى فى الارض حتى لم يبق منها قطرة ومن جملتها بحيرة طبرية كانت تسير فيها السفن وكان طولها ستة اميال وعرضها كذلك وتسمى عين ساوة وقوله فهل كا استفهام تعجبى توبيخى تقريعى اى يتعجب من نيرانها مع كثرتها ومن انطفاء النار مع قوتها فهل طفئت النار بالماء لا بل لم يطفئها الا سر وجوده وظهوره الذى اضمحل به كل باطل ولذا قال مولد الخ وقد اشار لهذا فى بردة المديح بقوله كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

مولد بالجر بدل من المولد وبالرفع خبر مبتدأ محذوف وقوله كان اى صار على الدوام وقوله منه اى من اجله او هى ابتدائية وقوله فى طالع الكفر اى فى النوم او الالهام الذى يطلع به على عواقب الكفر وغايات اهله المترتبة عليه وهذا هو المراد بالطالع وقال بعضهم الطالع فى الاصل اسم لنجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على امور تحدث فى العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلانى يحصل كذا وكذا واضيف للكفر من حيث اعتماد اهله عليه وتعويلهم عليه واستعير هنا للامور التى دلت على وقوع الوبال بهم كرؤيا الموبذان واخبار سطيح ووجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على امر خفى وان كانت دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقيق مع الطرفية من قبيل طرفية المدلول فى الدال فان الوبال مدلول كما علمت والطالع باعتبار المراد منه دال عليه وقوله وبال اى هم وغم عليهم اى الكفار المفهومين من السياق وقوله ووباء بالقصر ويمد لغة وهو المرض العام الذى لا يختص بطائفة ويقال هو كثرة الموت من غير سبب بخلاف الطاعون فانه الموت بسبب طعن كفار الجن لمسلم الانس فهنيئا اى فبسبب ما حصل بوجوده فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا والايات من الشرف الاكبر حق ان يقال فى شأن امه هنيئا لآمنة وقوله

وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها اطفاء

مولد كان منه فى طالع الكفـ
ـر وبال عليهم ووباء

فهنيئا به لآمنة الفضـ
ـل الذى شرفت به حواء

الفضل

المفضل فاعل فعل محذوف وهنيئا حال منه اي من الفاعل المذكور والتقدير
ثبت لها الفضل اي الكمال والشرف حال كونه هنيئا اي لا آفة فيه ولا نكد وقوله
اللذ شرفت به حواء اي ومن بعدها من امهاته الى آمنة فان الولادة مشتركة
بين كل منهن لكنها لآمنة بدون واسطة ولغيرها بواسطة ومن ثم خصتها
من بينهن بذلك الشرف حيث قال فهنيئا لآمنة فذكرها هنا والجمع بين
طرفي الولادة الاول والآخر وينبه على ان حواء امتازت بابرازه صلى الله
عليه وسلم اي وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا
تميزها على حواء بذلك من نحوه اي من لحواء الخ لما ... واشتراك آمنة وحواء
في الولادة وتشرفهما بها اشار الى الفرق بينهما وان آمنة اشرف فقال من
لحواء بالمد وهو استفهام استبعادي بمعنى النفي اي من يفرح لها وثبت
لها انها حملت احمد وهو اسم منقول من الصفة التي معناها التفضيل
فمعناه احمد الحامدين اي اكثرهم حمدا لربه ولذا يفتح عليه في القيام عند
الشفاعة بمحامد لم يفتح بها على غيره فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد
ويكون تحته آدم فمن دونه وقوله حملت من باب ضرب سواء كان في البطن
او على الظهر او على الرأس ومنه حملت الشجرة ثمرها اذا اطلعته واخرجته
وقوله او انها به نفساء اي اصابها النفاس وهو الدم الخارج عقب الولد اي
او انها ولدته بلا واسطة اي لو قدرنا انها حملته وتلد بلا واسطة لكان لها به
غاية الفخر لكن لم يتقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق في علمه تعالى انها الفائزة
بشرف الانتهاء وهو افضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء ولهذا قال
يوم نالت اي يوم بدل من مولد فيما سبق فهو مرفوع او مجرور وبني على
الفتح لاضافته للمبني والظاهر انه بدل اشتمال لان المولد المراد به الولادة وقوله
نالت اي ظفرت واخذت واعطيت بوضعه اي بسببه وقوله ابنة وهب
ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهي تلتقي مع النبي من جهة ابائها
في كلاب وامها برة بنت عبد العزى بن قصي بن عبد الدار بن قصي بن كلاب
وقوله من فخار من بيانية لما التي بعدها والفخار التمدح بالخصال العلية
والشيم الطاهرة المرضية وقوله ما لم تنله النساء اي حتى حواء كما مر وهذا
لا يقتضي افضليتها على حواء مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد وهو
ولادتها له بلا واسطة والتفضيل من حيث مزية واحدة او مزايا لا يقتضي
الافضلية على الاطلاق فلا ينافي هذا ما انعقد عليه الاجماع من ان حواء

افضل منها بدليل الاختلاف في نبوتها وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة
الكريمة فيها اصبحت اصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار
وكانت قريش في جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودي في
الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل
الطاهر فقد خصها الله تعالى بهذا الحبيب واخرج ابو نعيم عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه قال ليلة حمل امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نطقت
كل دابة كانت لقريش وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو
امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكو سا
ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار بشر
بعضهم بعضا وله صلى الله عليه وسلم في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض
ونداء في السماء ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا
مباركا   واتت معطوف على نالت اي وبوم اتت وقوله قومها اسم جمع
للذكور وقد تدخل فيه النساء تبعا كما هنا وقوله يا افضل اي بمولود افضل بالا جماع
وقوله مما حملت اي به وهو عيسى وقوله قبل اي قبل امنة وقران بينهما ستمائة
سنة وقوله مريم بنت عمران الصديقة قيل هي من ذرية سليمان وبينها وبينه
اربعة وعشرون ابا وهي افضل النساء على الاطلاق للخلاف في نبوتها والقو ل
بها فيها اقوى من القول بها في غيرها من النساء ورفع عيسى وعمرها ثلاث
وخمسون سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين او ستا كما قال السيوطي
قال ولما رفع الى السماء تعلقت به وبكت فقال لها القيمة تجمعنا وقوله العذرا
اي البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى انما هو من نفخ جبريل
في طرف قميصها فحملت به ووضعته في وقتها على الفور وهذا هو الاشهر كرامة
لها ومعجزة له واذا نزل الى الارض يصلي وراء المهدي اول مرة ثم يتقدم عليه
بعد ذلك وصلاته وراءه اولا اعلاما بانه لم ينزل مستقلا بل تابع وعامل
وحاكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتقدمه على المهدي بعد ذلك لانه افضل
منه   شمتنه من التشميت بالمعجمة والمهملة وهو ان يقال للعاطس
رحمك الله وهذا دعاء له بالسلامة من الشوامت او بقاء سمته على حاله لان
العطاس ربما كان سببا لانحراف بعض الاعضاء كتعويج العنق لكنه
لا يسن تشميت العاطس الا اذا حمد الله بعد عطاسه ويسن للحاضر ان يذكره
الحمد بان يقول هو اي الحاضر الحمد لله رب العالمين فيقوله العاطس فيقول له الحاضر

رحمك

رحمك الله ولشيخنا الحفني رحمه الله تعالى

مَنْ يبتدى عاطسًا بالحمد يأمن مِنْ ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما ... يليه بطنًا فاذنًا فاستمع رشدا

وهذا النظم جاء به الحديث وقوله الاملاك بوزن افعال جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه بحمل واجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة فهمزته اصلية وميمه زائدة واصله مالك بتقديم الهمزة على اللام بوزن مفعل ثم نقلت الهمزة الى ما بعد اللام فصار ملأك على وزن معفل ثم خفف بعد النقل ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملك على وزن معل وقياس هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملأك بعد القلب وقبل التخفيف وقولهم من الالوكة مصرح بان ميمه زائدة وهو راى الجمهور وذهبت طائفة الى انها اصلية ثم اختلفوا هل هو من الملك بفتح الميم اى القوة لقوتهم او بكسرها بمعنى مملوك قولان قيل واحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير ماخوذ من شيء وهو التحقيق الذى دلت عليه الآثار وقوله اذ وضعته اى وقت وضع امه له وقوله وشفتنا اى افرحتنا وسرتنا او من الشفاء لانها رقية والرقيا كثيرا ما يحصل منها الشفا لان قولها الآتي يشفي العليل ويبرد الغليل وقوله بقولها الشفاء بالفاء المشددة وهي ام عبد الرحمن بن عوف احد العشرة رضي الله عنهم بنت عمرو ابن عوف وقولها هو ما اخرجه ابو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت امنة رسول الله وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك قالت الشفاء واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم البث اذ غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث منى على بال حتى ان بعثه الله تعالى فكنت في اول الناس اسلاما وقولها فاستهل اى رفع صوته بالعطاس بشهادة قولها فسمعت قائلا الخ اى سمعت ملكا يقول الخ وتعبير الناظم بصيغة الجمع في قوله الاملاك مبالغة واشارة الى ان عصمة الملائكة توجب ان الفعل المسند الى احدهم كانه مسند الى الجميع وتشميت الملائكة له بالقول المذكور يقتضي انه حمد الله بعد عطاسه لان التشميت انما يسن بعد حمد العاطس فعلى هذا يكون صلى الله عليه وسلم من جملة من تكلم في المهد رافعًا حال من مفعول

وصنعته وقوله رأسه اى الى السماء كما رواه ابو سعيد
ان آمنة قالت لما فصل منى تعنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج منى نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم
وقع على الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها
ورفع راسه الى السماء وقوله وفى ذلك الرفع اى الذى هو اول فعل
وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم وقوله الى كل سودد
اى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذى هو ايماء وقوله ايماء
اى اشارة الى ان شانه وقدره يرتفع ويعلو فى الدنيا والآخرة الى مراتب
لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس رامقا حال من مفعول
وصنعته ايضا فتكون من الاحوال المترادفة او من ضمير رافعا فتكون
من المتداخلة وقوله طرفه فاعل رامقا اى بصره وهو مفرد لا جمع له
وقوله السماء مفعول به اى ناظرا الى جهتها نظرا خفيا اذ الرمق بسكون
الميم النظر الخفى لا مطلق النظر وقوله ومرمى هو فى الاصل عين الرامى
الذى يصيب سهمه وهو هنا ما انتهى اليه البصر وهو مبتدا خبره العلاء
وعين مضاف اليه ومن موصولة صلتها جملة شانه العلو والمراد بشانه
قصده وقوله العلو اى ارتفاع مكانه وقوله العلاء بالفتح والمد اى
الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر اى الرتب العالية اى كان
رفع راسه ايماء الى ما مر كذلك رمق ببصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد
الا اعلى المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها
دون غيرها مما لا يناسب فضله وتدلت معطوف على نالت اى
ويوم تدلت اى دنت وقربت وقوله زهر النجوم جمع ازهر اى نجم ازهر
اى مضىء مشرق فهو من اضافة الصفة للموصوف اى الكواكب المضيئة
وقوله اليه اى تعظيما وتكريما له لم يقع نظيره لغيره وقوله فاضاءت
اى فبسبب هذا التدلى اضاءت وقوله بضوئها اى بضوء تلك الكواكب
المضيئة وقوله الارجاء اى نواحى البيت الذى ولد فيه او نواحى السماء
او نواحى الوجود وروى البيهقى عن فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت
ولادة النبى صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلا نورا ورايت
النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على وتراءت اى ويوم تراءت من
راى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل اى رايت

مى

كب

رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شانه العلو العلاء

وتدلت زهر النجوم اليه فاضاءت بضوئها الارجاء

وتراءت قصور قيصر بالروم يراها من داره البطحاء

قصور قيصر وهو لقب لكل من ملك الروم وقوله بالروم وهو في الاصل
اسم شخص هو ابن عيصو اخي يعقوب والمراد هنا نفس الاقليم وقوله
يراها الرحال وقوله من داره اي الذي داره البطحاء اي مكة والابطح
والبطحاء مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصى واصل ذلك
ما روي عن امه عليه السلام قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاءة
له قصور الشام فولدته نظيفا ما به من قذر وفي رواية عنها لما فصل
مني خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض
قصور الروم وصح انه ولد مختونا مقطوع السرة لكن المشهور ان عبد المطلب ختنه
يوم سابع ولادته وجعل له وليمة   وبدت لما تم الكلام على عجائب
ولادته شرع في ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته مستانفا او عاطفا عطف
الجمل فقال وبدت اي ظهرت لمن في عصره بطريق العيان ولمن بعدهم
بطريق البرهان وقوله في رضاعه اي في زمانه او فيه نفسه وقوله
معجزات اي امور خارقة للعادة وتسميتها معجزات على راي السلف كالامام
احمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وان تقدم على البعثة
والمشهور مذهب الخلف وهو ان المعجزة يشترط فيها ان تكون بعد
البعثة اما ما قبلها فيقال له ارهاص وتاسيس للنبوة فعليه تكون
تسمية عجائب الرضاع معجزات مجازا من حيث مشابهتها للمعجزات الحقيقة
وقوله ليس فيها متعلق بخفاء اي ليس خفاء كائن فيها لوضوحها
وهو اسم مصدر لاخفيته لانه بمعنى كتمته لا مصدر لخفيته لانه بمعنى
اظهرته   اذ ابته تعليل او ظرف لقوله وبدت في رضاعه وقوله
ليتمه بضم الياء وفتحها ويقال يتم من باب علم وتعب وقرب اي لاجل
موت ابيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة اشهر وكان موته
بطيبة المنورة وهو راجع من الشام للتجارة ومات عند اخوال ابيه عبد المطلب
ودفن بها وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قيل انما يتم صلى الله عليه وسلم
لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق وقيل في الحكمة لئلا يجب عليه طاعة لغير
الله وقيل لئلا يكون عليه ولاية لغير الله وقوله مرضعات اي كن ياتين
مكة يطلبن الرضعاء لان ارضاع المراة ولدها كان عارا عندهم ولان
هواء البادية اطيب وقوله قلن ما في اليتيم اي ما في هذا اليتيم عنا
متعلق بقوله غناء اي ليس فيه نفع يغني عنا شيئا ليتمه وفقره اي انما تركنا

وبدت في رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء

اذ ابته ليتمه مرضعات
قلن ما في اليتيم عنا غناء

لانا انما نبغي الرضعاء رجاء المعروف من اباءهم واما الام والجد فليسا بذلك

فانه اي فبعد ان تركته لذلك انه من آل سعد بن بكر ونسبت

اليه مع انه الجد التاسع لها لانه اشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها من هذه

القبيلة ايضا وقوله فتاة اي شابة كريمة وفي كونها حليمة السعدية من

الفال الحسن والبشارة العظيمة بحصول غاية الحلم والسعد لهذا الرضيع

ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن

وقوله قد ابتها اي امتنعت من اعطائها رضيعا الرضعاء اي اهلهم لان

الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة لقلة اللبن المضرة بالرضيع عادة وما

تعطاه من الاجرة ربما تصرفه في حوائجها غير الاكل فلا يفيدها في دفع

الجوع الذي هو المحذور واصل ذلك ما رواه ابن اسحق عن حليمة انها قدمت

مكة في نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء في سنة مجدبة ومعها ابن لها

صغير رضيع اسمه ضمرة ومعها ناقة ما فيها قطرة لبن فكان صبيها لا ينام

من الجوع قالت وما علمت امراة منا الا وقد عرض عليها رسول الله فتاباه

اذا قيل يتيم وما بقي من صواحبي امراة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره

قلت لزوجي والله اني اكره ان ارجع بدون رضيع فانطلقت الى ذلك اليتيم

فاذا هو مدرج في ثوب من صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته

حريرة خضراء وهو راقد على قفاه يغط والغطيط صوت النائم فكرهت

ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه فوضعت يدي على صدره

فتبسم ضاحكا فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فدر لبنه فشرب

منه ما شاء ثم اخذته فجئت به رحلي اي المكان الذي هم نازلون به وكان في

جهة شبيكة فقام زوجي الى ناقتنا فاذا هي حافل اي ممتلئ ضرعها لبنا

فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فلم يزل الله يزيدنا خيرا

ارضعته بدل من انه وقوله لبانها بكسر اوله مفعول به واللبان

مختص بلبن الرضاع وقوله فسقتها اي فبسبب هذا الارضاع لهذا المولود

السعيد سقتها اي حليمة وبنيها وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع لما

مر ان ارضهم كانت في غاية الجدب وقوله لبانها فيه استعمال اللبان في غير

لبن الرضاع مجازا والضمير راجع على الشاء وهو جمع شاة واسقاء الشاء

لبانها لحليمة وبنيها في هذا الوقت الجدب كرامة لذلك المولود وببركته ايضا

اصبحت شولا عجافا وامست ... اصبحت اي الشاء وقوله شولا كركع فهو بالتشديد

فانه من آل سعد فتاة
قد ابتها لفقرها الرضعاء

ارضعته لبانها فسقتها
وبنيها البانهن الشاء

جمع شائل وهي في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها اصلاً فاستعمالها في الشاة مجاز علاقته المشابهة وقوله عجافا اي هزيلة وقوله وامست لم يرد بامست واصبح معناهما وهو الاتصاف بالخبر في الصباح او المساء بل انها كانت في حال فاعتراها نقيضه في اقرب زمن واسرعه وقوله ما بها اي ما فيها شائل مبتدا وخبر او شائل فاعل الظرف وقوله ولا عجفاء اي هزيلة اخصب من الخصب بكسر اوله وهو ضد الجدب وقوله العيش اي ما يتعيش به سواء كان للادميين او للدواب اي كثر قوت الادميين والدواب وقوله عندها اي حليمة او الشاة وقوله بعد محل بسكون الحاء المهملة اي شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ والزرع وقوله اذ اي ذلك الخصب كان وقت ان غدا منها او لاجل ان غدا منها اي صار وقوله منها اي من حليمة او من الشاة والاول اظهر لان غذاءه من حليمة من غير واسطة ومن الشاة بالواسطة وقوله غذاء بكسر الغين والذال المعجمة اي لبن تغذى به يا لها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهي ارضاعها له من غير مقابل دنيوي ترجوه والغرض من هذا النداء التعجب لان العرب اذا استعظمت شيئا تناديه على سبيل التعجب فليس النداء هنا على حقيقته اذ النداء الحقيقي لا يخاطب به الا العاقل او المنزل منزلته والارضاع ليس كذلك وقوله منة تمييز اي نعمة منها عليه وقوله لقد اللام للقسم او للتاكيد وقوله ضوعف الاجر اي كرر الثواب اذ تضعيف الشيء ان يزاد عليه مثله او اكثر وقوله عليها اي توالى الاجر وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازي او الضمير في عليها لتلك المنة وتكون على تعليلية اي ضوعف الاجر لاجلها وقوله من جنسها اي حال كونه من جنسها اي من جنس تلك المنة وهي ارضاعها له والاجر الذي توالى عليها ليس هو ما شيتها المذكور في قوله سابقا فسقتها وبنيها الخ وقوله والجزاء من عطف الرديف اذ هو بمعنى الاجر وانما ضوعف عليها هذا الجزاء لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته لبنها سقتها وبنيها شياهها مع انها كانت وقت اخذه من امه على غاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل ان غذاءه كان من البانها ازال الله عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ من

اخصبت العيش عندها بعد محل اذ غدا للنبي منها غذاء

يا لها منة لقد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء

تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها المسبب عن سبق سعادتها
ولذا قال واذا سخر الاله اى   واذا سخر الاله اى ذلل ووفق وقوله
اناسا لغة فى الناس وقوله لسعيد اى لخدمته ومحبته والقيام بشأنه
كحليمة وزوجها وبقية مرضعاته وكلهن اسلمن وهن اربع امه وحليمة
وثويبة جارية ابى لهب وام ايمن واول من ارضعه منهن ثويبة فاول
لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبنها وقوله فانهم سعداء اى بسبب ذلك
جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد تعود عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا
والاخرة ولان المرء مع من احب من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما فى الحديث
وفيه ايضا الارواح جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف
فى عالم الاجساد ومعنى قوله فما تعارف منها اى ما توافقت طباعه منها اى
اذا كانت طباع الارواح متوافقة تكون عند الدخول فى عالم الاشباح
مؤتلفة واما اذا كانت غير متوافقة فتكون عند الدخول فى عالم الاشباح
كذلك وما يرى فى الخارج على خلاف ذلك كمحبة صالح لطالح او بالعكس
فلابد له من جامعة بينهما بان يكون فى الطالح المحبوب للصالح صفة
جميلة موافقة لما عليه الصالح او يكون فى الصالح المحبوب للطالح صفة خبيثة
موافقة لصفات الطالح الخبيثة ولذا قيل ان رجلا صالحا احب رجلا
من الملحدين فخاف الصالح ان يكون فيه صفة موافقة لصفات الملحد
فاطلعه الله على صفة جميلة فى ذلك الملحد وهى حبه لآل البيت وكانت
موافقة لحال ذلك الصالح ومن اعظم ما سعدت به حليمة توفيقها للاسلام
هى وزوجها وبنوها بل رد رسول الله سبى هوازن عليهم بواسطة كونها منهم
وكانت تقدم عليه فيكرم مثواها ولذلك زاد فى اكرام بنتها الشيماء لما اعتقها
من جملة من اعتق من سبيهم كما سيأتى وهذا من البديع المسمى بالكلام
الجامع وهو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة او موعظة او تنبيها
او نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال وهو كثير فى كلام الناظم
حبة اى لما تقرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها
له صلى الله عليه وسلم ومن انها جوزيت من جنس عملها بكثرة لبن شياهها
عقبه بما يبين ان تلك المضاعفة فى قوله لقد ضوعفت الاجر عليها بلغت
مراتب كثيرة فقال حبة اى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كحبة او ليس
هذا من الاستعارة بل هو من التشبيه البليغ لكن بحذف المبتدا الذى

واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

حبة انبتت سنابل والعصف لديه يستشرف الضعفاء

هو

هو المشبّه واشار الى وجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء بقوله انبتت
سنابل جمع سنبلة وهى مجتمع الحبّ وهذا اقتباس من قوله تعالى كمثل حبّة
انبتت سبع سنابل الآية وحذف الناظم لفظ سبع تنبيهًا على انّ خصوص
هذا العدد ليس مرادًا بل المراد مطلق الكثرة وقوله والعصف الخ جملة
حاليّة وهو ورق النبات اليابس كالتّبن وقوله لديه اى عنده وقوله
يستشرف اى تنتظر وتتطلع وقوله الضعفاء اى الفقراء اى جعلت
تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال انّ الوقت وقت عدم
النبات بالكليّة بحيث انّ الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلًا عن النبات
فضلًا عن الحبّ كما انّ حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن والحال انّ
قومها يتطلعون الى ورقة حبّة او قطرة لبن فلا يجدونه   واتت جدّه
اى وبعد ان انتهت مدة رضاعه لبلوغه سنتين اتت به جدّه عبد المطلب
وقوله وقد فصلته جملة حاليّة اى فطمته وقوله وبها اى والحال انه
قد لحق بها من فصاله اى فطمه اى من اجله وقوله البرحاء اى التألّم
الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه
واقامته عندها   اذ احاطت به اذ ظرفية او تعليليّة اى اتت به
وقت او لاجل انه احاطت اى احدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه والتعبير
بالجمع ظاهر على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية انهم اثنان لانهما
اقل الجمع عند جماعة وقوله فظنت اى حليمة بانهم اى الملائكة قرناء وقوله
قرناء جمع قرين اى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به
الى جدّه لتسلم من علقته   ورأى اى جدّه حيث ردّتها اليه وجدها
اى شدة محبتها له وتعلقها به فيه متعلّق بوجدها لما فيه من معنى التعلّق
كما علمت فردّه معها لذلك وليسلم من الوباء الذى كان بمكة وحذف هذا
البيت الثانى لكن سيأتى قد يدل عليه وقوله ومن الوجد الخ الجملة حالية مبيّنة
لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها ومن تعليليّة اى ومن اجل الوجد الذى بها
لهيب اى نار تصلى اى تحرق به الاحشاء جمع حشا وهو ما انطوت عليه
الضلوع ويحتمل انّ الجملة استئنافية وعليه فمن ابتدائية وح فهذا من ارسال
المثل وهو حكمة مفيدة انّ شأن الوجد انه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذى يحرق
الاحشاء وانّ وجدها من هذا القبيل فمن ثمّ رثى لحالها واطفأ نار وجدها
بردّه اليها   فارقته بدل من اتت وقوله كرهًا بالضمّ والفتح حال

وأتت جدّه وقد فصلته ... وبها من فصاله البرحاء
إذ أحاطت به ملائكة الله ... فظنّت بأنّهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد ... لهيب تصلى به الأحشاء
فارقته كرهًا وكان لديها ... ثاويًا لا يملّ منه الثواء

اى حال كونها ذات كراهة او كارهة للفراق لما شاهدت فى اقامته عندها
من الخيرات وقوله وكان اى والحال انه كان لديها اى عندها وقوله
ثاويا اى مقيما وقوله لا يمل بالبناء للمفعول وقوله منه متعلق بقوله الثواء
اى الاقامة اى لا تمل اقامته بل تحب ويرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان
الواسع المجبولة على حبه النفوس هكذا قرر الشارح هذا المقام واعلم ان اتيانها
به لجده وقع مرتين الاولى عند استكمال سنتين فقط وسببه جريها فيه على
عادة المرضعات من رد الرضيع لاهله عند استكمال مدة الرضاع فلما ردته
هذه المرة لجده رده وارجعه عليها ليكون عندها لامرين الاول شفقته
عليها لما رآى بها من المشقة على فراقه صلى الله عليه وسلم والثانى خوفه عليه من
الوباء الذى كان بمكة اذ ذاك والمرة الثانية عند استكمال سنتين وشهرين
او ثلاثة اشهر وسبب ردها له هذه المرة خوفها عليه من الجن بحسب ظنها
لما جاءته الملائكة لشق صدره فردته على جده فابقاه عنده ولم يرده عليها
ففارقته كرها هذا هو الحق فى تقرير المقام اذا علمت ذلك علمت ما فى كلام
المتن من التدافع لان قوله وقد فصلته ظاهر فى الرد الاول فيدافع هذه
العبارة ما بعدها من قوله اذا احاطت به الخ ومن قوله فارقته الخ لما علمت
من ان احاطة الملائكة انما هى سببه فى الرد الثانى ومن ان الفراق كرها
انما كان فى الثانى ايضا لانها فى الاول قد رجعت به فرحا فينبغى ان ينزل كلامه على
الرد الثانى ويقدر فى قوله وقد فصلته شئ يلتئم به مع ما بعده الصريح فى ان
الكلام فى الرد الثانى والتقدير وقد فصلته اى ومضى بعد فصاله شهران
او ثلاثة تأمل شق عن قلبه لما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم
ذكر قصة شق صدره لانه السبب فى احضاره لجده المذكور آنفا فقوله شق
بدل من قوله اذا احاطت به بدل اشتمال ويحتمل انه استئناف لبيان مطلق
الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع مما يأتى وحاصل ما وقع له من الشق
اربع مرات وتكريره من خصوصياته واما اصل الشق فوقع لكل الانبياء
الاولى من الاربعة عند مضى سنتين وشهرين الثانية عند استكماله عشر
سنين الثالثة عند مجئ الوحى له بالنبوة وهو فى غار حرا الرابعة عند الاسراء به
من مكة الى بيت المقدس هذا هو التحقيق وما قيل من ان الشق خمس مرات
فضعيف لعدم ثبوت الخامسة عند المحدثين ويؤيد الاحتمال الثانى
انه اى الناظم ذكر فى قصة الشق اشياء ككون الخاتم جبريل لم ترد فى قصة

شقه عقب الرضاع بل في شقه الذى بعد ذلك والقلب مضغة في
الفؤاد معلقة بالنياط وهو عرق يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه سريعًا
فهو اخص من الفؤاد وقيل هما مترادفان وقيل الفؤاد غشاء القلب والقلب
حبته وسويداه وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب ومثل هذا القلب
كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر وقوله واخرج منه اى من
القلب مضغة اى قطعة لحم بقدر ما يمضغ وقوله عند غسله متعلق باخرج
وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية
فعدمها نقص في البدن وجاء في رواية انه اخرج منه علقتان سوداوان
ولا ينافيه تفسير الناظم لان المراد بالعلقة فيه الجنس ختمته اى ختمت
ذلك الشق المفهوم من شق وهذا استئناف او معطوف على شق بحذف
العاطف اى ثم بعد شقه لامته واعادته الى ما كان عليه فالمراد بالختم هنا
اعادته الى ما كان عليه بامرار جبريل يده على محل الشق هذا هو المراد بالختم
في المرة الاولى من مرات الشق واما ما ورد في بعض الروايات من ان
جبريل ختمه بخاتم من نور يحار الناظر دونه فهو في غير المرة الاولى وقوله
الامين اى على كتب الله ووحيه وهو جبريل وقوله وقد اودع اى ذلك
القلب جملة حالية اى اودع حال الشق من الايمان والحكمة والعلوم
والاسرار ما اى الذى او شيئا لم تذع بضم التاء وكسر الذال المعجمة وقوله
له اللام زائدة اى ما لم تنشره اى ما لم تحط به انباء اى اخبار لانه لا يعلمه
الا الله تعالى المولى له والمتفضل به فالمراد انها لم تشعه من حيث تفصيله
والاحاطة الحقيقية والا فقد اشاعته اجمالا والنبا الخبر الصادق فهو
اخص من مطلق الخبر صان اى حفظ اسراره اى اسرار ذلك القلب
التى اودعت فيه الختام اى الواقع من جبريل وهو كالخاتم ما يختم به الكتاب
من طين ونحوه وقوله فلا الفض اى فبسبب هذه الصيانة لا الفض
اى الكسر مع ابانة وقوله ملم اى واقع بذلك الختم راجع للختام وقوله
ولا الافضاء اى الاشاعة واقعة بذلك السر فهو راجع للاسرار المصونة
بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب والمراد بكون الاشاعة غير واقعة بالاسرار
عدم الاحاطة بها والا فبعضها قد اشيع وعن حليمة لم نزل نتعرف من الله
الزيادة والخير حتى مضت له سنتان وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه
الغلمان فقدمنا به على امه ونحن احرص شئ على بقائه عندنا وقلنا لامه لو تركتيه

ختمته يمنى الامين وقد اودع ما لم تذع له انباء

صان اسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه من وباء مكة فردته معنا فرجعنا به فمعد

مقدمنا بشهرين او ثلاثة فاذا هو مع اخيه من الرضاع خلف بيوتنا فجاء اخوه

يعدو فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا

بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه

وقال له ما شانك يا بني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا

بطني ثم اخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه

يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني هذا قد اصيب فانطلقي نرده الى اهله

قبل ان يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فاصدقا

شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه من الشيطان

لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان عظيم فدعاه

عنكما الف النسك لما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق

صدره ذكر حكم نشأته في حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الاتي

نتيجة ما اودعه في قلبه من الاسرار فقال الف النسك والعبادة عطف

تفسير اي اعتادهما واستمر عليهما وقوله والخلوة اي عن الناس وقوله

طفلا حال اي حال كونه طفلا فما بعده كما فهم بالاولى وكان تعبده ان يخرج

الى حراء شهرا في كل عام يتنسك فيه حتى اذا انصرف من مجاورته في حراء لم

يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وكان يعبد الله في حراء بالذكر والفكر وكان

يكثر الخلوة في غير حراء ايض وقوله وهكذا النجباء اي الكرام اي ومثل

هذا الشأن العلي شأن الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على الاطلاق

وقوله وهكذا الخ تذييل وهو تعقيب الجملة باخرى تشتمل عليها للتاكيد

واذا حلت الهداية اي وانما كان هذا شأن النجباء من الانبياء واممهم لما هو المستقر

المعلوم انه اذا حلت الهداية وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط

وقوله نشطت في العبادة الاعضاء نشطا كسمع وذلك لان القلب رئيس

البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم جاء في الحديث ان في الجسد مضغة

اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا

من الكلام الجامع الذي مرت نظائره واعلم ان بين انتهاء رضاعه وبين

مبعثه وقائع وقعت له لا باس بالاشارة الى بعضها وذلك ان حليمة لما ردته

الى امه وجده كان في حفظ الله تعالى ينبته نباتا حسنا ويوفقه لافضل الا عمال

والاحوال كما اشار اليه الناظم بقوله الف النسك الخ ولما بلغ اربع سنين وقيل

في

الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء



ثنتا عشرة وبين ذلك اقوال أخر ماتت امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور
اخوال ابيه فاقامت بها شهرا ومعها مملوكته ام ايمن وتعلم العوم في بئر بني
النجار ولما رجعت به امه ماتت بالابواء وفي رواية انها دفنت بالحجون وفي
أخرى في بعض دور مكة وحضنته بعدها ام ايمن ثم مات جده كافله وعمره
ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل فكفله عمه ابو طالب شقيق والده ولما بلغ
ثنتي عشرة سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب
فعرفه بصفته ثم سأل عمه ان يرده خوفا عليه من اليهود وثبت ان الغمامة ظللته
في ذلك السفر وثبت انها ظللته ايضا وهو عند حليمة في بني سعد ولما بلغ ثماني
عشرة سنة سافر الى الشام مرة اخرى للتجارة وكان ابو بكر معه فعرفه بحيرا ايضا
ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة الى الشام في تجارة لخديجة ومعه غلامها
ميسرة وفي هذه السنة تزوجها ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة بنت قريش الكعبة
وكان ينقل الحجارة معهم ثم لما تقارب بعثه تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان
النصارى لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن
كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة فيعلمون بعض خبر
السماء فلما دنى مبعثه حجبت الشياطين عن السمع فلذا قال بعث الله الشهب

بعث الله بعث الله اي ارسل وسلط وقوله عند ظرف زمان مثلث الاول
او مكان كما في القاموس والمراد هنا الزمان وقوله مبعثه اي عند بعثه وارساله
اي قرب زمن بعثه الى الخلق كلهم وقوله الشهب جمع شهاب وهو شعلة نار تنفصل
من الكوكب تحرق الشيطان المسترق للسمع فالكوكب نفسه لا ينفصل عن
محله وقيل ينفصل ثم يرجع واذا انفصلت الشعلة تسقط على المسترقين منهم
فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير
غولا يضل الناس في البراري وقوله حراسا جمع حارس على غير قياس فهو حال
او مصدر اي لاجل الحراسة للشريعة التي سيأتي بها من الشياطين ان يخلطوا
بها ما ليس منها وقوله الفضاء اي الخلاء والجهات والمفازات الواسعة
فلم يبق لهم محل يسترقون السمع منه وحاصل هذا ان الجن كانت تصعد السموات
حتى السابعة فتسمع الاقضية والاحكام والمغيبات التي تكتبها الملائكة وتتكلم بها وتنزل
بها الى الارض فتخبر بها الكهان وتزيد على الكلمة الحقة مائة كذبة فلما ولد عيسى
منعوا من ثلاث سموات بلا شهب اي اعجزهم الله عن صعودها فلما ولد محمد
صلى الله عليه وسلم منعوا من البقية بالشهب لكن صاروا يصعدون ويصلون

بعث الله عند مبعثه الشهب
حراسا وضاق عنها الفضاء

الى مقاعد واماكن قريبة من ابواب السماء فيستمعون منها فلما بعث زيد
في المنع والطرد والحراسة وكثرة الشهب فصاروا لا يصعدون اصلا ولا يرمى
بالشهب اصلا وما يرى الآن من صورة نجم يسقط في النجوم يعود فليس
من هذا القبيل بل هو شئ يعلمه الله تعالى تطرد حال من الشهب وقوله
الجن هم اجسام نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة بان يعلمهم الله قولا
او فعلا اذا اتوا به تنقلهم من صورة الى اخرى واما تصوير الجنى لنفسه فمحال وكذا
يقال في تصور الملئكة وقوله عن مقاعد اى امكنة قريبة من السماء كانوا يقعدون
فيها يستمعون شيئا من الملئكة المتكلمين بما سيقع في الارض من الاقضية
والمغيبات واصل هذا قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن الى قوله
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا
الى قومهم منذرين قائلين يا قومنا انا سمعنا كتابا الى آخر ما قصه الله عنهم في سورة
الاحقاف وعن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا
يدخلونها ويأتون باخبارها ويلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد
يريد استراق السمع الا رمي بشهاب الى آخر ما تقدم وقوله كما تطرد ما موصولة
او مصدرية والذئاب جمع ذئب بالهمز وقد يخفف بابداله ياء وقوله الرعاء
بضم اوله وكسره والمراد رعاة الغنم هكذا اطلق الشارح وظاهره ان كلا من الضم
والكسر مع الهمز وليس كذلك بل بعضهم اذا كسر اوله همز آخره واذا ضم اوله انثه بالتاء
في آخره تحت اى فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محيت
وازالت وقوله آية الكهانة مفعول مقدم وقوله آيات من الوحي فاعله
والكهانة بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اى مخبرا بالامور الخفية
والمغيبات البعيدة فالكاهن هو المخبر بالمغيبات كعلماء اليهود ورهبان النصارى
وهذه الكهانة كانت في العرب وكان سببها ما تلقيه الشياطين اليهم من اخبار
السماء الصادقة التي يسترقونها قبل حجبهم ومنعهم وما يضمونه اليها من الكذب
وقوله من الوحي اى حالة كون الآيات من جملة الوحي اى المخبر به وهو اقسام تارة
يكون بالكتابة كما في التورية وغيرها من الكتب القديمة وتارة بالالهام وتارة
بالكلام الخفي وهذا في مطلق الوحي واما الوحي له عليه الصلاة والسلام
فاقسامه الرؤيا الصادقة وما يلقيه الملك في روعه بضم الراء اى في قلبه من
غير ان يراه ومنها تمثل الملك له رجلا فيخاطبه ومنها رؤيته على صورته الاصلية

ومنها

ومنها سماع صوته مثل صلصلة الجرس الى غير ذلك وتصوره المذكور على صورة رجل مع ان صورته الاصلية كبيرة جدا غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام كما ان القطن يقبل الانكباس وهذا اولى من قول بعضهم ان صورة الملك الاصلية باقية بحالها وصورة الرجل صورة اخرى له وروحه متعلقة بهما كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم وروحهم واحدة والتكليف مناط باى صورة ارادها الانسان قال صلى الله عليه وسلم الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابرهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا اه وورد انهم بالشام وورد انهم اربعون رجلا واربعون امراة وجمع بان الحديث الذى فيه انهم ثلاثون اى ممن كانت قلوبهم على قلب ابرهيم الخليل كما ذكر فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امراة قلوبهم على قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابرهيم انهم يتقلبون فى المعارف الالهية التى يتقلب اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب كبير من ملك او رسول يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وانما سموا ابدالا لان كل من مات منهم ابدل الله مكانه غيره روى الحكيم الترمذى ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف اجعل على ظهرك اربعين صديقا كلما مات منهم رجل ابدلت مكانه رجلا ومن علامة البدل انه لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه احد تجسمت له تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله تكلمه ويكلمها وهو غائب عنهم انتهى وقوله زرا قدامي علمته بمعنى عرفته اى ابصرته وكان الاولى تقديم هذه القصة على قصة ارسال الشهب ليوافق الواقع لان قصة تزوجه بها كانت فى خمس وعشرين سنة وارسال الشهب عند المبعث كان على راس الاربعين وقوله خديجة بالتنوين بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى فتلتقى مع النبى فى قصى وهو رابع اب لها وخامس له وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر وهى افضل نسائه على التحقيق وقوله والتقى الواو للحال وهو البراءة من كل شىء سوى الله تعالى وهذا غايته ومبداه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء الحرام وكذا يقال فى التقوى وقوله والزهد هو الاقتصار على قدر الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وقوله فيأى كل منهما وقوله سجية

بالسين المهملة اى خلق غريزى وملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل والاختلاف فى كون حسن الخلق غريزة او مكتسبا محله فى غيره صلى الله عليه وسلم وقوله والحياء اى سجية فيه ايضا وهو بالمد تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به ماخوذ من الحياة ولذا سمى المطر حيا ايضا لكنه مقصور وقال بعضهم الحياء شرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ويطلق الحياء بالمد على فرج ذى الظلف والخف

واتاها ان الغمامة اى اخبرها بذلك ميسرة عندها حين رجوعه من الشام مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عام زواجه بها والغمامة سحابة كان طولها عشرة اذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عند راسه كذلك وتظليلها له كان قبل البعثة تاسيسا للنبوة واما بعدها فلم تظله وثبت تظليلها له فى صغره فراتها امه واخوه من الرضاع وفى سفره الى الشام رآها من كان معه ورآها بحيرا الراهب وغيره بل وراتها خديجة حين اقباله على مكة وهو راجع من سفره وقوله والسرح جمع سرحة كتمر وتمرة والمراد به الشجر وثبت تظليله له فى سفره الى الشام حين وصلوا الى بحيرا وجلسوا تحت ظل شجرة ولم يبق منه موضع خال وهو صلى الله عليه وسلم يرعى الابل فامرهم بحيرا ان يدعوه فدعوه فجاء فجلس فى الشمس فمالت الشجرة وانحنت اغصانها عليه فظللته وهم ينظرون وقوله افياء جمع فئ وهو ما نسخ الشمس فهو ما بعد الزوال بخلاف الظل فانه ما نسخته الشمس فهو ما قبل الزوال واحاديث اى واتاها ايضا احاديث اى اخبار اخبرتها بها الاحبار والرهبان والكهان لكن الاحبار والرهبان اخذوا ذلك من كتبهم والكهان اخذوه من الشياطين المسترقين للسمع وقوله ان وعد اى بان وعد وهو مصدر مضاف لمفعوله اى بان وعد رسوله والوعد عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير وقوله بالبعث اى الارسال وقوله حان اى قرب وقوله منه متعلق بحان لانه بمعنى قرب كما علمت وقوله الوفاء اى بذلك الوعد فصلته محذوفة فدعته اى فبسبب ما راته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له عقل على خدمته والتعلق به وقوله دعته اى خطبته وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما رايته وعرفته منك وسنها اذ ذاك اربعون سنة وسنه خمس وعشرون سنة وتزوجت قبله برجلين تزوجت اولا عتيقا المخزومى وولدت منه ذكرا وانثى ثم تزوجت هندا ابى هالة فولدت منه ذكرا هندا وهالة ثم ولدت من النبى سبعة الاولى سنة ...

وأتاها أن الغمامة والسّر ح أظلته منها أفياء

وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

فدعته إلى الزواج وما أحسن أن يبلغ المنى الأذكياء

هبان

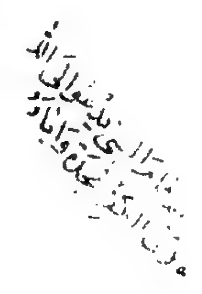
ثم

ثلاثة ذكور واربع اناث وقوله وما احسن صيغة تعجب وقوله ما بلغ ما مصدرية فتؤول مع ما بعدها بمصدر وقوله المنى جمع منية كمدية ومدى وهي الاماني جمع امنية وهي ما يتمناه الانسان وقوله الاذكياء جمع ذكي والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد تيقظه اى شئ عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومن اكملهم خديجة فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه كل ما تمنته واملته ما لم تبلغه امراة غيرها من هذه الامة ولما عرضت نفسها عليه ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها اليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين ناقة وحضر ابو بكر ورؤساء قريش فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها ابوها منه اهـ وقوله وضئضئ بمعجمتين او مهملتين معناه الاصل وقوله حضنة بيته اى الكافلين له وقوله وسواس حرمه اى حراسه المتولين لامره   واتاه اى ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه اتاه بعد النبوة والرسالة فى بيتها وقوله جبريل كعندليب لغة فى جبرئيل ليلقى اليه الوحى وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل منه الى عين اليقين وعلم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل النقلى وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء صفات العبد فى صفات الرب وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذى يفنى انما هو صفات العبد لا ذاته هذا هو التحقيق خلافا لمن غلط فيه وقوله ولذى اللب اى ولصاحب اللب اى العقل الكامل وخديجة من اكمل العقلاء وقوله فى الامور اى الاحوال التى تشتبه وقوله ارتياء اى استبصار من ارتأى تراى نظر فيه بالعين او القلب كما فى القاموس   فاماطت اى فبسبب تلك المحبة اى محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين مع ما عندها من كمال العقل اماطت اى ازالت عنها اى عن راسها الخمار وهو ما يخمر اى يغطى به الراس لتدرى اى لكى تعلم عين اليقين اهو اى الذى

واتاه فى بيتها جبريل ... ولذى اللب فى الامور ارتياء

فاماطت عنها الخمار لتدرى ... اهو الوحى ام هو الاغماء

عرض له حتى اخرجه عن حالته المعروفة منه وقوله الوحى اى حامله الذى
يأتى به وقوله الاغماء اى الذى هو بعض الاعراض البشرية العادية ومن ثم
جاز على الانبياء دون الجنون فاختفى اى فبسبب ازالتها الخمار عن راسها
اختفى عند كشفها الراس مفعول كشف المضاف لفاعله وقوله او اعيد
الغطاء اى الى ان اعادت غطاء راسها فاعيد فعل ماض مبنى للمفعول والغطاء
نائب الفاعل وانما اختفى عند كشف راسها لانه لا يحل فى مكان فيه امراة مكشوفة
الراس وروى اصحاب السير انه لما اخبر خديجة بالوحى الذى يأتيه قالت له
اتستطيع ان تخبرنى بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل
اخبرها به فقالت له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت له اتراه قال نعم
فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال نعم فقالت فاجلس فى حجرى
ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت
وابشر فوالله انه لملك وما هو شيطان فاستبانت خديجة بالصرف
للضرورة والفاء للسببية اى فبسبب ما ترتب على اختبارها ظهر لها اتم
الظهور وعلمت علم اليقين انه اى النبى صلى الله عليه وسلم الكنز اى الشئ
النفيس بل الذى لا انفس منه وقوله حاولته اى ارادت حيازته والظفر به
وحازته وظفرت به بالفعل وقوله وانه الكيمياء يطلق الكيمياء على الاكسير
المعلوم وعلى العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة
واقتصر فى القاموس على انها الاكسير ولم يذكر اطلاقها على العلم المعروف
والكلام من قبيل التشبيه البليغ اى انه كالكنز وكالكيمياء لانه بهما تحصل
الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان النبى كذلك ويصح ان يكون
الكلام من قبيل الاستعارة فاستعير الكنز وهو المال المدفون والكيمياء
وهو الاكسير المعروف للنبى لانه بهما تحصل الذخائر الى آخر ما تقدم ويصح ان
يكون الضمير فى انه لما يعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وهو الوحى والكلام من
قبيل التشبيه او الاستعارة كما تقدم ثم قام النبى اى ثم بعد ما نبئ
على راس الاربعين بقوله تعالى اقرأ باسم ربك الآيات الخمس وفتر عنه الوحى ثلاث
سنين ونزل قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر الى امتثال ذلك فقام
اى جد واجتهد وقوله يدعو حال وقوله الى الله اى لعبادته والايمان به وبرسله
وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام فاول ما وجب عليه الانذار والدعاء الى
التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل قال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم



قبل

قبل الاسراء يصلى قطعاً لكن اختلف هل فرض عليه قبل الخمس صلاة ام لا
فقيل فرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وثبت ان جبريل نزل عليه فى
اول البعثة وهو فى بطحاء مكة فضرب الارض برجله فنبعت عين ماء فغسل
وجهه ونضح على ازاره مما يلى فرجه ثم توضأ ثم امره ان يفعل مثل فعله ثم صلى وامره
ان يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ورجع النبى لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر [illegible]
وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها ثم امرها فتوضأ
وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها وذكر السيوطى فى الاتقان
انه لم يحفظ صلاة فى الاسلام بغير الفاتحة وهذا يدل على ان الفاتحة من
اول ما نزل وقوله وفى الكفر اى فى اهله صدع بكسر النون اى قوة تامة وتحرب
عليه وقوله واباء اى امتناع عن اتباعه والايمان به   امما مفعول يدعو
اى جماعات وقوله اشربت قلوبهم الكفر بالبناء للمفعول اى اختلطت به بتقدير
تجسيمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وفى الكلام استعارة اما تصريحية
فى الفعل بان شبه مخالطة الكفر لقلوبهم وشدة امتزاجه بها باشراب الماء ونحوه
واستعير الاشراب للمخالطة واشتق منه اشربت او مكنية فى الكفر بان شبه
بمشروب كالماء بجامع قوة السريان واشربت تخييل وقوله فداء الضلال
اى مرضه او الاضافة بيانية وقوله فيهم صفة اى الذى استقر فيهم اى فالداء
الذى استقر فيهم وهو الكفر عياء بمهملة مفتوحة فتحتية اى ذا عضال لا يرجى به
برؤه اعيا الاطباء مداواته ولما قام يدعو الى الله دخل فى الاسلام رجال ونسا
واولهم على الاطلاق خديجة من النساء ثم ابو بكر من الرجال ثم على من الصبيان
ثم زيد من الموالى ثم بلال من الارقاء وكان مخفيا امره ثم امره الله باظهاره
بقوله فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من الرسالة وتحزب عليه قومه سنة اربع
فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صدق الحمية كابى طالب فانه
تصدى لمنعهم عنه وفى سنة خمس اذن لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فكان اولهم
عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حمزة عمه سنة
ست فعز به وكفت عنه قريش قليلا ثم اسلم عمر بعده بثلاثة ايام فعز به كثيرا
ورأينا اى معشر الاجابة وهى علمية عرفانية فى حق الصحابة وغيرهم
ويصح ان تكون بصرية فى الكل لكن فى الصحابة ظاهر وفيمن بعدهم بالنسبة الى
نقوش القرآن ويصح ان تكون مستعملة فى المعنيين فتكون بصرية بالنسبة للصحابة
وعلمية عرفانية بالنسبة لمن بعدهم وقوله آياته اى معجزاته وقوله فاهتدينا اى وصلنا

امما اشربت قلوبهم الكفر
فداء الضلال فيهم عياء

ورأينا آياته فاهتدينا
واذا الحق جاء زال المراء

الى المطلوب منّا من كمال الايمان وقوله واذا الحق جاء اى تقرر وثبت وقوله
زال المراء اى العناد والجدال وهذا تلميح لقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق
الباطل   رب اى يا رب ان الهدى اى اتباع الحق هداك اى ليس الا بتوفيقك
وهدايتك كما قلت فمن يرد الله ان يهديه الآية وقوله وآياتك معطوف
على اسم ان اى وان آياتك او مرفوع اى وآياتك التى الشهادة آلة على صدق
انبيائك نور كما قلت قد جاءكم من الله نور وقوله من تشاء اى من تشاء
هدايته اى وتضل عنها من تشاء غوايته فهذا اشارة الى ان الآيات لا تنفع
مع سبق الشقاوة   كم رأينا ولما قرر ان الهدى هدى الله وان الآيات
وحدها لا تغنى شيئا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو ان غير العاقل
قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم رأينا كم خبرية ويجوز حذف مميزها كما
فعل الناظم اى كم مرة اى مرارا كثيرة فان ذكر المميز جر باضافتها اليه عند البصريين
وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه وقوله رأينا اى علمنا
وابصرنا نظير ما مر وقوله ما ليس يعقل اى شخصا ليس يعقل اصلا كالفيل
وبعض الاحجار وقوله قد الهم هذه الجملة فى محل نصب ثانى مفعولى رأى وقوله
ما ليس يلهم اى اشياء كثيرة حرمها العقلاء   اذ ابى الفيل علة لرأى
اى امتنع الفيل ان يفعل ما اتى اى عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة ملك
صنعاء وكان من عمال النجاشى ملك الحبشة ومن امرائه وقد قيل انه جد النجاشى
الذى كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والذى اتاه وعزم عليه صاحب
الفيل هو هدم الكعبة وقوله ولم ينفع الحجا بالقصر اى العقل الوافر ولا
الذكاء اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل وعلم ان الهداية ليست
الا بتوفيق الله تعالى وسبب هذا ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى
ومن عماله وجنده بنى كنيسة بصنعاء وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس
رخاما واحجارا وامتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل
فيها منابر من عاج وابنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا واستذل
اهل اليمن فى بنائها فكان من تأخر منهم عن العمل حتى تطلع الشمس قطع يده وكتب
الى النجاشى ملك الحبشة انى قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب
اليها فجاء رجل من بنى كنانة فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالغائط فغضب ابرهة
وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهيأت ثم سار ومعه
الفيلة وعظيمها يسمى محمودا وكان ابيض وهو الذى ابى وامتنع من السير

الى

يبين

شيء

أن

رب ان الهدى هداك وآياتك نور تهدى بها من تشاء

كم رأينا ما ليس يعقل قد الهم ما ليس يلهم العقلاء

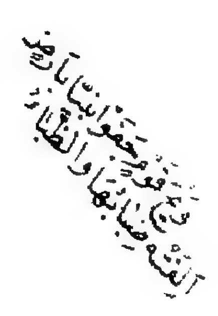
اذ ابى الفيل ما اتى صاحب الفيل ولم ينفع الحجا والذكاء

الى تخريب الكعبة وهو المراد فى القرآن وفى النظم فخرج عليه فى الطريق ملوك
من اليمن يمنعونه فهزمهم واسرهم وسار الى ان نزل عند عرفة فلم يدخل الحرم
على الراجح وقيل دخله ونزل عليهم العذاب فى وادى محسّر وهو بين منى والمزد
فبلغ ذلك عبد المطلب وكان النبى حملاً فى بطن امه فقال يا معشر قريش
لا يصل لهذا الهدم البيت ان له ربا يحميه ثم وقع بينه وبينه وقائع كثيرة ثم
وجّه ابرهة الفيل لجهة الكعبة فبرك لان فى الفيلة نوعا يبرك كالبعير
فضربوه كثيرا وكانوا اذا وجهوه الى الكعبة برك واذا وجهوه لغيرها اسرع
وهرول ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل اى جماعات كامثال الخطاطيف
خرجت من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران بين رجليه
كامثال العدس وكان يرمى الواحد على الرجل منهم فيسقط على راسه ويخرج
من دبره فيموت لوقته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة
فى جسده بداء فتساقطت منه اعضاؤه وبقى حتى وصل الى صنعاء وسال
منه الصديد والقيح ثم مات وكانت هذه القصة ارهاصا وتاسيسا لنبوته
عليه السلام ولما هلك ابرهة وتمزقت الحبشة بقيت تلك الكنيسة خربة
وسكنها الجن فكان كل من تعرض لاخذ شئ من بنائها وامتعتها اصابته الجن بسوء
لانه كان بناها على اسم صنمين واستمرت هكذا الى زمن السفاح اول خلفاء بنى
العباس فبعث اليها جماعة من اهل الحزم والعزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا
واندرست فلله الحمد والمنة   والجمادات لما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر
قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال والجمادات وهى ما لا روح له افصحت
اى اظهرت ونطقت بكلام بيّن فصيح قيل يخلقه الله فيها من غير حياة وان
من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق فيها حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة
عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما ياتى فى حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل
على ان الله خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن وان ولذا عامله صلى الله
عليه وسلم معاملة الحى فضمه الى صدره حتى سكن وقوله بالذى اى بالشهادة
بالانباء والارسال والتسبيح الذى خرس عنه الفصحاء وقوله لاحمد متعلق
بافصحت اى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة امتنعت
السنتهم من النطق بالايمان به بارساله اليهم وشهدت له بذلك الجمادات الصم
بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يده ثم فى يد ابى بكر
ثم فى يد عمر يسمع تسبيحه كل من كان فى المجلس وصح ايضا انى لاعرف حجرا بمكة

لغة

ودانت لافصحت بالذى امرا
سكت عنه لاحمد الفصحاء

كان يسلم على قبل ان ابعث انى اعرفه الآن وهو الموجود الآن فى زقاق
الحجر عند بيت خديجة وصح عن على كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم
بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبلنا حجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وروى ابو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة
جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وصح انه
طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها
فاقبلت تخد الارض خدا اى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها
فشهدت ثلاث مرات ثم رجعت الى منبتها ومعجزاته من هذا القبيل كثيرة



ويح قوم منصوب بفعل محذوف على انه مفعول مطلق تقديره
اهلكهم الله هلاكا فمعناها الهلاك وهى فى الاصل كلمة ترحم تقال لمن وقع
فى مهلكة لا يستحقها وهؤلاء المحاربون له والجافون له وقعوا فى مهلكة وهى
العذاب الدائم اى فى سببها وهو جفاؤهم للنبى والترحم من حيث النظر
الى قرابتهم له فهم لا يستحقون الهلاك من تلك الحيثية فالترحم باعتبارها
وقوله جفوا نبيا اى بغضوه وآذوه الاذى البالغ بل قصدوا قتله فجازاه
الله منهم وقوله ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة لكنه
غريب ضعيف بل قال بعضهم لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا
اصطاد ضبا فلما راى النبى طرحه بين يديه وقال لا او من بك حتى يؤمن بك
هذا الضب فقال يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى فى
السماء عرشه وكلمات اخر قال من انا قال انت رسول رب العالمين فاسلم
الاعرابى وقوله والظباء جمع ظبى روى حديثه البيهقى وابو نعيم والطبرانى
قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبى فقد كذب وهو بينما
رسول الله فى صحراء اذ هتف هاتف وقال يا رسول الله ثلاث مرات
فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ما حاجتك
فقالت صادنى هذا الاعرابى ولى فى هذا الجبل ولدان فاطلقنى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار اى المكاس
ان لم افعل فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابى فقال
يا رسول الله الك حاجة قال نعم تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو
فى الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ولم يرد المصنف
الحصر فى هذين بل صح ان الجماد كلمه وكذلك الذئب الفه واخبر بنبوته

فقد ورد انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا
رزقه الله الي فتعجب الراعي من كلامه فقال له الذئب الا اخبرك باعجب من
ذلك محمد بيثرب يخبر الناس باخبار ما قد سبق وهو آت فاتى الراعي النبي
فاخبره بذلك فجاء الذئب فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء
يسالكم ان تجعلوا له شيئا من اموالكم قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم
حجرا فرماه به فادبر وله عواء وفي رواية ان الذئب قال للراعي انت اعجب
فقال له لم فقال لان النبي بعث بيثرب وانت مع غنمك تارك له وبينك
وبينه هذا الجبل فقال للذئب اذا مضيت اليه فمن يحرس غنمي قال الذئب انا
احرسها لك فذهب والذئب يحرسها الى ان وصل اليه صلى الله عليه وسلم فاسلم
ورجع فوجدها بحالها والذئب يحرسها فذبح له شاة منها واطعمها له وثبت
ايضا ان الجمل كلمه وذلك ان جماعة من الانصار شكوا اليه جملهم وانه امتنع
من العمل حتى عطشت النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل
الحائط تمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب فقال انه ليس
علي منه باس فاقبل نحوه الجمل حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته حتى
ادخله في العمل وسلوه اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم
وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله وقوله وحن جذع اليه الجملة حالية وقد جاء
حديثه من طرق كثيرة وحاصل قصته انه قيل ان النبي قبل ان يعمل له المنبر
كان يخطب وهو واقف على الارض مستند الى جذع نخلة وكان عمودا من
عمدان المسجد اذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درج
وضعه موضع المنبر الذي بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر
فصاح الجذع حتى سمعه كل من في المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى
تصدع اي الجذع وانشق فنزل صلى الله عليه وسلم وضمه اليه حتى سكن وقال
والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة وخيره بين
ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وبين ان يغرسه في الجنة يأكل اهلها من ثمره
فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وامر به فدفن وقد احترق في حريق المسجد
الذي وقع في القرن السادس وقوله وقلوه اي ابغضوه وودّه اي والحال
انه قد ودّه اي احبه الغرباء الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش
من كماله الاعظم وهؤلاء الغرباء كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه
صلى الله عليه وسلم من حين ارسل مكث عشر سنين يخرج في كل موسم لعرفة وغيرها

وسلوه وحن جذع اليه وقلوه ووده الغرباء

ت

يعرض نفسه على قبائل العرب ويقول من يحمي ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فلم يجبه
احد من العرب خوفا من قريش فقبل الهجرة بثلاث سنين لقي في منى بعض الخزرج
عند العقبة التي هي بجنب منى فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون
اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلى عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا
نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا بعث الآن نتبعه ونقتلكم
معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة فقال لهم تمنعون ظهري
حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا ندعوا قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد
اعز منك وموعدك الموسم في العام القابل وامرهم بالكتمان عن اهل مكة فلما
وصلوا المدينة لم يبق فيها دار الا وفيها ذكره ثم في العام الثاني لقيه اثنى عشر
خمسة من الستة الاول والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين فمن الاوس وهذه
هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا واظهر الله
الاسلام فيهم وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم ثم ارسلوا
يطلبون من يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يده جمع
كثير منهم سيدا الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم بنو عبد الا [شهل]
كلهم في يوم واحد رجالا ونساء ثم قدم في العام الثالث في موسم منى نحو سبعين
رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم
وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وحضر العباس هذه الثالثة واكد
عليهم صدق الحديث ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقي معه في مكة بالهجرة
الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام ينتظر الاذن في الهجرة واستأذنه ابو بكر
فقال لا تفعل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر في ان يهاجر معه
فاجتمعت قريش على تدبير امر يضرونه به كما في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
الآية فاتاه جبريل فقال له لا تبت في هذه الليلة على فراشك فاجتمعوا الى الليل
ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فخرج عليهم فاعماهم الله عن رؤيته واخذ كف
تراب فرماهم به فكان على رؤسهم وهو يتلو يس الى يبصرون فلما اصبح النهار
مر عليهم رجل فقال ما شانكم قالوا ننتظر محمدا فقال انظروا الى رؤسكم فنظروا
فراوا التراب عليها فعرفوا انه قد خرج من بينهم واعماهم الله عنه ثم اذن الله له
في الهجرة كما قال اخرجوه منها   اخرجوه منها بدل من جفوه اي كانوا السبب
في خروجه منها اي من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن آبائه
واحب ارض الله الى الله والى رسوله وبقولنا كانوا السبب الخ اندفع ما يقال

اخرجوه منها اي ارادوا اخراجه [illegible]

هو لم يخرج منها الا باذن من الله فهو السبب فقط ووجه الاندفاع ان تسببهم في خروجه بمبالغتهم في ايذائه وايذاء اصحابه هو الحامل على انتظار الاذن له من الله في الخروج فتسببهم سبب لاستيذانه ووقوع الاذن له فاسناد الاخراج اليهم بهذا الاعتبار ابلغ من اسناده لاذن الله تعويلاً على اسبق السببين مع كونه سبباً في الثاني وكان هذا الخروج بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة اشهر يوم الخميس وجاء بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال له قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتيّ وكان قد اشترى راحلتين اي ناقتين قبل ذلك بستة اشهر فعلفهما منتظر الخروج عليهما فقال له النبيّ اخذها بالثمن فاخذها منه باربعمائة درهم كما اشتراها ابو بكر وقيل انه ابراه منها فيما بعد وبقيت هذه الناقة عند النبيّ مدة حياته حتى ماتت في خلافة ابي بكر وتزودا اي اخذا الزاد من بيت ابي بكر وخرجا منه ليلة الجمعة فوصلا الى غار ثور ليلاً فاقاما فيه بقية ليلتهما وليلة السبت وليلة الاحد وخرجا منه ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الاثنين فكانت مدة سفرهما ثمانية ايام وقوله وآواه غار وهو نقب في جبل ثور ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الاثر عند ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار انبت الله على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال وحمته حمامة ورقاء وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلهما والمراد بها الجنس لانهما كانتا ثنتين ومعنى حمايتهما له ان فتيان قريش من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما رأيت قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما اربكم في الغار ان فيه عنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال وكفته بنسجها الخ وكفته بنسجها عنكبوت يطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى قال في حياة الحيوان نسج العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فيها يورث الفقر وتركه في الاصطبل يضعف الدواب

وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

واصله امرأة ساحرة مسخها الله تعالى ويستحب قتله قال صلى الله عليه وسلم
اقتلوا العنكبوت فانه شيطان ومع ذلك نسجه كما مر وكما نسج على المصطفى
نسج على عبد الله بن انيس لما ارسله النبي لقتل كافر فقتله ودخل غارا فنسج
عليه فجاؤا في طلبه فلم يروه ونسج ايضا على زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه
لما صلبوه مجردا من ثيابه ونسج ايضا على داود عليه السلام لما طلبه جالوت قاله
القرطبي اهـ من شرح المنهاج لابن الملقن وقوله ما كفته اي الاعداء الذين كفته
اياهم الحمامة الحصداء اي الكثيرة الريش ماخوذ من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة
الورق فوصفها اولا بورقاء وثانيا بحصداء لاجتماع الوصفين فيها وروى
ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت في اعلاه وقالوا لو دخلا
لتكسر البيض وتقطع وزال نسج العنكبوت وروى انه لما اتى الكفار ابصارهم
فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حوله ولا يرون ما فيه
واختفى معطوف على وآواه غار اي استتر وقوله على قرب اي مع قرب
وقوله مرآه اي محل رؤيته وقوله ومن شدة الظهور بيان لحكمة اختفائه
واستتاره منهم مع ظهوره لهم وقربه منهم بحيث لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه
لرآه فهو بمنزلة التعليل لما قبله والمراد بالظهور غلبته عليهم والمعونة الالهية
التي امده الله بها وقوله الخفاء اي عنهم اي الخفاء الذي حصل له خرقا للعادة
وهو عدم رؤيتهم له واستتاره عنهم اي وكان خفاؤه عنهم وحجبهم عن رؤيته
من اجل شدة الظهور الذي امده الله به وهو المعونة الالهية كما تقدم وروى
ان ابا بكر دخل قبله ليقيه بنفسه وانه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم في الغار
يقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكى وانه رأى في الغار احجارا متعددة
فصار يقطع ثوبه ويسد به الاحجار فبقي جحر لم يفضل له شيء من الثوب
فجلس قريبا منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والافاعي تضربه
وتلسعه فصارت دموعه تنحدر وكان النبي قد نام وجعل راسه في حجره فما
يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبي فتنبه فقال ما لك قال
لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده فلما اصبح ساله النبي عن ثوبه فاخبره الخبر
فتوجع ودعا له وقال اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي في الجنة فنودي
انه قد استجيب لك وقد جوزي ابو بكر بان جعلت البركة في عقبه اي نسله
الى يوم القيمة وان ذريته يموتون بتحرك السم في اعقابهم لينالوا مرتبة الشهادة
كما مات جدهم ابو بكر بتحرك السم عليه شهيدا وروى ان ابا بكر لما راى الفاقة

واختفى منهم على قرب مرآه ومن شدة الظهور الخفاء

ونحا المصطفى المدينة واشتا
قت اليه من مكة الانحاء

اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة فقال
له لا تحزن ان الله معنا اى بالعلم والمعونة والنصر وانزل الله سكينته
عليه اى على ابى بكر لانه هو الذى انزعج وهى امنة تسكن لها القلوب وايده
اى رسول الله بجنود لم تروها اى ملائكة يصرفون ابصار الكفار عنه
والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن
ابى بكر يبيت عندهما يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح
كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى ابى بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما
من لبن واستأجرا عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام
فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهم
عامر بن فهيرة فاخذ بهم طريق البحر ونحا اى قصد المصطفى على الخلق
كلهم المدينة المنورة يعنى طيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت له فى طريق الهجرة
عجائب منها انهم مروا بقديد على ام معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقى
من مر بها وكانت السنة مجدبة فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا فنظر
الى شاة خلفها الجهد والضعف عن ان تسرح مع صواحباتها فسالها
هل بها لبن فقالت هى اجهد من ذلك فقال اتاذنين لى ان احلبها قالت نعم
فدعا بها وباناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرت فحلب وسقى
القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا وتركوه وذهبوا فجاء زوجها
فاخبرته الخبر فقال هذا والله صاحب قريش ولو رايته لاتبعته وفى سيرة
الحلبى ان ام معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها واسلم اخوها ايضا وكانت
اهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك وبقيت تلك الشاة عندهم يحلبونها
ليلا ونهارا الى ان ماتت فى خلافة عمر ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه
صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى الظهيرة فانتظروه يوما وعادوا
الى بيوتهم واذا يهودى ارتقى مكانا عاليا فرآه مقبلا فصاح فقال هذا جدكم
اى حظكم يا بنى قيلة اى الاوس والخزرج وقيلة جدتهم القديمة فخرجوا اليه
سراعا بسلاحهم فنزل بقباء وكان يوم الاثنين قيل اول ربيع وقيل ثانى
عشره وادركه على كرم الله وجهه بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة ايام
ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وكانوا
قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل واقام بقباء اربعة عشر ليلة واسس المسجد
المشهور بقباء وهو اول مسجد اسس فى الاسلام ولذا كان الاصح انه الذى

استس على التقوى من اول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها
بمسجد الجمعة المشهور فى طريق قباء ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار
سالوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اى ناقته فانها مامورة وارخى
زمامها فاستمرت الى ان بركت بموضع باب المسجد ثم ثارت وهو عليها حتى بركت
بباب ابى ايوب رئيس بنى النجار اخوال عبد المطلب ثم ثارت وبركت فى مبركها
الاول ثم تصوتت فنزل عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى وقوله
واشتاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية
بل حقيقة اذ لا بدع فى ميل وحب الجمادات له بان يخلق الله تعالى فيها ادراكا
حقيقيا والاصح فى مثل هذا من كل ما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته
وقوله من مكة اى التى هى مولده وام القرى وقوله الانحاء اى الجهات
والنواحى لانها كانت معمورة بانفاسه واستوحشت بفقده وتغنت
بمدحه اى اظهرت اوصافه الجميلة فى صورة الغناء الذى تولع به النفس ولا يصير
فيها متسع لغيره وقوله الجن اى المومنون منهم وقوله حتى اطرب الانس
اى المومنين وغيرهم لان حسن الصوت لا تختلف فيه الطباع وقوله منه
اى من الجن اى من ذلك النوع وقوله ذاك الغناء اى الذى سمعوه
والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن او سرور والغناء فى البيت
بكسر الغين والمد وهو ما علمت واما بفتحها والمد فمعناه النفع وبكسرها
والقصر ضد الفقر وذكر اهل السير ان اسماء بنت ابى بكر قالت لما خفى علينا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال اين
ابوك فقلت والله لا ادرى فلطم خدى لطمة حتى خرج منها قرطى ولما لم ندر
اين توجه سمعنا صوت جنى ولم نر شخصه ينشد ابياتا فقال

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى ام معبد

الى آخر الابيات فلما سمعنا قوله علمنا اين توجه النبى فلما وصل فى سفره الى
قرب رابغ اقتفى اثره سراقة الخ واقتفى اى اتبع اثره اى فى اثره وقوله
سراقة بن مالك المدلجى اسلم عام الفتح وهو الذى البسه عمر سوارى كسرى
والحامل له على اتباع النبى ان قريشا جعلت مائة بعير لمن يقتلهما او ياسرهما
فركب سراقة مستخفيا خوفا ان يسبقه غيره على هذه الفائدة فى زعمه
فلما دنى منهما عثرت به فرسه فنزل عنها فقام فركبها حتى سمع قراءة رسول
الله وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فبكى خوفا على النبى وقال يا رسول الله اوتينا

وتغنت بمدحه الجن حتى اطرب الانس منه ذاك الغناء

واقتفى اثره سراقة فاستهوته فى الارض صافن جرداء

فقال

فقال كلا ودعا بدعوات فانسهوت اى هوت وسقطت به فى الارض صافن اى غاصت قوائمها فى الارض حتى بلغت الركبتين فنزل عنها فزجرها فقامت فالسين والتاء هنا للتأكيد لا للطلب والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاثة قوائم ويرفع الرابعة عن الارض فيقف على طرف حافرها وقوله جرداء اى قليلة الشعر قصيرته وهذه الصفة وما قبلها ممدوحتان فى الخيل واصل الجرداء الشجرة التى قل ورقها فاستعيرت للفرس القليل الشعر

ثم ناداه بعدما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء

ثم ناداه اى نادى سراقة النبى بعدما وصل اليه وقال الامان يا محمد وقوله بعدما سيمت ما مصدرية اى بعدما قاربت الفرس الخسف اى ان يخسف بها اى بكلها بعدما قاربت ان تغوص كلها فى الارض والا فقد خسف بقوائمها الى الركب كما تقدم والخسف بضم اوله وفتحه يقال سيمه خسفا اوليه ذلا اى اوقعه به وقوله وقد ينجد الغريق النداء هذا من الحكم المناسبة هنا فهو كالعلة لما قبله وقوله النداء اى الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس عليه السلام ولما طلب الامان قال علم انكما قد دعوتما على فادعوا لى ولكما على ان ارد الناس عنكما ولا اضركما فوقفا له فركب حتى اتاهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يأخذا منى شيئا وقالا لا اخف عنا الخبر اى لا تخبر قريشا بنا فسألت النبى كتابا آمن به منه اذا ظفر بى مرة اخرى فامر عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من ادم فكانت معى فلما اسرت يوم حنين اخرجتها له فانفذ لى الامان ولم ينقصه وامننى ومن يلوذ بى

تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقائع وقعت له قبل الهجرة بمكة كالاسراء وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب فى الواقع ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها لتتشوف النفس الى حكمة ذلك وهى انه انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استاصلهم وقطع دابرهم

فطوى الارض سائرا والسموات العلى فوقها له اسراء

فطوى الارض اى فطويت له الارض وقوله سائرا حال اى سائرا عليها فى هجرته وقوله والسموات معطوف على الارض فهو منصوب بالكسرة وقوله فوقها له اسراء جملة حالية وغرضه تنظير طى الارض له فى سفر الهجرة بطى السموات له ليلة المعراج لكن تعبيره بالطى فى الارض يقتضى انه قطع المسافة على خلاف العادة والمنقول فى كتب السير انه قطعها فى ثمانية ايام وهذا هو المعتاد فيها بخلاف التعبير بالطى فى جانب السموات

فهو مسلّم لانه ليلة المعراج جاوزها جميعها فى اسرع وقت فى نحو ثلاث ساعات
قطع فيها نحو ثمانية آلاف سنة اذ بين الارض والسما خمسمائة عام وكذا سمك
كل سماء وما بين كل سماءين واما ما بعد السماء السابعة فلا يعلمه الا الله
عز وجل فيا لهما من مسيرين مسير فى الارض ومسير فى السماء اظهر الله بهما
عظيم قدره وتقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمائه والمعاريج ليلة الاسرا
عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى اى
المكان العالى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر
الى العرش والرفرف وسماع الخطاب والكشف الحقيقى لكن لم يجاوز العرش
كما هو التحقيق عند اهل المعاريج   فصف ايها الناظر فى شمائله
وخصوصياته وما اكرمه الله به وقوله الليلة وكانت ليلة الاثنين او الجمعة
او السبت اقوال وكانت من رمضان او شوال او رجب او ذى الحجة او ربيع
الاول او الثانى اقوال وكانت بعد المبعث بخمس سنين او بعشر او احدى
عشرة او ثنتى عشرة اقوال وقد وقع الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس
ثم العروج منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله والمعنى اذكر صفاته الجليلة
بما يمكنك والا فمحال ان تستوعبها وهذه الليلة افضل من ليلة القدر فى حقه
لانه اعطى فيها من الكرامات ما لا يحيط به الحد وكان الاسراء والمعراج بجسمه
وروحه فى اليقظة وهو على هذا الوجه من خصائصه وزعم تعدده مردود
اذ الاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح فى اليقظة وقوله كان للمختار صلى
الله عليه وسلم استواء اى استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من
جنس ما يركبه الآدميون اذ هو دابة اى يشبه الدابة والا فهو ليس بذكر ولا انثى
دون البغل وفوق الحمار يضع رجله عند منتهى بصره وذكره الناظم باعتبار
كونه مركوبا وسمى بذلك من البرق لشدة سيره وتلخيص قصته انه اتاه جبريل
وميكائيل وملك ثالث بالحطيم او شعب ابى طالب او بيته او بيت ام هانئ
روايات جمع بينها بانهم اتوه فى بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابى طالب
واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضجعه فى الحطيم
لاثر نعاس كان به ثم اخذه واخرجه من المسجد بعد تمام تيقظه وبعد شق
صدره وقلبه وغسلهما فاركبه البراق وسار به حتى انتهى الى بيت المقدس
ووقع له فى الطريق عجائب كثيرة وجاء فى رواية ان جبريل ركب معه على البراق
وصح انه مر بيثرب فامره ان ينزل ويصلى هنالك وبمدين فامره بذلك وببيت لحم

فصف الليلة التى كان للمختا
ر فيها على البراق استواء

الذى وُلد فيه عيسى فأمر بذلك فلما وصل الى بيت المقدس دخل المسجد فرأى
فيه جميع الانبياء فقيل حضروا بأرواحهم واجسادهم وقيل بارواحهم فقط
تشكلت فى صور اجسادهم وقيل رفع الله الحجب بينه وبينهم فى قبورهم فصلى
بهم فى المسجد وهم فى قبورهم وتلك الصلاة قيل الصبح وهذا مبنى على انه
صلى فيه بعد العود والرجوع وقيل العشاء وهذا مبنى على انه صلى بهم فيه قبله
ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة
وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا
فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السابعة ورأى فى الاول آدم ورأى النيل
والفرات ورأى فى الثانية يحيى وعيسى وحكمة كونهما فى سماء مع ان كل واحد
غير الثانية فيها نبى واحد ان عيسى ينزل آخر الزمان فيبقى فيها يحيى فلا تخلو
سماء من نبى وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هرون
وفى السادسة موسى وفى السابعة ابرهيم وروى ان ادريس فى الثانية
وهرون فى الرابعة وابرهيم فى السادسة وموسى فى السابعة والرواية الاولى
اصح او يجمع بينهما بانه رآهم فى الصعود على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات
اخر وحكمة تخصيص هؤلاء بالتقاء الاشارة بحال الى ما سيقع له صلى
الله عليه وسلم مما يناسب ما وقع لكل منهم كالاخراج من مكة فريدا والعود
اليها بجنود كثيرة كما وقع لآدم حيث اخرج من الجنة وحيدا وسيعود لها
بجنود لا تحصى وكمعادات اليهود اوائل الهجرة كما عادت عيسى وارادت
قتله وكما عادت يحيى وقتلوه وكمعادات اهله له ورجوعهم الى محبته كما رجع
قوم هرون الى محبته وكمعالجة قومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة
والكعبة كما وقع لابرهيم واختلف فى رؤيته هؤلاء الانبياء فى السموات
فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول وقيل لارواحهم
واجسادهم فرفعوا تلك الليلة الى تلك المواضع اكراما له وبعد ان جاوز
السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى اى كشفت له عنها فرآها ورأى
النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من اصلها ثم جاوزها الى مستوى
بفتح الواو وهو المكان العالى المتسع ثم زج به فى النور فخرق سبعين الف
حجاب من نور مسيرة كل حجاب خمسمائة عام وشرد له رفرف اخضر فارتقى
به حتى وصل الى العرش ولم يجاوزه فكان من ربه قاب قوسين او ادنى
وترقى اى صعد البراق به اى بالمصطفى او ترقى المصطفى به

[illegible]

اى بالبراق فافهم كلامه ان البراق صعد معه الى قاب قوسين وهذا ما دلت
عليه رواية البخارى لكن المشهور عند اهل التفسير والمعاريج انه لم يصعد
بالبراق ولم يخطا به السموات بل استمر مربوطا بحلقة الباب حتى عاد ونزل من
السموات فركبه الى مكة ثم رده جبريل الى الجنة وقوله الى قاب قوسين قاب
القوس ما بين مقبضه اى محل مسكه باليد عند الرمى وهو وسطه وبين
آخره اى المحل الذى يربط فيه الوتر فلكل قوس قابان ففى الكلام قلب كما فى
الآية اى تبديل المثنى بالمفرد وعكسه واصل التركيب الى قابى قوس وفى الكلام
من قبيل الاستعارة التمثيلية فشبه حاله فى قربه من ربه قربا معنويا بحال
احد الحبيبين فى قربه من الآخر اذا انضما ولم يبق بينهما من المسافة الا قدر
قاب القوس واستعير اللفظ الدال على المشبه به واستعمل فى المشبه وقوله
وتلك اى المرتبة التى وصل اليها ليلة المعراج وقوله السيادة اى هى السيادة
وقوله القعساء اى الثابتة الدائمة التى لا يطرقها تغيير ولا زوال وقد
اختلف العلماء فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فى هذا المقام بعينى
راسه او بعينى قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية الاول وفى
أخرى الثانى وقال بعضهم انه رآه مرتين واحدة بالعين وأخرى بالقلب
وهذا مبنى على تعدد المعراج ومعنى رؤية القلب على القول بها ان الله
خلق فى قلبه عينين كعينى الراس فرأى بهما ولم يحجبهما قميص البدن ولا
الثياب وليس المراد برؤية القلب على هذا القول الحضور والشهود مع ربه
واشتغال البال به دون غيره لان هذا الحال والمقام لا ينفك عنه صلى الله
عليه وسلم بل قد يحصل الى بعض الاولياء وإذا تأملت ما وقع له ليلة الاسراء
من الكرامات التى تميز بها على سائر الخلق علمت انها رتب الخ
رتب تنوينه للتعظيم اى عظيمة جليلة اى ما ناله تلك الليلة من انواع القرب
المعنوى والكرامات رتب تسقط الاماني جمع امنية وهى ما يطلب ويطمع
فى حصوله وقوله حسرى جمع حسير من حسر بمعنى أعيى اى حالة كونها حسرى
اى ضعيفة عن تلك المراتب وقوله دونها ظرف لتسقط اى لجلالة هذه
المراتب وعزتها على الخلق سقطت أمانيهم وحقّت لهم واما لم من قبل هذه
المراتب فلم يستطيعوا التوجه اليها وطلبها حالة كونهم عاجزين عن التأهل لها
وكيف لا وهى ما وراءهن ورائها اى ما قدامهن قدام فوراء بمعنى قدام والمعنى
انه ليس قدامهن مرتبة أخرى يطمع مخلوق فى نيلها ثم وافى اى وصل الى مكة

قبل الصبح وكان مقدار غيبته عنها ثلاث ساعات وقوله يحدث الناس
جملة حالية اى يحدثهم بما رآى من تلك العجائب والكرامات لكن لم يحدث
ولم يخبر صبيحة الاسراء بالعروج الى السماء بل اقتصر على الاخبار بالذهاب
الى بيت المقدس وقوله شكرا مفعول لاجله او حال وقوله اذ اتته اذ تعليلية
او ظرفية اى اتته فى تلك الليلة وقوله النعماء جمع انعم جمع نعمة ولما تحدث
بالاسراء واخبر به ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون الى ابى بكر وذكروا
له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس قال نعم فانكروا عليه فقال انى لاصدقه
فيما هو ابعد من ذلك فى خبر السماء وروى ان ابا بكر جاءه فقال يقولون
تلك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لى فانى جئته ولم يكن صلى
الله عليه وسلم قد تثبت اوصافه فى الليل فرفعه الله اليه ونقله الى مكة عند
دار عقيل فجعل صلى الله عليه وسلم ينظر اليه وغيره لا يراه ويخبر بجميع صفاته
تفصيلا وهذا كما حمل عرش بلقيس وجئ به الى سليمان فى طرفة عين وقول
ابى بكر له صفه لى ليس امتحانا وانما هو ليظهر صدقه لمن يرد عليهم فى تكذيبه
وقيل ان المسجد لم ينتقل وانما ازيلت الحجب بينه وبينه وخلق الله فيه قوة رؤيته
وهو فى محله وبهذا ظهرت الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه
الى السماء لما تقرر ان فيهم من رآه وعرفه فوصفه لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب
اليه قط ومما اخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم انى مررت بعيركم
بالروحاء موضع على اربعين ميلا من المدينة وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وهى
تاتيكم يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينتظرون حتى كادت
الشمس ان تغرب ولم تات العير فكرب صلى الله عليه وسلم كربا شديدا فحبس الله
له الشمس حتى اتت العير قبل الغروب ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ وتحدى معطوف على وافى اى
تحدى كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسراء وما تقدمه من المعجزات اى طلب
منهم ان يعارضوه ما جاء به شاهدا على نبوته وصدقه بابداء نظيره وانهم كانوا
كاذبين مدحوضين وقوله فارتاب اى شك اى انقطع وخرس وعجز
عن المعارضة فالارتياب مستعمل فى لازمه وهو الانقطاع وقوله كل مريب
اى مرتاب قريب اسم فاعل من اراب زيد بمعنى ارتاب فهو اسم فاعل من
اللازم وليس من اراب المتعدى كما هو ظاهر ويلزم من انقطاعهم عن معارضته
اتضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقى عنده
شئ من ذلك او يبقى والهمزة داخلة على مقدر والواو عاطفة على ذلك المقدر

وتحدى فارتاب كل مريب
او يبقى مع السيل الغثاء

صفته

والتقدير ايتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح وما بقى معه شك
اصلًا وكيف يبقى مع السيول الخ وما تقرر من التقدير بعد همزة الاستفهام
هو رأى الزمخشرى ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف مذهب الجمهور
وهو انه لا تقدير في الكلام بل فيه تقديم وتاخير فالهمزة مقدمة على الواو واصل
الكلام وايبقى الخ وقوله مع السيول حال من الغثاء الذى هو فاعل وهو بضم
المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يخف من النبات فكما ان الغثاء لا يبقى مع
السيل بل يذهب به ويزيله فكذلك ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الايات
البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه شك بل يذهب ويضمحل فالسيول
استعارة تصريحية لما اتى به ووجه الشبه ان بكل الحياة وان كانت في
السيول حسية وفي الايات والبراهين معنوية والغثاء استعارة تصريحية
ايضا لما يتخيلونه لانه امر حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك   وهو يدعو
حال من فاعل تحدى اى تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما امر به
من التبليغ والدعاء وقوله الى الاله اى المعبود بحق الذى لا يعبد غيره
وقوله كفر به اى به نفسه او بالاله وقوله وازدراء اى احتقار وانتقاص
له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل المشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم به فكان
يدور عليهم في منازلهم ويخاطبهم بما يكرهون ولا يبالى بقوتهم وشوكتهم ويقول
اعبدوا الله وحده واتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام وروى احمد
في مسنده اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمنعه الله من القتل بعمه ابى طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه
لانهم كانوا اصحاب قوة وشوكة واما بقية السبعة فاخذهم المشركون
فالبسوهم ادراع الحديد والقوهم في الشمس وان بلالا هانت عليه
نفسه في الله وهان على قومه فاخذوه واعطوه للولدان فجعلوا يطوفون
به في شعاب مكة وهو يقول احد احد اى يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان
ومر اللعين ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة
في فرجها فماتت وهى اول شهيد في الاسلام وجاء ان ابا بكر اعتق ممن
كان يعذب في الله سبعة   ويذل الورى اى الخلق ففيه اشارة الى انه
ارسل الى الخلق كافة اما الانس والجن فبالاجماع المعلوم بالضرورة يكفر
منكره واما الملائكة فعلى الاصح واما الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض

وهو يدعو الى الاله وان زاد كفرا به
في عليهم كلمة ...

ويذل الورى على الله بالنعم
عبيد وصف المنعمة البيضاء

محققى المتأخرين ومعنى ارساله للملائكة انهم مكلفون بتعظيمه والايمان به
واشاعة ذكره ومعنى ارساله للجمادات انه ركب فيها ادراكات لتؤمن به
وتخضع له وقوله على الله اى على العلم بذاته واسمائه وصفاته وافعاله وما
يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز فى حقه وقوله بالتوحيد اى بطلبه منهم
ان يوحدوه بان يقروا بانه واحد فى ذاته وفى صفاته وافعاله وظاهر المتن
ان الباء فى بالتوحيد باء الآلة ككتبت بالقلم ويوجه بان العلم بالتوحيد
كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله وصفاته وافعاله وقوله وهو اى العلم
المذكور والدلالة عليه وقوله المحجة اى كالمحجة ففيه تشبيه بحذف الادات
اى الطريق الى رضى الله التى امر بها وحث عليها وقوله البيضاء اى النيرة المضيئة
الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة فيما رحمة
ما زائدة اى فلما صبر على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما اشار اليه بقوله
وان شق عليه اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من اكابر اتباعه فالمراد رحمة
من الله واصلة اليه ويحتمل ان المراد انها واصلة اليهم من الله اى فبسبب
رحمة الله لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسول الله وصبره عليهم كما يشير لذلك
قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه ما ذكره ايقظ
قلوبهم وازال ما فيها من كبر وغى ثم لانت صخرة هى الحجر العظيم وقوله من
ابائهم بيان للصخرة اى امتناعهم وقوله صما اى صلبة لا تؤثر فيها المعاول
على خلاف العادة ففى الكلام تشبيه بليغ حيث شبه اباءهم اى امتناعهم
بالصخرة التى هى فى غاية الصلابة كما انهم كانوا اولا فى غاية النفرة والبغض
وفى لانت استعارة تصريحية تبعية حيث شبه اتباعهم له وانقيادهم لاوامره
ونواهيه بزوال صلابة الصخرة واستعار اسمه وهو اللين واشتق منه لانت
واستجابت له اى وبعد ان لانوا له ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد
حتى استجابت له اى اجابت دعوته وقوله بنصر وفتح الباء سببية او بمعنى
مع اى مع او بسبب ما اعطاه الله من النصر على الاعداء والقاء الرعب فى
قلوبهم والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم وقوله بعد ذا اى الضعف الذى
كان به وباتباعه لقلتهم ولتحريم قتال الاعداء وقوله الخضراء اى السماء سميت
بذلك لانها ترى كذلك وبين النووى سببه ذلك فقال بلغنا خبر ان
صخرة تحت الارض خضراء منها ترى خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك
ولا يمنع جرم الارض من ظهور خضرة الصخرة التى تحتها فى السماء خرقا للعادة

فبما رحمة من الله لانت صخرة من ابائهم صما

واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك لها الخضراء والغبراء

وقال الربيع بن انس السماء الدنيا موج مكفوف اى ممنوع من السيلان بقدرة الله تعالى والثانية من مرمرة بيضاء والمرمر الرخام والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وقوله والغبراء اى الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من الطين ومعنى استجابة السماء والارض له استجابة اهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع اى اجابه الرفيع والوضيع اذ لم يبق الا مسلم او مسالم وعلى الاحتمال الاول فتقييد الناظم استجابة اهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييده استجابة اهل السماء بها فهو بمعنى انه لم تنزل الملائكة لنصرته الا ببدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء الرعب فى قلوبهم والاذن فى الجهاد والفتح عليه

وأطاعت اى ومن جملة استجابة اهل الارض له انه اطاعت لامره اى ونهيه ففيه اكتفاء وقوله العرب بفتحتين وان كان يجوز فيه ايضا الضم فالسكون وقوله العرباء ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وقوله والجاهلية الجهلاء بضم الجيم وفتح الهاء المبالغون فى الجهل الكثير جهلهم كرجل ضحكة اى كثير الضحك وخص هذين بالذكر لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما

وتوالت اى تتابعت وقوله للمصطفى حال من الآية الذى هو الفاعل اى حال كونها مضافة اليه لا لمن قبله من الانبياء وقوله الآية أل فيه جنسية فهو فى معنى الآيات وانص فالتوالى انما يكون فى متعدد اى العلامات الدالة على نبوته وقوله الكبرى كالقرآن وانشقاق القمر وقوله عليهم متعلق بتوالت وقوله والغارة اى وتوالت عليهم ايضا الغارة على بلادهم واموالهم ونفوسهم وهى اسم مصدر لاغار وهى الاخذ على غفلة وقوله الشعواء اى الفاشية المنتشرة المحيطة بهم من سائر الجوانب

واذا ما تلى ما زائدة اى وبعد ان استجاب له اهل السماء والارض ودخل الناس فى دين الله افواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار اذا اتلى كتابا من الله اى انزل عليه من الله تعالى وهو القرآن وقوله تلته اى تبعته لاجل القراءة معه او استماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه وقوله كتيبة فاعل بتلته لكن الشارح اخرجه عن هذا وقال لا سيما كتيبة بالفوقية اى جيش وقوله خضراء اى يعلوها سواد السلاح والحديد وعكس هذا سواد العراق لانه لكثرة اشجاره يرى من البعد سوادا وهى كتيبته التى دخل مكة

وهو

واطاعت لامره العرب العرباء والجاهلية الجهلاء

وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء

واذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

وهو فيها على ناقته القصوى بين ابى بكر واسيد بن حضير وهو يقرأ سورة الفتح
وكفاه ربه فضلا منه وكرما وقوله المستهزئين اى الجماعة الاشقياء
الذين زادوا فى ايذائه والعتو عليه كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم
جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذائه والسخرية به اى تولى
الله اهلاكهم قال الحافظ ابن حجر لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص
وكان اسلامه مع ذلك مدخولا ومع تولى الله تعالى اهلاك المستهزئين به
سلاه فاعلمه ان هذا ليس خاصا به بل وقع للانبياء قبله مثله بقوله فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل فاقتبس الناظم هذه العبارة من هذه الاية كاية
ولقد استهزئ برسل من قبلك وقوله وكم اى مرات كثيرة فكم خبرية وقوله
ساء اى احزن وقوله من قومه متعلق بقوله استهزاء اى سخرية وايذاء
ورماهم اى اصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم
القاتل الى من رمى به فيهلكه وقوله من فناء البيت بكسر الفاء والمد وهو
المكان المتسع امام الدار ومن بمعنى فى صفة لدعوة اى فى حوالى الكعبة
وجهاتها وقوله فيها اى تلك الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل
عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه وقوله فناء بفتح الفاء اى
استئصال لهم حتى لم يبق منهم احد   خمسة بدل من المستهزئين او من
الظالمين ويصح رفعه على انه خبر مبتدا محذوف وخص الخمسة بالذكر مع ان
المستهزئين اكثر من هؤلاء الخمسة اذ منهم ابولهب وزوجته وعقبة بن
ابى معيط والحكم بن العاص لان هؤلاء الخمسة كانوا اشد من غيرهم فى ايذائه
ولذا عجلت عقوبتهم وقوله بداء اى عظيم وقوله والردى اى الهلاك وقوله
من جنده اى من جملة جنده المعينة عليه وقوله الادواء جمع داء وهو المرض
وهذا كالتعليل لما قبله اى انما اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا فى تحصيل
اسباب الردى حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا   فدهى الاسود الخ
شروع فى تفصيل ذلك الداء الذى اهلكهم الله به وفى بيان اسماء الخمسة المصابين
به وقوله فدهى من الداهية وهى الامر العظيم المهلك وقوله اى عمى فاعل
اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته وليس العمى الا عمى البصيرة وقوله
ميت به اى بسبب ذلك العمى وقوله الاحياء اى صار بسببه الاحياء فى حكم
الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان
سببا لموته بالفعل على خلاف العادة مبالغة فى هلاك ذلك اللعين ومينه

وكفاه المستهزئين وكم سا
ء نبيا من قومه استهزاء

ورماهم بدعوة من فناء ال
بيت فيها للظالمين فناء

خمسة كلهم اصيبوا بداء
والردى من جنوده الادواء

فدهى الاسود بن مطلب اى
عمى ميت به الاحياء

والاحياء فاعل اغنى عن الخبر اى من شان هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به فى حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة والجملة مؤكدة لما قبله وتنوين عمى اى هو عمى بصيرة وبصر وكون ميت مبتدا مع عدم اعتماده انما هو على راى الكوفيين وقد قال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب ودهى الاسود اى اصابه داهية وقوله الردا اى الموت وقوله استسقاء اى اصابه هذا المرض المشهور واستمر به حتى اهلكه وهو داء خبيث على انواع المراد منها هاهنا الزقى وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك على قريب وتشبيه الرداء بالمشروب استعارة بالكناية واثبات الكاس والسقى الذين هما من لوازم المشبه به استعارة تخييلية واصاب الوليد اى ابن المغيرة وقوله خدشة سهم اى اثر جرحه باسفل رجله من شخص فى يده نبل وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر ان يهوى لقلعها فضربها بالسوط فاصابت رجله فتاكلت ومات منها وكان ذلك قبل وقعة بدر وكان سم ذلك اسرع الى هلاكه واشنع من سم الافاعى فلذلك قال قصرت عنها اى عن تلك الخدشة الحية الرقطاء اى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى اعظم الحيات اذى واسرعها اهلاكا ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع البرء من لسعها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لا سيما وهى من آثار تلك الدعوة المقبولة التى رماهم بها من فنا البيت وقضت شوكة اى دخلت فى اخمص رجله وقوله العاص بن وائل اى فقتلته قتلا عجيبا وقوله فلله صيغة تعجب من تاثير هذه الشوكة وقوله النقعة من قولهم الناس نقائع الموت اى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة اى البهيمة التى تذبح فى الموت وقوله الشوكاء من قولهم بردة شوكاء اى خشنة الملمس اى ما اعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت من تلك الشوكة القليلة التاثير عادة فلله درها من شوكة عرته فى اسرع وقت وعلى الحارث معطوف على مهجة العاص اى وقضت على مهجة الحارث القيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التى لا يخالطها دم وقوله وقد سال جملة حالية وقوله وساء الوعاء اى قبح ذلك الراس الذى هو الوعاء لتلك القيوح القاتلة لصاحبه خمسة اى هؤلاء الملاعين خمسة طهرت بقطعهم اى هلاكهم الارض اى مكة ونواحيها او مطلقا لان ضررهم سرى الى جميع الجهات وقوله فكف الاذى اى الذى حصل للناس منهم لا سيما نبينا وقوله بهم على حذف مضاف

ودهى الاسود بن عبد يغوث
ان سقاه كاس الردا استسقاء

واصاب الوليد خدشة سهم
قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا
ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحارث القيوح وقد سا
ل بها راسه وساء الوعاء

خمسة طهرت بقطعهم الار
ض فكف الاذى بهم شداء

والباء سببية او بمعنى مع اى بسبب فقدهم وقطعهم او معهم وقوله شلاء
اى فاقدة الحركة فعلم انه شبه الاذى بانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس
لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريد به باى وجه كان
ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها اسباب المضار
التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى صار بفقدهم معطلا لا حركة
فيه ولا تاثير ففى الكلام استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية وذكر
الشلل الملائم للمشبه به ترشيح فديت بالبناء للمفعول يقال فداك
بفتح اوله فيقصر وبكسره فيمد وهذه الجملة دعائية متضمن للتعظيم فهى خبر
لفظا انشاء معنى فالمعنى اللهم اجعلهم فداءهم من المؤذيات وقوله خمسة
الصحيفة الاتى بيانهم وكانوا وقت نقضها كفارا واسلم منهم بعد ذلك اثنان
هشام وزهير وبقيتهم ماتوا كفارا وقوله بالخمسة اى الملاعين السابق ذكرهم
اى جعلت جملة الخمسة فداء لكل واحد من اولئك من كل مكروه فليست المقا
بلة
هنا من قبيل ركب القوم دوابهم وقوله ان كان ان شرطية جزاؤها محذوف
يدل عليه ما قبلها تقديره فاسأل الله فداءهم والمراد الفداء من عذاب
النار بالنسبة لمن مات منهم كافرا لكنه لا فداء للكفار منهم فلا اسأله واما
بالنسبة لمن اسلم منهم فلا يظهر فيه كلام الناظم لانه لا يحتاج الى فداء لموته
سعيدا ولا يصح ان المراد الفداء من الموت لانهم ماتوا قبل الناظم بزمان
طويل فلا يصح ان يسأل فداءهم من الموت وقوله للكرام فداء اى واولئك
الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين
فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم فى امر
عظيم جدا كما يعلم من القصة وحاصلها ان قريشا لما رأت عزة النبى صلى
الله عليه وسلم بفشو الاسلام فى القبائل وبأمره بضعة عشر من اصحابه
بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم فيها منهم عثمان وزوجته رقية بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى سنة خمس من النبوة اجمعوا على ان
يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فاتوا اليه بعمارة بن الوليد
وكان اعز فتى فيهم وطلبوا منه ان يأخذه بدل ابن اخيه فابى حمية وغيرة على
عادة الاقارب وجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم شعبهم وهو المكان الضيق بين الجبلين وشبكوا لهم لانه [illegible]
متمكنهم ومنعوه ممن اراد قتله فلما رأت قريش ذلك اجمعوا واشتركوا

فهم خمسة الصحيفة بالكرام
ثم ان كان للكرام فداء

ان يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه ويتعاهدون على بني هاشم وبني المطلب أن
لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً حتى يسلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بعضهم وهو منصور بن عكرمة
فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً في حفظها وبقائها
وكان ذلك في هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب
الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على
ذلك سنتين او ثلاثاً حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء الا سراً حتى ان
حكيم بن حزام بن اخت خديجة عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية
ونصفها في الاسلام حمل غلاماً حنطة يريد بها عمته خديجة فلقيه ابو جهل فمنعه
فلما مضت تلك المدة قام اولئك خمسة في نقضها وكان رئيسهم هشام
ابن الحارث اول من مشى في نقضها العربي بعم لامه الذي هو اخو عبد المطلب ومن
ثم كان يواصل بني هاشم فيأتيهم ليلاً بالبعير وعليه الطعام فمشى الى زهير
ابن عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب
وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت معي رجلاً
لنقضتها فقال انا معك فقال ابغ اي اطلب لنا ثالثاً فذهب الى المطعم
واستخناه اي عظمه بالمدح يقال استخناه اذا عظمه بالمدح حتى قال لو وجدت
رجلاً قال انا معك وزهير بن امية قال ابغ لنا رابعاً فذهب الى ابي البختري
فاستخناه ايضاً فقال وهل من معين فذكر له اولئك فقال ابغ لنا خامساً
فذهب الى زمعة واستخناه فقال هل من احد فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون
واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى
انديتهم وغدا زهير في حلة جميلة فطاف سبعاً ثم اقبل على الناس فقال
يا اهل مكة انا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم كما ترون والله
لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة قال ابو جهل كذبت
والله لا تشق قال زمعة انت والله اكذب اي من كل كاذب لا من زهير ما رضينا
كتابتها حين كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب منها ولا
نقره وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب
فيها قال السبب ابو جهل هذا امر قد قضي بليل اشتورتم فيه بغير هذا المكان
وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها
الا ما كان من باسمك اللهم ولا ينافي ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل ذلك قال لابى طالب يا عم ان ربى سلط الارضة على صحيفة قريش فلم
تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال
اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابوطالب بذلك وقال انزلوها فان صدق
فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هى كما قال صلى الله عليه
وسلم وذلك لانه لا مانع انهم لما نظروا ذلك صمموا وازدادوا شرا فقام اولئك
الخمسة فى اذهابها من اصلها فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم فيه
فتية اى اذا تقرر ذلك علم انهم فتية اى كرام جمع فتى وهو السخى الكريم
وقوله بيتوا اى دبروها واشتوروا بالحجون ليلا وقوله على فعل خير هو نقضها
والمخاطرة بالنفوس دونه لشدة قريش فى بقائها مع كثرتهم وعتوهم وقوله
حمد الصبح بكسر الميم اى الفجر الى الزوال ويدل على الثانى المقابلة بالمساء
الذى هو من الزوال الى الغروب وقوله امره اى شانه وغايته واسناد الحمد
الى هذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على ذلك
الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء اولى واحق يا لأمر
بفتح اللام هو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل
مبالغة فى تعظيمه ولذا كان مفيدا للتعجب وقوله بعد هشام اى ابن الحارث
وقدمه لما مر من انه اول الخمسة والسبب فى اجتماعهم وقوله زمعة بفتح
الزاى وسكون الميم ابن الاسود وقوله انه بالكسر استيناف فيه معنى
التعليل وقوله الفتى اى الكريم فى قومه وقوله الاتاء صيغة مبالغة من
اتى ياتى ووصفه بذلك لكونه بادر بتكذيب ابى جهل وزهير اى ابن
ابى امية وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وابو البخترى بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المهملة وفتح التاء
الفوقية وقوله من حيث شاؤا ظرف مكان حقيقة او مجازا اى من المكان
الذى قصدوه لتدبير امرهم ولتشاورهم عليه فلذلك وقع تعظيم الموقع الذى
قصدوه لتدبير امرهم ولتشاورهم عليه فلذلك وقع تعظيم الموقع الذى
قصدوه ونجح الاتئام الذى دبروه فالمعنى وانى هؤلاء الخمسة النقض لا عن
غير ميعاد واتفاق ومواطاة بل عما اتوه اتيانا كائنا من حيث شاؤا
نقضوا بدل من فعل خير من نقض العهد اى ابطاله وقوله مبرم اى محكم
واصله كالمبرم الحبل الذى جمع من مفتولين وفتلا حبلا واحدا وقوله
الصحيفة اى التى تواقعت قريش على ابقائها على الدوام الا ان يسلم بنو هاشم

فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح امره والمساء

يا لامر اتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الاتاء

وزهير والمطعم بن عدى وابو البخترى من حيث شاؤا

نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدا الانداء

والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وقوله اذ شدت اى وقت اولاجل
اذ شدت اى صممت عليها اى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقضها وقوله من
العوذ بيان لقوله الاندا جمع ناد وهو العشيرة فالمراد بالاندا هنا القبائل
والعشائر وان كان اصل النادى المكان الذى يجلس فيه للتحدث والسمر فسمى من
فيه باسمه اطلاقا لاسم المحل على الحال فيه اذ نقضوا هذا الامر المبرم الذى نواه
عشائرهم وصمموا عليه اذكرتنا اى بعد نسياننا هذا هو الذى يقتضيه
التعبير بالاذكار لكن لا يظهر فى مثل المصمم من ابطال القرآن اذ هذه القصة
منصوصة فيه لا تنسى عنه فيها الاذكار بالنسبة اليه على التنبيه والايقاظ
فى بعض الاوقات وهذه الجملة استئنافية قصد بها بيان ان الاكل الارضة
الصحيفة نظير اهو اكلها العصى سليمان وقوله باكلها اى لتلك الصحيفة
والضمير للارضة الاتية المبهم الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وقوله
اكل مفعول ثان لاذكرت وقوله منساة سليمان اى عصاه وهو ابن داود
عليهما الصلاة والسلام وقوله الارضة بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهى
دويبة تاكل حتى الخشب كالاذ ونحوها فاذا تم لها سنة خلق لها جناحان فتطير
بهما وقوله الخرساء فيه تجيب من شانها اذ ليس من شان الاخرس التذكير
واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عما من شانه النطق وحاصل
قصتها ان داود عليه السلام شرع فى بناء بيت المقدس اى فى اعادته بعد
انهدامه والا فاول من بناه آدم عليه السلام بعد بناء الكعبة باربعين سنة
فمات داود قبل اكماله واوصى ابنه سليمان بان يتمه فسخر سليمان الجن للبناء
فيه والاعمال الشاقة فصاروا يعملون فيه الى ان علم سليمان ان اجله قد قرب
فامرهم ببناء قصر من زجاج ففعلوا فدخل فيه واغلق بابه واستند على العصا
فمات واستمر سنة وهو واقف مستند ميت وهم يدابون فيما سخرهم فيه من
الاعمال الشاقة لاعتقادهم حياته ثم خر ساقطا فراوه من خارج القصر ففتحوا
عليه فراوه ميتا فاخبروا بمدة موته فوضعوا ارضة على العصا فاكلت منها
يوما وليلة فعرفوا مقدار ما اكلته وعرفوا به انه ميت من سنة وتبين لهم كذبهم
فى ادعائهم علم الغيب كما قال تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية وبها
اى وباكلها للصحيفة فالضمير عائد على الاكل وانثه لاكتسابه التانيث من
المضاف اليه وهو المنساة وقوله اخبر النبى اى عمه ابا طالب وهو اخبر قريشا
كما مر وقوله وكم اى مرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم خبا بفتح الخاء اى شيئا

اذكرتنا باكلها اكل منسأة
سليمان الارضة الخرساء

مج ١٣

مخبّا اى مغيّبا ومعنى اخراجه له اظهاره ونصبه على انه مفعول له وقوله الغيوب خباء
الجملة نعت لخباء اى ساترة اى كانت مستورة ومغيبة قبل اخباره عنها واعلم
ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما يحصل لانبيائه واوليائه منه فهو
اما بوحى من الله او الهام واعلم ايضا ان المغيبات التى اخبر عنها لا تحصر
ومن جملتها ما فى القرآن مع كثرته وخبر الطبرانى ان الله قد رفع لى الدنيا
وانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفى هذا وخبر
ابى داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا الى قيام
الساعة الا حدثنا به واخباره بامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع منها كثير
وينتظر وقوع الباقى ومما وقع منها النار التى قال عنها كما رواه الشيخان لا تقوم
الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز فتضئ لها اعناق الابل ببصرى فخرجت
نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة وتقدمها زلزلة عظيمة وكان ذلك بعد
عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد
وتغلى كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن اهل
المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم ثمانية عشر زلزلة لكن
ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد ورؤيت منها مكة
وجبال بصرى وانطفات ليلة سبع وعشرين من رجب فتكون مدتها
اربعة وخمسين يوما وقد اوسع المؤرخون فى اخبارها بما يطول استقصاؤه
لا تخل بفتح التاء الفوقية من خلت الشئ ظننته وهذا فى المعنى متفرع
على ما قبله فكانه قال واذا تأملت ما اطلعه الله عليه من الغيوب لا سيما
ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان ذلك من تمام عناية ربه به وانه لا يضيعه
ولا يهمله ولا يضيمه قط ثم لا تخل جانب النبى هو فى الاصل شق الانسان
واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية وقوله مضاما
اى مضيما وقوله حين مسته ظرف لمضاما وقوله منهم متعلق بقوله
الاسواء اى الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه وشج
وجهه وغير ذلك كل امر اى من الامور العظيمة ابو بنيه هذا على ان
ما اصابه من الاذيات له فيه اسوة بالانبياء قبله اذا اصابهم من اممهم مثل ذلك
بل اكثر لكن كل امر ناب اى اصاب النبيين فالشدة فيه اى التى تحصل
لهم منه وقوله محمودة اى لانها ارفع درجاتهم العلية لانهم اكثر الناس شهودا
لفعل الله تعالى سواء وقع على يد مسلم او كافر فلا ينظرون الى الاسباب الظاهرة

لا تخل جانب النبى مضاما حين مسته منهم الاسواء

كل امر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء

وانما يشهدون الحق تعالى فى كل شئ وقوله والرخاء اى السعة محمود ايضا لانهم
لا يشهدون الا الحق دائما وابدا   لو مسّه بمنزلة التعليل لما قبله والنضار
الذهب وهو بضم النون وقوله هون بضم الهاء اى هوان وعيب وقوله
من النار اى من ادخاله فيها لاختبار خلوصه من الغش والنقص وقوله
الصلاء بكسر الصاد المهملة المشددة اى العرض على النار وذلك لعزته على
النفوس فالانبياء كالذهب والشدائد التى تصيبهم كاصابة النار للذهب
فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا
رفعة   كم يد اى جارحة وكم خبرية تكثيرية وهذا كالدليل لقوله لا تخل
جانب النبى وقوله كفها الله اى منعها وخذلها وقوله وفى الخلق جملة حالية
وقوله واجتراء اى شجاعة واقدام على كل فعل خطر لهم من غير نظر فى عاقبته
وصح انه مر ذات يوم على كفار قريش وهم عند الكعبة فاذوه ثم مر عليهم ثانيا
فاذوه ثم ثالثا كذلك فوقف على رؤسهم ولم يكن معه احد من اصحابه وقال
يا كفار قريش اتدرون ما جئتكم به والله لقد جئتكم بالذبح فوقعت هذه
الكلمة فى قلوبهم موقعا عظيما وخافوا منه والانوا له القول وقالوا اذهب
يا ابا القاسم فوالله ما عهدت جهولا وان جهلنا عليك   اذ دعا ظرف
لقوله كفها اى طلب حال كونه وحده العباد اى كلهم الى عبادة الله وترك
ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات وقوله وامست معطوف
على دعا اى حصلت فان امسى تستعمل كثيرا بمعنى الحصول وقوله فى كل
مقلة اى منهم وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض وقوله اقذاء
جمع قذاء وهو ما يسقط فى العين مما يؤلمها ويكدرها وهذا معنى المقلة
والقذاء فى الاصل لكن المراد بالمقلة هنا عين بصيرتهم وبالقذاء
ما حصل لهم فيها من الران والصداء الحاجب عن الايمان ويصح بقاء المقلة
والقذا على معناهما الاصلى الذى عرفته ويكون الكلام على سبيل المبالغة اى
فكان اعينهم مرضت بالفعل واصابها الرمد من حيث انها لا تطيق مقابلته
ولا النظر اليه فكانها تضعف ويصيبها القذا اذا توجه اليهم وشافههم
بالامر بالتوحيد والنهى عن غيره   همّ قوم اراد بهم هنا ما يشمل النساء
وهذا دليل آخر على قوله كم يد كفها الله عن نبيه وقوله بقتله اى بالسيف
وقوله فابى السيف اى امتنع من الوصول اليه والتاثير فيه وقوله وفاء
اى لاجل وفائه بما اخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد واجلاله وتوقيره وتعظيمه

لم يمس النضار هون من النار إذا اختبر النضار الصلاء

كم يد عن نبيه كفها الله وفي الخلق كثرة واجتراء

إذ دعا وحده العباد وأمست منه في كل مقلة أقذاء

همّ قوم بقتله فأبى السيف وفاء وفاءت الصفواء

وذلك الامتناع وقع له غير مرة فقد جاء انه كان ذات يوم نائما تحت شجرة
وقد علق سيفه بها فجاء اعرابي فاخذ السيف واستله من غمده وهم بقتله
صلى الله عليه وسلم فتيقظ فقال الاعرابي من يمنعك مني قال الله فارتعد
الاعرابي وسقط السيف من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك
مني فقال الاعرابي كن خير آخذ بالمعروف فعفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس فاسلموا وقوله وفاءت اى رجعت على راسها وقوله
الصفواء اى الحجارة وهي جمع صفاة اى رجعت عن اصابته بل جمدت في
يد راميها الذي هم ايضا بقتله وابو جهل معطوف على قوم اي وهم
ابو جهل عمرو بن هشام بقتله وذلك انه اجتمع مع قريش يوما فجاءهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم وسب آلهتهم ثم انصرف عنهم
فقال ابو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون منه واني اعاهد
الله ان اجيء له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد رضخت به راسه فلما اصبح
كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر
ثم اقبل نحوه حتى اذا دنى منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست
يداه على حجره فقالوا له ما شانك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم
البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل ما رايت مثل هامته
ولا مثل صورته وانيابه فهم لي ان ياكلني وقد قال صلى الله عليه وسلم في تفسير
ذلك الفحل انه جبريل ولو دنى ابو جهل مني لاخذه وقوله اذ راى ظرف
لهم المقدر كما علمت اي وهم ايضا بقتله بالحجر ابو جهل وقت ان راى عنق الفحل
بسكون النون وضمها لغة والضم هنا متعين لاجل النظم وقوله اليه متعلق
بمحذوف اي بارزا او ممتدا اليه وقوله كانه العنقاء اي الداهية العظيمة
او الطائر العظيم المعروف فقد قيل ان العنقاء كانت طيرا عظيما في قطر
الحجاز وجدت بعد عيسى عليه السلام وفرخت وكانت تختطف الصبيان
فشكوا ذلك لخالد بن سنان قيل بنبوته وانه كان بين عيسى ونبينا والاصح
خلافه فدعى الله تعالى فهلكت هي وفروخها ولم توجد بعد اصلا فصارت
العنقاء بعد ذلك اسما دون مسمى وما تقرر من ان ابا جهل معطوف على
قوم وان اذ ظرف لهم المقدر فيه بعد من حيث انه يلزم عليه ان يكون المعنى
انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك خلاف الواقع لانه حصل له من الحيرة
والخوف ما اذهله فالحق انه معطوف على الصفواء اي رجعت الصفواء عن الوصول

وابو جهل اذ رأى عنق الفحل
اليه كانه العنقاء

اليه وابو جهل عن الرمي بها وقت رؤية الفحل فاذ ظرف لفاءت مع فاعلها
وما عطف عليه   واقتضاه معطوف على هم هو اى طلب منه النبي اى
من ابي جهل دين الاراشي اى طلب منه ان يؤدي ويدفع دين الاراشي بكسر
الهمزة واسمه كلدة بن عصام بن اراش وقوله وقد ساء بيعه جملة حالية اى
قبح وذكره مع ان الكلام في الشراء لانه نظير له فهو من مراعات النظير وقوله
والشراء اى وشراؤه من هذا الرجل وغيره فاراد الناظم ذم بيعه وشرائه مطلقا
لا في خصوص الواقعة وحاصلها ان كلدة المذكور قدم مكة بابل يبيعها
فاشتراها ابو جهل ثم ماطله باثمانها فجاء الاراشي فوقف على نادي قريش
فقال هل من رجل يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني
على حقي فقالوا لا نخلصك منه الا ذلك الرجل واشاروا الى محمد صلى الله عليه
وسلم وقالوا ذلك استهزاء فجاء الاراشي وقال يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبني
على حقي وقد سالت اولئك القوم فاشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله
فقام معه ليخلصه منه فامروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع
فضرب صلى الله عليه وسلم بابه فقال من ذا قال محمد فاخرج الي فخرج اليه وقد
انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى يأخذه فدخل فاخرج
اليه فجاء الى اولئك واخبرهم بما وقع فجاء ابو جهل فقالوا له ويحك والله ما
رأينا مثل هذا الذي صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي
فسمعت صوته فملئت منه رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل
ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه والله لو ابيت لاكلني   ورأى
المصطفى اي ورأى ثم رأى المصطفى ابو جهل اتاه بما اي بفحل ابل لم ينج منه
بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم من نجا ينجو وانجى ينجي فهو ناج ومنج
وقوله دون الوفا اي عند عدم الوفا لذلك الدين الذي للاراشي وقوله
النجاء بوزن الضراب مبالغة في ناج فالوفا مقصور ويجوز تخفيف الجيم بوزن
سحاب فالوفاء ممدود ورأى ذلك الفحل الذي اتى له به لا يجي او لا يجو منه النجاء
بالمبالغة اي من تكررت نجاته من الامور الصعبة الا ان وفى ذلك الدين
ولا يجو منه شيء مما يتخلص اي النجاة الا بعد ذلك الوفاء   هو اي ذلك
الفحل المرعب في هذه الواقعة ما قد رآه اي الفحل الذي قد رآه من قبل اي في
الواقعة السابقة في قوله وفادت الصخرة وقوله لكن اي لا استغراب في
ذلك لان هذا اللعين ما على مثله في العتو والتهور السابقين لادراكه

واقتضاه النبي دين الاراشي * وقد ساء بيعه والشراء

ورأى المصطفى اتاه بما لم * ينج منه دون الوفا النجاء

هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء

واعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كانها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول افي مثلي من احمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن اين ترى الشمس مقلة عمياء

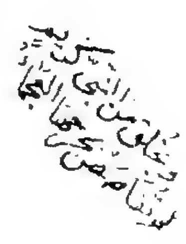
ثم سمت له اليهودية الشاة وكم سام الشقوة الاشقياء

والموجبين لملائكه وقوله يعد الخطاء اى لان خطاه لا ينحصر فلا يعد ومد الخطا لغة شهيرة   واعدت عطف على هم قوم اى هيأت حمالة الحطب لقبت به لانها كانت تحمل حطب الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضنا ؟ لزوجها لعنهما الله واسمها ام جميل بنت حرب بن امية وقوله الفهر اى الحجر الذى يملأ الكف وذلك لما انزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا ابى لهب السورة وقوله وجاءت جملة حالية اى وقد جاءت اليه وهو فى المسجد وابو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وقوله كانها الورقاء اى جاءت فى غاية السرعة والعجلة كانها الحمامة الورقاء اى الشديدة الاسراع اى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة   يوم جاءت يوم ظرف لاعدت وقوله غضبى حال وفى نسخة غيظا فهو تمييز وذلك من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة وقوله افى مثلى اى وانا بنت سيد بنى مخزوم والجار والمجرور متعلق بيقال بعده وقوله من احمد بالتنوين للضرورة حال من الهجاء بعده وهو اى الهجاء السب والذم ونسبت القول اليه لانهم يعتقدون ان القرآن من عنده

وتولت عطف على اعدت وقوله وما راته جملة حالية اى وكيف تراه وهو كف ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وتلك المرأة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن اين ترى الشمس مقلة اى عين عمياء ولما راها ابو بكر قال يا رسول الله انها امراة بذية اى والذى لا يخاطب فلو قمت من هذا المجلس لكان حسنا فقال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا ابا بكر اين صاحبك انظر كيف يهجونى فوالله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فقاه ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله لم لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه وفى رواية قد اخذ الله ببصرها عنى   ثم سمت له اى ثم بعد ما وقع له من هذه الكرامات وقع له كرامة اخرى فى غزوة خيبر فى المحرم سنة سبع وقوله اليهودية وهى زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم وقوله الشاة اى جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها تشاورت معهم فى سموم كثيرة فاجمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة كلها لكنها اكثرت منه فى الذراع والكتف لما قيل لها انه يحب الذراع وقوله وكم اى مرات كثيرة سام من السوم الذى هو مقدمة الشراء او الذى هو رعى الدواب وقوله الشقوة بكسر الشين وفتحها لغة اى واطلب عليها واتصف بها وقوله الاشقياء اى الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم تلك المراة

فلمّا اهدتها اليه اكل منها واكل بعض اصحابه فاخبرته الذراع بانها مسمومة
فقال لاصحابه ارفعوا ايديكم وارسل الى اليهود فجمعهم فقال لهم هل جعلتم
في هذه الشاة سمًا قالوا نعم قال ما حملكم على هذا قالوا قلنا ان كنت كذابًا
استرحنا منك او نبيًا لم يضرك السم   فاذاع اي اظهر له صلى الله عليه
وسلم الذراع مؤنث وقد يذكر كما هنا باعتبار كونه عضوًا وقوله من شرّ
اي سم وقوله بنطق اي معجزة له كما يصرح بذلك اعني انه اخبره بالنطق
قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتني هذه الذراع وقوله اخفاؤه اي
عند الحاضرين وقوله ابداء اي له صلى الله عليه وسلم اي هو وان
خفي عليهم فقد ظهر له كل الظهور ولما قال لها ذلك اي اخبرتني
هذه الذراع صدقته فقال لها ما حملك على هذا قالت قلت ان كان
نبيًا فلن يضره وان لم يكن نبيًا استرحنا منه ولم يعاقبها وتوفي من
اصحابه الذين اكلوا بشر بن البراء واحتجم هو صلى الله عليه وسلم على
كاهله من اجل الذي اكل منها وكان هذا السم يحرك عليه كل عام حتى انه
قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهري فكان
لها دخل في موته لينال رتبة الشهادة حتى لا تفوته رتبة من رتب الكمال
وجاء في رواية انها جعلت تسال اي الشاة احب اليه فقيل لها الذراع
فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها اي شوتها ثم عمدت الى سم موح بالحاء
المهملة اي مسرع لوقته فسمتها به واكثرت منه في الذراع والكتف ثم
وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول
صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظمًا آخر فازدردا
لقمتهما واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه
الذراع تخبرني بانها مسمومة ومات بشر فدفعها لاوليائه فقتلوها
قصاصًا   ويخلق من النبي كريم لا اكرم منه اي بسبب ما تحلى به من
كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرحها اي لبواطنهم بذلك السم
اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر وقوله العجماء اي المراة الشبيهة
بالعجماء اي البهيمة سميت بذلك لعدم نطقها فاطلاق العجماء على تلك المراة
استعارة تصريحية وما جرى عليه الناظم من انها لم تقاصص بجنايتها اي لم تقتل
قصاصًا هو احدى طريقتين لاهل السير والاخرى انه دفعها لاولياء
بشر فقتلوها وان كانت اسلمت على القول باسلامها

فاذاع الذراع ما فيه من شر
بنطق اخفاؤه ابداء



فولم

من فضلا على هوازن اذ كا
ن له قبل ذاك فيهم رباء

مَنّ فضلا معطوف بعاطف محذوف على لم تغنا صحص اى وبخلق
من النبي كريم مَنّ فضلا اى انعم نعمة عظيمة وقوله فضلاً مفعول مطلق
او لاجله اى من عليهم لاجل تفضله وكرمه الذى جبل عليه وفسر الشارح المن
برفع الرق عنهم لانهم كانوا نساء وصغاراً فرقوا بمجرد السبي فرفع الرق عنهم
لاجل فضله اى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض هكذا قال الشارح
وهذا مشكل لان رفع الرق بعد حصوله لا يكون الا بالعتق ولم ينقل فى
القصة عتق من الصحابة لسبي هوازن فلعل هذا من قبيل الخصوصية
حيث صح رفع الرق من غير صيغة اعتاق او كان الحكم اذ ذاك ان الاسير
من النساء والصبيان لا يرق بمجرد السبي وقوله على هوازن اى على نسائهم
وصبيانهم او على رجالهم برد نسائهم وصبيانهم عليهم وهوازن قبيلة حليمة
السعدية وهم اهل حنين المذكور فى القرآن غزاهم عقب فتح مكة لما بلغه انه
انفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه فخرج اليهم سادس شوال سنة
ثمان فى اثني عشر الفا عشرة جاء بهم من المدينة والفان من طلقاء مكة
فلما غلبهم اسر نساءهم وصبيانهم وكانوا ستة آلاف واخذ ابلهم اربعة
وعشرين الفا وغنمهم فوق اربعين الفا وحليهم اربعة آلاف اوقية وهرب
رجالهم فجعل الغنيمة فى الجعرانة وجعل عليها حرسا وتوجه لحرب الطائف
فلما فتحه ورجع الى الجعرانة قسم هذه الغنيمة على المسلمين فبعد ذلك جاءت
رجالهم طائعين مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد
اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام
رجل من اقارب حليمة فقال يا رسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك
اى من الرضاع لانهن قريبات حليمة وحاضناتك اللاتى كن يكفلنك والحظائر
جمع حظيرة وهى فى الاصل ما يجعل للابل ويحوط عليها من عيدان الشجر
ليقيها البرد والشمس فقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه
ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناؤنا ونساؤنا فرد عليهم
ما كان له وسأل فضل المسلمين فيما لهم وما خصتهم فردوا ايضا وقوله
اذ كان اذ تعليلية لقوله فضلا فهو علة للعلة او لقوله من فهو علة ثانية فيكون
حرف العطف مقدرا اى ولاجل انه كان له قبل ذلك اى قبل المن والمراد بالقبل
حالة الرضاع وقوله رباء بفتح الراء والمد اى تربية من ربوت فى بنى فلان
وربيت فيهم اذا انشأت بينهم   واتى السبي اصله الاسر اى اخذ الكافر

واتى السبي فيه اخت رضاع
وضع الكفر قدرها والسباء

والاستيلاء عليه والمراد هنا المشي وقد تقدم انه كان ستة آلاف رأس
والمراد انه اتى من حنين الى الجعرانة اى امر صلى الله عليه وسلم بنقله ووضعه
فيها ليقسمه هناك وقوله فيه اخت رضاع جملة حالية اى اخت النبي صلى الله
عليه وسلم من الرضاع واسمها الشيما او الشما ولما اسروها قالت والله انى
اخت صاحبكم فاتوا بها اليه فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة
ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى فعرفها وقوله وضع الكفر صفة لاخت
اى خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع قدرها السباء بكسر السين
اى الاسر القائم بها فاضمحل فى جنب هذين النقصين ما فيها من اخوته كما
اضمحل فى جنب الكفر ما فى نحو ابى طالب من العمومة والتربية ومع الاعداء
ثم من الله عليها بالاسلام فارتفع قدرها غاية الرفعة فحباها اى
اعطاها ما لم يكن فى حسابها ولا ظنها وجاد على قومها لاجلها وقوله برا
مفعول لاجله اى لاجل برها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون
برا هو المفعول الثانى ويؤيده انه ابدل منه قوله بسط الخ كما ياتى ولما
بسط لها رداءه واجلسها عليه خيرها فقال ان احببت فعندى محببة مكرمة
وان احببت ان امتعك وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها
وزاد فى الاحسان اليها واعطاها نعما وشاء وقيل اثنا عبد وجارية ومن
جملة الثلاثة غلاما يقال له مكحول فزوجته بالجارية ولم يزل فيهم بقية
من نسلهما وقوله توهمت الناس اى الذين راوا ذلك البر اى وقع فى
اذهانهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شانه وقوله به اى بسبب
ذلك البر الذى وصل اليها عنه وقوله انما بعث المريا دالة حصر كما هو
عند الزمخشرى وجماعة وقوله النسا مدبا السين المكسورة المشددة
ثم الياء الموحدة اى المسبيات او النساء وان لم يكن مسبيات لانهن
يسمين سباء لانهن يسبين القلوب والسبا جمع واحده سبى وقوله هداء
بكسر الهاء مصدر هديت المراة الى زوجها لكنه هنا بمعنى اسم الفاعل
اى مهديات لعروس وجملة انما النساء فى محل مفعول توهمت الثانى اى
توهم الناس ان النسوة اللواتى معها فى السبى غير مسبيات لعظم ما لهن
من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم لان
ذلك الاكرام انما يفعل مثله عادة للنساء يهدين عروسا لا للنساء مسبيات
بسط المصطفى بدل من برا اى ومن جملة ذلك البر انه بسط الخ

فحباها بما لم يحبه ... شيماء بما ...

بسط المصطفى لها من ردائه ... ثم فضل ...

مة

تها

ومع

ويصح كونه بدلا من حبا وقوله من رداء من زائدة اى نشره وجعله فراشا
لما تجلس عليه فهنيئا لما ذلك الاكرام وقوله اى فضل اى نعت لرداء اى شرف
عظيم لا غاية له وقوله حواه اى جمعه ذلك الرداء لمماسته لجسده الشريف لانه كان
ملبوسا له فغدت فيه اى صارت وقوله فيه خبر غدت اى صارت منذ حينئذ
فيه اى فى ذلك الفضل وقوله وهى سيدة النسوة جملة حالية من اسم غدت
المستكن فيها والمراد النسوة اللواتى كن معها من سبى هوازن وهذه السيادة
ثبتت لها عليهن لما حصل لها من التمييز الباهر عليهن لثبوت اخوتها له وفر يد اكرامه
لها وقوله والسيدات الخ جملة حالية موكدة للتى قبلها اى والحال ان اولئك
النسوة السيدات قبل اسرهن وقوله فيه اى فى ذلك الفضل اى بسببه صارت
كانها سيدتهن وكانهن اماء لها مع كونهن سيدات قبل ذلك فتنزه لما ذكر
ما اختص به صلى الله عليه وسلم من جميل صفاته طلب من كل عاقل فاتته مشاهدة
هذه الصفات التى لم توجد فى غيره ان ينزه سمعه بالاصغاء الى سماعها عوضا
عما فاته من رؤيتها فقال فتنزه اى نزه نفسك وفرجها وازل عنها الكدورات
والغمومات فهو ماخوذ من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض وقوله فى ذاته اى فى
اوصافها القائمة بها كالبياض والدعج وقوله ومعانيه اى صفاته الغير القائمة
بذاته كصفة نومه وجلوسه ومشيه وقوله استماعا تمييز اى من جهة اصغائك
الى اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية فى هذا النظم الجامع البديع فشبه الذات
الشريفة وصفاتها بروضة نزيهة على سبيل الاستعارة بالكناية والتنزه تخييل
وقوله ان عز اى عاز فقد وفاتك منها متعلق باجتلاء اى اجتلاء منها اى
اجتلاؤها فمن زائدة اى مشاهدتها ورؤيتها بالعين ماخوذ من جلوت العروس
واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اى مكشوفة مزينة والمعنى ان فاتك رؤية
ذاته الكريمة ومشاهدة هذه الصفات العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يلقى
عليك من اوصاف ذاته وعلى صفاته واملأ السمع اى لا تقتصر على سماعك
القليل من ذلك بل املأ السمع بان تكثر من ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شئ محسوس
وان سمعك اناء واسع لملاته من ذلك المسموع وقوله من محاسن اى محاسنه
التى لا توجد فى غيره وهذا جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن وقوله
يمليها من امليت الكتاب ويجوز املته وقوله الانشاد اى لهذه القصيدة وغيرها
والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعراء رفع الصوت به وقوله نشدتك الله اى سالتك
برفع نشيدى اى صوتى اى الانشاد من شخص شجى الصوت معرب لكلامه فقد [illegible]

ثمه

فغدت فيه وهى سيدة النسـ ـوة والسيدات فيه اماء

فتنزه فى ذاته ومعانيه استماعا ان عز منها اجتلاء

واملأ السمع من محاسن يمليها عليك الانشاد والانشاء

من اقوى الاسباب الباعثة على حبه صلى الله عليه وسلم الاصوات المطربة
بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث
للسامع سكرا وخفة وراحة وطربا وذلك يحدث عندها بسببين احدهما
انها في نفسها توجب لذة قوية الثاني انها تحرك النفس الى جهة تحنو بها فيحصل
المثل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها
على الفكر فيحصل للروح ماهو اعجب من سكر الشراب واقوى من لذة عناق الشوق
وقوله والانشاء اي نظم الشعر وتأليفه واسناد الاملاء الى الانشاد والانشاء مجاز لان
المملي حقيقة انما هو المنشي والناشد كل وصف له اي ومما حملك على استفراغ وسعك
في ذلك التنزه واملاء التسمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال
صفاته لا يمكنك ان تحيط بها وكيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت
او ابتدأت انا فالتاء مضمومة او مفتوحة والمراد ابتدأت به في الذكر اي ذكرته اولا
وقوله استوعب اخبار الفضل اي الاخبار الدالة على فضله وشرفه اي جمع
اخبار الفضائل والكمال وقوله منه متعلق بابتداء الذي هو فاعل استوعب
واخبار مفعول مقدم اي كل ما ابتدأت بوصف له وتأملت ما اشتمل عليه صريحا
او بما وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع انواع الفضل وغايات الكمال ولا
يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف
والحجز بضم الحاء وفتح الجيم وآخره زاي معجمة هي الازار والمراد اذ لا يتحقق كمال
وصف من اوصاف الانسان كالحلم الا اذا كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم
والشجاعة والخلق الحسن وح فكل من صفاته يدل على ما وضع له مطابقة وعلى
ما عداه منها ايماء والتزاما وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه ثابت
النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف ويجب على كل مكلف ان
يعتقد ان من تمام الايمان به الايمان بان الله خلق بدنه الشريف على وجه
لم يظهر قبله ولا بعده في آدمي ومن ثم قال الناظم في بردة المديح
فهو الذي تم معناه وصورته البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت
فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه هو الذي تم معناه دون غيره ولو
شورك لم يتم معناه واعلم ان الناظم شرح تمام معناه بما مر ويأتي ولم
يشرح تمام حسن ذاته وانما اشار الى ذلك بقوله ليته خصني برؤية وجه
وبقوله سيد ضحكه التبسم الخ وبقوله او بتقبيل راحة الخ وقد تكفل
بذلك الترمذي في شمائله وغيره فليراجع سيدا في للعالمين الاولين والآخرين

وقوله

كل وصف له ابتدأت به استو
عب اخبار الفضل منه ابتداء

سيد ضحكه التبسم والمشـ
ـي الهوينا ونومه الاغفاء

وقوله ضحكه اى الذى يظهر سروره به وقوله التبسم هو مبادى الضحك
من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان مع صوت خفى
فان كان معه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة وما ذكره الناظم من ان
ضحكه كان تبسما اى من غير صوت اصلا فهو فى غالب احواله فلا ينافى ان
الضحك الذى تقدم تعريفه وقع منه فى بعض الاحيان لحديث فضحك
حتى بدت نواجذه وهى الاضراس وهى لا تظهر الا عند المبالغة فى الضحك
واما بكاؤه فكان من جنس ضحكه فلم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن
تدمع عيناه وجاء ان الله حفظه من التثاؤب وكذا بقية الانبياء والتثا
بالهمز بعد الالف واما بالواو بعد الالف فغلط اه قسطلانى على البخارى
ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس
وقوله والمشى اى الكائن منه الهوينا تصغير الهون وهو السكينة والوقار
والتعظيم قال ابن الانبارى العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم
بالهين اللين مشددا وقال غيره انهما بمعنى والاصل التثقيل فخفف
وفى البيضاوى عند قوله تعالى يمشون على الارض هونا هينين او مشيا
هونا مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع وكون مشيه الهوينا لا ينافى
ما ورد انه واسع ذريع المشى لان معناه انه الخطا وقوله ونومه الاغفاء اى الخفيف
بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد من نوم القلب وغفلة المتولد
عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم ومن ثم كان من خصائصه انه لا ينتقض وضوءه بالنوم
لكمال حياة قلبه وتيقظه ودوام شهوده لربه ومن ثم كان اذا نام
لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ومن ثم ايضا كان من خصائصه
انه لا يحتلم ولا ينزل منه منى فى النوم اصلا ولو بغير احتلام وغيره رؤيا
كما هو رأى الجمهور ما سوى خلقه النسيم لما انتهى الكلام على
شئ من محاسن ذاته الشريفة شرع يذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه
فقال ما سوى خلقه اى ليس غير خلقه النسيم وظاهر العبارة ان النسيم
عين خلقه وليس مرادا بل المعنى على التشبيه اى لا يشبه خلق احد
الا خلقه الكريم والنسيم الريح التى فى غاية اللطافة واللين والطيب
وتشبيه خلقه بالنسيم انما هو باعتبار ما فيه مما يقيت الروح ويحيى القلب
ويجلى صداء النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به

وب

ر

بن

ما سوى خلقه النسيم ولا غيـ
ـر محياه الروضة الغناء

وما اشتهر من ان المشبه به يكون اقوى من المشبه امر اغلبي والا فقد يشبه
الافضل بالمفضول لنكتة كما في صيغة التشهد والخلق بضمتين او بضم
فسكون والمراد هنا الثاني لاجل النظم وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة
تسهل على من قامت به فعل الجميل وتجنب القبيح وقوله ولا غير محياه
اي وجهه الروضة الغناء بالغين المعجمة اي الكثيرة النبات والازهار والثمار
اي ليست الروضة الغناء الا وجهه والمعنى على التشبيه كما تقدم
اي لا يشبهها وجه احد غير وجهه صلى الله عليه وسلم رحمة خبر مقدم
وقوله كله مبتدا موخر وقوله وعزم وحزم وعصمة ووقار وحياء
الخمسة معطوفة على الخبر المقدم فيكون قد اخبر عن المبتدا بستة اخبار
وقدم واحدا منها عليه والرحمة عطف وميل نفساني غايته التفضل
والانعام اي هو عين الرحمة وما عطف عليها مبالغة واشارة
الى ان هذه المصادر الستة التي اخبر بها قد امتزجت بذاته
واستحال انفكاكه عنها حتى كانها هو وكانه هي فهو رحمة للمؤمنين
بالهداية والامان من القتل وللكافرين بتاخير العذاب عنهم ولسائر
الحيوانات لانه ببركته ينزل المطر فينبت النبات ويكون لها قوتا
وقال بعضهم الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا عين
الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة
الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ
ولا ارشاد وقوله وحزم اي كله حزم اي جميع احواله التي تصدر
عنه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة
والظاهرة وقوله وعزم اي كله عزم من عزم على الشئ قطع به اي
جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من
غير اعراض عنه وقوله ووقار اي كله وقار لان الله القى عليه من المهابة
ما لا غاية له وروى عن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو
قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من اجلاء الصحابة كذلك
فما بالك بغيره فعلم انه لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ويتواضع
لهم لما قدر واحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما القى الله عليه من المهابة
والجلالة وقوله وعصمة اي كله عصمة اي حفظ يستحيل شرعا

وقوع

رحمة كله وعزم وحزم وعصمة ووقار وحياء

وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة
وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته جده
ومزحه رضاه وغضبه ومثله فى ذلك الانبياء كلهم فهم معصومون
وقوله وحياء اى كله حياء والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى
الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح
ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق واما الحيا بالقصر فهو المطر
وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول
استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا
عنده المقام فاستحيى ان يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحبة وهو
ما يخطر بقلب المحب فى غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية
وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده
فيستحيى منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص
حتى كان له نفسين يستحيى باحداهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون
من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة وهو الذى قال فيه صلى الله عليه
وسلم الحياء لا ياتى الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخارى قال
ابن قتيبة معنى هذا الحديث ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى
كما يمنع الايمان فجاز ان يسمى ايمانا لان العرب تسمى الشئ باسم ما قام
مقامه او هو من التشبيه البليغ لا تحل بضم الحاء البأساء اى
الشدة وان افرطت وهذا كالمتفرع على ما قبله وقوله منه متعلق
بالصبر الذى بعده وقوله عرى الصبر الصبر حبس النفس على ما تكره
وعراه اسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة واقسام الصبر
ثلاثة اعلاها صبر الصديقين وهو التلذذ بما يصيبهم من المكاره
ويليه صبر الزاهدين وهو الرضا بما قدره الله واراده ويليه صبر
المتوكلين وربما اقترن بالشكوى وفى الكلام استعارة بالكناية
حيث شبه الصبر بالثوب السابغ ذى الازرار والعرى المحكمة وذكر
العرى تخييل ولا تحل ترشيح وحسبك صبره على من حاربوه يوم احد
ووقع منهم ما وقع فقال اصحابه لو دعوت عليهم فقال اللهم
اغفر لقومى او اهد قومى فانهم لا يعلمون اى لا تعاجلهم بالعقوبة من
اجلى فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم فى ذلك من انواع العذاب

لا تحل البأسا منه عرى الصبر
ولا تستخفه السرا

واصناف العقاب قالت القاضي انظر ما في هذا القول من جماع
الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر
والحلم اذ لم يقتصر على السكوت عنهم بل عفى عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم
ودعى وشفع لهم فقال اللهم اهد او اغفر ثم اظهر الشفقة والرحمة بقوله
لقومي ثم اعتذر عنهم فقال فانهم لا يعلمون وقد صح عن زيد بن سعنة
بسين مهملة وعين كذلك فنون مفتوحات وهو من اجل احبار
اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد
عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا شيئين لم اعرفهما منه يسبق حلمه
غضبه ولا تزيد شدة الجهل عليه الا حلما فابتعت منه تمرا الى اجل
فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل اجل التمر بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت
بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تعطيني يا محمد
حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول
لرسول الله ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي رأسك
ورسول الله ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا
احوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي
اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل
فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا شيئين وذكر له ما مر وقد عرفتهما فاشهدك اني قد اسلمت وقد
قالت الصحابة كنا اذا حمي البأس اي الحرب اتقينا برسول الله صلى
الله عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه محتمين به وقد
قاتل في ثمان غزوات ولم يقتل احدا بيده الشريفة الا اشقى الاشقياء
اللعين ابي بن خلف حين قال يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا فتناول
صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه خلوا سبيله
فطعنه في عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه الخبيثة ولم يخرج منها دم
ورجع بها الى قومه وقال لهم قد كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق
علي لقتلني وقال لاصحابه لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين
والمجاز موضع بمنى كان به سوق في الجاهلية وورد ان اشقى الاشقياء
من قتل نبيا او قتله نبي وقوله ولا تستخفه اي لا تخرجه عن ثباته ووقاره
وتواضعه وقوله السراء اي الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي فتحها

كرمت نفسه فما يخطر السو ... ء على قلبه ولا الفحشاء

في آخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعاً وحلماً وعفواً وصبراً
ومن ثم لما دخل مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة وهو على
ناقته القصواء في كتيبته الخضراء دخل وهو خافض رأسه تواضعاً لما
رأى من اكرام الله له بهذا الفتح فازداد شكره وخضوعه لعظمة الله تعالى
حيث احل له بلده ولم يحلها لاحد قبله كرمت نفسه هذا في
المعنى كالتعليل لما قبله اي وانما اتصف بهذه الكمالات التي لم توجد
في غيره لانه كرمت نفسه اي طهرت من كل نقص واتصفت بكل كمال
لانه تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انواره الصمدية
في حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علويها وسفليها على ما اقتضاه
كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره
بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة عقد الاصفياء
وابوه آدم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه
عيون الارواح وظهر ممداً لها في عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان
هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس
فهو وان تاخر وجود جسمه متميز على العوالم كلها برفعته وتقدمه
وقوله فما يخطر اي فبسبب كرامة نفسه وتنزيهها عن كل رذيلة ونقص
لا يخطر السوء على قلبه وقوله ولا الفحشاء هي السوء الذي جاوز حده
وذكرها مع السوء لان المقام مقام اطناب وكيف يخطر السوء على قلبه
وقد طهر بشقه وغسله المرات المتعددة واخرج ما فيه مما جبل عليه النوع
الانساني ثم ملئ من الحلم والعلوم ما لا يحيط به الا الله تعالى

عظمت نعمة الاله عليه ... فاستقلت لذكره العظماء

عظمت نعمة الاله عليه اي واذا تاملت ما اتاه الله من تلك الكمالات التي
لا تحد ولا تعد علمت انه قد عظمت نعمة الاله عليه عظمة قطعت سائر الخلق
عن ان يصل احد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها وقوله
فاستقلت اي فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره اي
عنده او وقت ذكره والضمير راجع لنعمة الاله وذكره لاكتساب النعمة
التذكير من المضاف اليه او باعتبار كونها شيئاً منعماً به وقوله العظماء فاعل
استقلت وهم الانبياء والصلحاء ومفعول استقلت محذوف اي جميع ما انعم الله
به عليهم ومعنى استقلالهم له انهم رأوه وعدوه قليلاً في جانب ما انعم الله به عليه
بجميع ما اعطى لغيره انفراداً واجتماعاً قليل في جنب ما اعطيه هو فليس

جهلت قومه عليه فاغضى
واخو الحلم دابه الاغضاء

المراد بالاستقلال الاحتقار كما قد يتوهم لان احتقار النعمة ربما ادى الى
الكفر جهلت قومه اى قريش وغيرهم والمراد بالجهل لازمه من ايذائهم
له اى اذوه اذى لا يطاق تحمله عادة فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وسفلتهم
فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فسال منهما الدم على نعليه وشجوا
وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله
مرات وحصروا الا جله بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم سنتين حتى
كادوا ان يهلكوا كما مر جميع ذلك ان قلت ما حملهم على وصفه بالجنون
وما شبهتهم فى ذلك مع انه كان مشهورا بينهم بالامين ولم يجربوا عليه خللا
ولا نقصا فالجواب ان شبهتهم فى ذلك ما راوه منه عند نزول الملئكة
من الاستغراق لتلقى الوحى ومن حمرة الوجه وكثرة غطيطه وعميت
قلوبهم عن الفرق بين هذه الحالة وحالة الجنون التى لا تخفى على ادنى عاقل
وقوله فاغضى الاغضاء فى الاصل اطباق العينين عن رؤية المكروه فاستعير
للتغافل وعدم الالتفات الى انه اوذى فضلا عن ان ينتقم ممن اذاه اى
فاعرض عنهم حلما وكرما وقوله واخو الحلم اى التانى فى الامور وعدم الا...
ممن اتى بمكروه وان عظم والمراد باخيه الملازم له والمصاحب اى الذى
طبعه الله عليه حتى صار غريزة له وقوله دابه اى شانه وعادته المستمر هو
عليها وقوله الاغضاء اى التغافل عن ان يلتفت الى الخلق واذا كان
اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم
يصل اليها مخلوق لان الله تعالى تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقائق
حلمه وكل من عرف له حلم عرفت له زلة تنافى الحلم الا هفوة الا نبينا صلى
الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا ولا على جهل الجاهلين
الا حلما ولما دخل فى غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا فى المسجد الحرام
واصحابه ينتظرون ما امره فيهم من قتل او غيره قال لهم ما تظنون انى فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول لكم كما قال اخى يوسف لا تثريب
عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء وسع بكسر السين العالمين جمع عالم
وللمحققين فيه فى الاية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو
مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا
من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده

وسع العالمين علما وحلما
فهو بحر لم تعيه الاعباء

وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو
العالم ادل على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض
هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملك والافلاك
والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو
قيل العالم بالافراد لاوهم استغراق بعض افراد الاجناس فقط وغلب
في جمعه بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان
الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت
فهي قليلة في جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم
فقط وهم الانس والجن والملائكة وتناوله لغيرهم انما هو على سبيل الاستتبا ع
وعلى هذا فهو مشتق من العلم وينقسم العالم ثلاثة اقسام عالم الملك
وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت
وهو المتوسط الذي اخذ بطرف كل منهما وقد اجتمعت الثلاثة في الانسان
فهو من الاول باعتبار اجزاء بدنه ومن الثاني باعتبار روحه وعقله وارا دته
ومن الثالث باعتبار الادراكات بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن
وقوله علما تمييز محول عن الفاعل اي وسع علمه علوم العالمين الانس
والجن والملئكة لان الله اطلعه على العالم كله فعلم علم الاولين والاخرين
ما كان وما يكون وحسبك علمه بعلوم القرآن وقد قال تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وقوله وحلما تمييز كما مر اي وسع حلمه حلم العالمين بامرهم
كما عرف مما سبق وقوله فهو بحر اي فهو بسبب جمعه لتلك المعاني التي
لم تجتمع لغيره بحر اي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية
وصفاته العلية فهو تشبيه بليغ وقوله لم تعيه من اعيى فلان في مشيه
اي تعب او وقف اي لم تتعبه الاعباء قال الجوهري واعيى الرجل في
مشيه فهو معيي ولا يقال عيان واعياه الله فيستعمل لازما ومتعديا
وكلاهما بالالف وقوله الاعباء جمع عبء كحمل وثقل وزنا ومعنى فهو
بكسر اوله والموحدة الساكنة والهمزة اي لم تعيه الاثقال من اي شيء كان اي
لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة ولا بحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعباء
للكدورة والاعباء للشبه والجهالات اي لم تكدر بحر علمه الشبه ولا بحر حلمه
الجهالات   مستقل اي واذا تاملت ما تقدم من اوصافه كالاثر
الباهرة وعصمته ونزاهته علمت انه لعصمته عن التلفت لما سوى الله مستقل

مستقل دنياك ان ينسب الامـ
ساك منها اليه والاعطاء

اى محتقر هذا هو المراد بالاستقلال هنا بخلافه فيما مرّ في قوله فاستقلت
لذكره اى عدته ورأته قليلاً كما تقدم وقوله دنياك المراد بها ما في قوله تعالى
زين للناس حب الشهوات الآية وهي مأخوذة من الدنو اى القرب لقربها
من الزوال وقوله ان ينسب بدل من دنياك اى محتقر امساكها واعطاها
وعبارة ابن عبد الحق ان ينسب الامساك منها عن غير المستحق والاعطاء
منها للمستحق اى يعد ذلك قليلاً بالنسبة لما يمسكه عن غير المستحق ويعطيه
للمستحق من العلوم والمعارف والارشاد والدلالة وانما احتقرها لانها لفنائها
وكثرة الاشتغال بها عن الله حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات
الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقارا لشأنها وتعليماً للامة عدم الاعتداد
بها وقد اشار الناظم لهذا المعنى بقوله في بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب
الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين
الى زخرف الدنيا وزينتها وهي انما خلقت لاجله وقوله هنا مستقل دنياك
هو احسن من قوله واكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء انكر وصفه
بالزهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وذكر الزركشي عن بعض
الفقهاء المتاخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيراً من المال
بل كان اغنى الناس بالله قد كفى امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا ان المراد استكانة القلب
لا المسكنة المرادفة للفقر واما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع
وقد صح انه استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنا وعن
السبكي ان فقهاء الاندلس افتوا باراقة دم من وصفه بالفقر وقد
تعارضت الاحاديث في ذم المال وفي مدحه ويجمع بينها بان المال ليس خيراً
محضاً من كل وجه ولا شراً محضاً من كل وجه وانما هو كالسيف في يد المقاتل
يقتل به معصوماً تارة ومهدراً اخرى او كحية في يد انسان فيها سم وترياق لكن
سمها اكثر واغلب وفي هذا ايماء الى ترجيح القول بتفضيل الفقير الصابر
على الغني الشاكر سيما ما ورد من اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها كل الاعراض
مع انه سيد الشاكرين ولا يخشى عليه منها ضرر اصلا شمس فضل اى
واذا تاملت ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه شمس فضل اى شمس مشرقة
على كل فضل اى شرف وكمال وجد في غيره فكل كمال تحلى به غيره فهو مستضيء
ومستمد من تلك الشمس التي هي ذاته والمراد بالنور تلك الشمس فكانه قال

نها

شمس فضل تحسب الفضل منها ... [illegible]

كل فضل وكمال تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله وكماله
وقوله تحقق الظن به جملة حالية او نعت لفضل وتحقق من حق بمعنى
ثبت والمراد بالظن هنا الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقوله فيه اى
فى ذاته وصفاته وقوله انه اى بالنسبة لبقية الكمل فى اشراقه ورفعته
عليهم كالشمس المشرقة على هذا العالم وقوله رفعة اى فلا يصل اليها احد
وقوله والضياء اى وانه الضياء المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق
الامدادات وتقدم ان كون المشبه به اعلى من المشبه ليس امرا مطردا
بل قد ينعكس الحال كما فى صلاة التشهد كما صليت على ابرهيم على احد الاوجه
فيه وما هنا من ذلك كما نبه الناظم له حيث بين انه صلى الله عليه وسلم اعلا
شانا فى الضياء من الشمس فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة
التى ذكرنا انه تنبه لها فاذا ما ضحى   فاذا ما ضحى اى فبسبب ان المشبه
قد يكون اعلى من المشبه به كان شانه انه اذا ما ضحى ما زائدة واذا هذه
قيل انها حرف وقيل ظرف كما قيل بهما فى اذ ما والاصح انها ظرف للمستقبل
مضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية وتحتاج لجواب وجوابها اما
فعل كما هنا او جملة اسمية وقوله ضحى اى مشى عقب طلوع الشمس اذ
هذا الوقت هو الضحى بضم الضاد وهذا السر لتقييد الجزاء اذ محو نوره
الظل كان فى هذا الوقت وغيره لكنه فى هذا الوقت اظهر لقوة ضياء
الشمس وقوله محى نوره الظل اى ظل ذاته الكريمة او مطلق الظل مبالغة
بل حقيقة لان نوره اصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل والمراد
بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به من الكتاب والسنة والعلوم
والآداب وعلى هذا فالمراد بضحى مطلق ظهوره فى هذا الكون باوصافه
الكاملة لا خصوص وقت الضحى هكذا قال الشارح وفى الاحتمال الثانى
وهو قوله او مطلق الظل نظر لما ثبت انه اذا كان هو واصحابه فى سفر
ينظرون للشجرة الظليلة فيتركونها له فيستظل بها ويتفرقون فى الاشجار
فلو كان ظله يزيل ظلها لم يكن لاستظلاله بها فائدة فالاولى الاحتمال
الاول وهو ان نوره يمحو ظل ذاته فقط او يقال ان نوره يمحو ظل الشجر
من حيث ما فيه من الظلمة واما من حيث كونه مانعا لحر الشمس فلا
يزيله فيكون نظير من اوقد مصباحا فى بيت مظلم فى وقت الحر فظلمة
البيت قد زالت بالمصباح ووقايته لحر الشمس باقية وقوله وقد بدت

به

فاذا ما ضحى محى نوره الظل
وقد اثبت الظلال الضحاء

اى والحال انه قد اثبت الظلال جمع ظل الضحا بالضم اى ارتفاع الشمس
وهو بالضم مقصور ومده هنا لضرورة النظم فنبينا اكمل من الشمس رفعة
وضوأ لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ومن خصائصه انه اذا
مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لان الله استجاب دعاءه ان يجعله نورا فكان
بدنه فى غاية الاضاءة وفى القاموس ان الضحاء بالفتح والمد ما قرب من
انتصاف النهار ويصح ارادة هذا هنا ايضا فتصح قراءة المتن بالضم
والفتح فالضحى بالضم والقصر اسم لما بعد ارتفاع الشمس الى ربع النهار
والضحاء بالفتح والمد ما بعده الى الزوال فكأن الغمامة هى سحابة كان
طولها عشرة اذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عن راسه كذلك وتقدم انها
ظللته وهو فى بنى سعد وظللته ايضا فى سفره الى الشام وعوده منه عند اقبا
على مكة وتقدم ان تظليلها له انما كان قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا
لها ولم يثبت انها اظلته بعدها وقوله استودعته فاعل استودعت ضمير
مستكن فى الفعل وهذا الضمير البارز مفعول اول عائد على النبى صلى الله
عليه وسلم وقوله من اظلت هو المفعول الثانى ومن عبارة عن الامة باسرها
غير الصحابة وقوله من ظله من فيه تبعيضية وقوله الدفناء فاعل
باظلت ومفعوله ضمير محذوف يعود على من التى هى عبارة عن التابعين
فمن بعدهم والدفناء جمع دافف كعلما جمع عالم وهم جيوشه واصحابه
الذين قاتلوا معه سموا بذلك لانهم يدفون عنه العدو اى يسيرون اليه
لدفعه او استئصاله وهذا البيت اشارة الى جواب ايراد على البيت الذ
قبله لكن على الاحتمال الثانى هناك وهو ان نوره يمحو كل ظل وتقرير
الايراد ان يقال كيف يمحو نوره الظل وقد ثبت ان الغمامة اظلته فلم
يمح نوره ظلها وتقرير الجواب ان يقال ان محو نوره صلى الله عليه وسلم
للظلال هو الاصل المستمر واما بقاء ظل الغمامة مع نوره فهو على خلاف
الاصل خرقا للعادة التى كان عليها وذلك لحكمتين احداهما الارهاص
والتاسيس لنبوته كما تقرر الثانية الاشارة الى ان نوره المعنوى لم
يزل بموته بل يبقى مشرقا على امته الى يوم القيمة يتلقاه كل قرن من القرن
الذى قبله فكأن حال الغمامة يقول للنبى بقاء ظلى مع نورك المنافى له
فيه اشارة الى ان ظلك يبقى مع ما ينافى بقاءه وهو موتك خرقا للعادة
فى كل فاشار الناظم لذلك بعبارة يقصر عنه فى بادئ الراى فقال فكأن

فكأن الغمامة استودعته
من اظلت من ظله الدفناء

الغمامة انه اى فبسبب محو نوره الظل الحسي صار هو الظل المعنوي على جميع
اتباعه الى يوم القيمة حتى كان الغمامة لما اظلته اعلمته بانها استودعته اى استودعت النبي
من ظلتهم الذ فقدا اى اصحابه ومن اظلتهم اصحابه بظله ثم جميع الامة الى يوم القيمة لكن
التابعون اظلتهم الصحابة بظل النبي من غير واسطة واتباع التابعين
اظلتهم الصحابة بواسطة التابعين وهكذا ومعنى هذا الايداع والاستحفاظ
ان بقاء ظلها يشير الى ان امته في ظله اى في رعايته وحفظه من حيث ان ظله
المعنوي سار فيهم وعام لهم لكن الصحابة بلا واسطة ومن بعدهم بواسطة
الصحابة لكن الذى افادته عبارة النظم ان الغمامة استودعته التابعين
فمن بعدهم ولم تفد انها استودعته الصحابة لما عرفت ان المفعول الثاني
لقوله استودعته هو من اظلتهم الذ فقدا اى الصحابة ومن اظلتهم الصحابة
بواسطة وبدونها هم التابعون فمن بعدهم وكان قصورها عن الصحابة لان
امرهم ظاهر لانهم باشروا الاخذ عنه في حياته بخلاف من بعدهم لانه هو الذى
يحتاج الى الاستيداع والاستحفاظ لانه انما جاء بعد موته فربما يقال لم يدرك
نور النبي صلى الله عليه وسلم وعبارة شارحها ابن قطيع المالكي نصها ولما
كان نوره صلى الله عليه وسلم اصل الانوار ولا يبقى مع النور ظلمة فلا ثبوت
للظل مع نوره ونور الشمس من جملة فروع نوره فلما اشتدت عند الظهيرة
خجلت ان تظهر مع الاصل الذى هو نوره فاسدلت حجابها بينها وبينه
حياء منه وذلك الحجاب هو الغمامة التى كانت تظلله اذا سار فان قلت
قول الناظم في بردة المديح مثل الغمامة انى سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمى
يفهم منه ان حر الشمس كان يؤثر فيه وان الغمامة تقيه منه بظلها فينافى ما مر
ان تظليلها انما كان للحكمتين السابقتين قلت ما افهمه كلامه في البردة
يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لوقاية حر
الشمس كما افهمه كلامه لكان بعد النبوة ايضا فان قلت يساعد ما افهمه
كلامه في البردة ما ثبت انه قد ظلل عليه عند رميه الجمرة بثوب وهذا يشعر
بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الخلقة والجبلة البشرية وما نحن
فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامل خفيت انه اى واذا
تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل على ما سبق فمنها
علم انه قد خفيت عنده اى في جنب ما اعطيه من الكمالات والفضائل
وقوله الفضائل اى الكمالات غيره من الانس والجن والملائكة وقوله

خفيت عنده الفضائل وانجا
بت به عن عقولنا الاهواء

وانجابت اى انكشفت وقوله به اى بسببه اى النبى اى بسبب ما بثّ لنا
من علومه وآدابه واخلاقه وقوله عن عقولنا اى معشر امة الاجابة
والعقل لغة المنع واصطلاحًا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة
الآلات وقيل فى تعريفه شرعًا هو نور روحانى به تدرك النفوس العلوم
الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتناب الولد ثم لا يزال ينمو
الى ان يكمل عند البلوغ وقوله الاهواء اى الضلالات والنقائص فلم
تقع عقولنا فى ورطة شىء منها كما وقع فيها من اعرض عن الهدى وسلك
سبيل الردى   امع الصبح اى ايوجد مع الصبح للنجوم تجلّ اى اشراق
وظهور لنوره وقوله ام مع الشمس اى ايوجد مع الشمس للظلام بقاء وهذا
كالدليل لما قبله فالمصراع الاول دليل للمصراع الاول من البيت قبله والثانى
للثانى فهو لف ونشر مرتب اى انما خفيت عنده الفضائل لانه الفجر الصادق
وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك
سائر الكمل وكذلك انما انكشفت به الاهواء عن عقولنا لانه الشمس كما مرّ
والاهوية اى الضلالات كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك
الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين
ما اشرقت عليه   معجز القول عطف على قوله شمس فضل بحذف حرف
العطف او مستأنف وانما كان معجز القول لان الله امتنّ عليه بجوامع الكلم
التى اوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن
وكان الناظم جرى على هذا القول وان احتمل ان ينزل كلامه على مذهب
الجمهور من ان الحديث غير معجز بان يؤول ويقال مراده بكونه معجز القول
ان كلامه فيه الاخبار بالمغيبات وهو من هذه الحيثية معجز باتفاق
وقوله والفعال اى ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق على ان يوجد فعلا
مطابقًا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة فى ذلك الوقت الذى اوجد فيه
ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث الحضرة الالهية
التى لا يدخل فيها احد الا باذنه وقوله كريم الخلق بفتح الخاء وقد تقدم الكلام
عليه عند قوله فنزه فى ذاته وقوله والخلق بضم الخاء وسكون اللام كما
مر بسطه عند قوله ما سوى خلقه النسيم وقوله مقسط اى عادل فى
احكامه واقواله وافعاله فلا يصدر منه شىء الا على غاية العدل باطنا
وظاهرا باتفاق كل من رآه او علم احواله حتى اعدائه وكان صلى الله عليه وسلم

امم الصبح للنجوم تجلت
ام مع الشمس للظلام بقاء



يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وقوله معطاء اى كثير العطاء الذى يعجز
عن ادناه الملوك وعن انس ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه
وجاءه رجل فاعطاه غنما كثيرة كانها تملأ ما بين الجبلين فرجع الى قومه
فقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان
ابن امية يوم حنين حين اسلم مائة ثم مائة ثم مائة وعن جابر ما سئل
صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا اى لا ينطق بالرد بل ان كان عنده المسؤل
وساغ الاعطاء بان لم يحتج ما عنده لما هو اهم اعطاه والا سكت
وقال صلى الله عليه وسلم للسائل ما عندى شئ ولكن ابتع على اى اشتر
فى الذمة وانا ادفع عنك الثمن اذا جاءنا شئ فقال له عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره منه ذلك فقال سعد بن معاذ انفق يا رسول الله
ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم وقال بهذا امرت وقوم ما اعطا
يوم حنين فكان خمسمائة الف الف قيل وهذا نهاية الجود وصح انه اتى بمال
من البحرين فامر بصبه فى المسجد فكان اكثر مال اتى به فكان مائة الف
فخرج للصلاة ولم يلتفت اليه ثم بعدها جلس ففرقه ومع هذا الجود الواسع
كان يعيش عيش الفقراء وكان ياتى عليه الشهران لا يوقد فى بيته نار
وربما ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع وجاءه سبى فسألته فاطمة فى خادم
يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال
لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا تقس
اى اذا علمت اتصافه بهذه الاوصاف الجليلة التى لم يوجد مثلها ولا
يقاربها فى مخلوق غيره علمت ان الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول
لمن لم يعرفه حق معرفته لا تقس من قست الشئ بغيره قدرته على مثاله
اى لا تشبه بالنبى الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم فى الفضل
الجامع لتلك الصفات بل ولا فى كل وصف منها على حدته لان كل وصف
من اوصافه وصل فيه الى غاية لم يلحقه فيها مخلوق وقوله خلقا اى نبيا
او ملكا او غيرهما اى لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه فى وصف
من اوصاف كماله كما تقرر عند قوله لم يساووك فى علاك الخ وقوله فهو البحر
اى هو لا غيره البحر الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ الغاية
وقوله والانام هو كما فى القاموس كسحاب الخلق او الجن والانس او جميع

دم
لا تقس بالنبى فى الفضل خلقا
فهو البحر والانام اضاء

ما على وجه الارض ومثله انام كأمير وآنام بالمد كآنام والمراد هنا
الاول اى الخلق مطلقا لكن المراد من هذا الاول بعض ما صدقاته وهو
الانس والجن والملك بدليل قوله الآتي كل فضل في العالمين وقوله اضاء
بالكسر والمد جمع اضاءة كقناة وقناء وهو الغدير وشتان ما بين البحر والغدير وفي
المختار والغدير القطعة من الماء يغادرها السيل وفي نسخة والانام ركاء
جمع ركوة وهو الدلو الصغير كل فضل في العالمين اى وجد في العالمين
وقوله فمن فضل خبر مبتدأ محذوف اى فهو كائن من فضل ذلك النبي الاكرم
على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وقوله استعاره
جملة حالية من الضمير المستكن في الجار والمجرور وانما استعاروه منه لانه
الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون
غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل منها شيء الا وهو من
بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه
كالشمس وهم كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من نور
الشمس فاذا غابت اظهرت انوارها فهم قبل وجوده انما كانوا يظهرون
فضله وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع وقد
اشار لهذا في بردة المديح بقوله وكل آي اتى الرسل الكرام بها الابيات الثلاث
الا ترى ان ظهور خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع
الكلم المخصوص به ثم توالت الخلائق الى زمن بروز جسمه فلما برز كان
كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من
الانبياء فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها
كما سيأتي [illegible] وقد قال الفخر الرازي لم يكن سجود الملائكة
الا للنور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبهة آدم ووقع في تفسير الرازي
انه اعطي مكان سفينة نوح انه دعى حجرا وهو على شط ماء فانقلع وسبح
الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وذلك لما قال له عكرمة بن ابي جهل ان
كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فدعاه
الى آخر ما تقدم فقال له النبي ايكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه
وقد اعطي نبينا مكان انفلاق البحر لموسى انشقاق القمر الذي هو ابهر
لانه تصرف في العالم العلوي على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا يسمى
المكفوف بحور الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط فعليه يكون

كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء

انفلاق

انفلق لنبينا ليلة الاسراء وعن سلمان الفارسي قال تحت هذه السماء بحر ماء تطلع فيه الدواب مثل ما في بحركم هذا ومن ذلك البحر اغرق الله قوم نوح وينزله الله الارض قبل يوم القيمة فيغرق به من يشاء ويعذب به من يشاء ذكره السيوطي شق عن صدره وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك اربع مرات او خمسا مبالغة في التطهير ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك وقوله وشق له اي لاجله البدر اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبته قريش وبالغوا في عناده وطلبوا منه آية يريهم اياها تدل على صدقه وهي ان يشق لهم القمر نصفين فانشق له كذلك ولم يقع هذا لغيره وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدله شيء من آيات الانبياء لظهوره في ملكوت السماء خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فلم يطمع احد في الوصول اليه وجاء ان فرقة منه كانت فوق جبل حراء واخرى كانت اسفله وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وانه قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسالوا المسافرين فجاؤا من كل ناحية واخبروا بانهم رأوه منشقا فقال بعض الكفار لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وما قيل ان القمر قد دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا اصل له واعلم ان البدر اسم للقمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار له في ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر وقوله ومن شرط اي وانما شق له القمر لانه شق من صدره حتى اخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزي على ذلك بجزاء من جنسه اذ من شرط كل شرط وقع في البدن لغرض مقصود ان يكون له جزاء وفائدة وثمرة كبرء من مرض فهكذا هنا لما وقع واقيم صلى الله عليه وسلم في شق قلبه المرة بعد المرة جوزي على ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو اظهر معجزاته واباهرها بعد القرآن فتبين من هذا ان الشرط الاول ما علق بحصوله حصول شيء آخر يسمى جزاء وان الثاني شق الجلد واللحم وفي ذكر الجزاء تورية اذ يطلق على الجزاء النحوي والجزاء العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع ورمي بالحصى اي ومن معجزاته ايضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى اعداءه بالحصى فاقصد اي اصاب فاهلك ففي القاموس اقصد السهم اصاب فقتل مكانه وقوله جيشا اي عظيما كان اعز تلو عليه

قوله يريهم اياها كان حق العبارة ان يقول يريهم اياها كما لا يخفى اهـ شيخنا البجاوي

يتوقف في ثبوت هذا الشق نفسه في حق غيره كما لا يخفى انه عن قلبه اه

ورمى بالحصى فاقصد جيشا ما العصى عنده وما الالقاء

حتى ظن انهم لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان
يوم بدر تناول كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه اى
قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل فى
عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل من قتل من صناديد قريش واسر
من اسر من اشرافهم ونزل فى هذه الرمية التى فى بدر قوله تعالى وما رميت
اذ رميت وقال الجبرية فى هذه الآية سلب فعل النبى عنه واضافته
الى ربه وهو يعين الجبر ويبطل نسبة افعال العباد اليهم ورد بان هذا
غلط وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب والمراد من
الآية عند اهل السنة ان تلك الرمية من البشر لما لو تسلم بهذا المبلغ عادة
كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف والالقاء ومن الرب نهايتها
وهو الايصال فاضاف تعالى الى نبيه رمى الحذف وهو مبدؤه بقوله اذ رميت
ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته بقوله وما رميت ونظير هذه الآية
نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى بانه المنفرد بالتاثير وان
غيره ليس منه الا اسباب تظهر للناس ولما التقى الجمعان يوم حنين
استقبل المسلمون من هوازن ما لم يروا مثله فى السواد والكثرة فحملوا
حملة واحدة ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اناس قليلون من اهل بيته
العباس وعلى وابو سفيان بن الحارث ومن اصحابه ابو بكر وعمر والفضل
وآخرون ثم تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه
ورمى بها فى وجوه المشركين فما بقى منهم احد الا ملئت عيناه من تلك القبضة
وقوله ما العصى عنده اى واذ قد علمت ما ترتب على رميه بالحصى من تشتيت
جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم آن لك ان تقول الحق قال لك ان القاء
موسى لعصاه والقاء السحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لا تقل
ذلك ما العصى ما استفهام انكارى والمراد عصى موسى التى القاها على
حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك وقوله عنده اى الحصى المرمى
اى بالنسبة اليه وفى جنبه وقوله وما الالقاء اى لتلك العصى على تلك
الحبال اى لا تقاس معجزة نبينا فى القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى فى القاء
عصاه على ما ذكر فان القاء الحصى القليل على هذا الجيش الكثير حتى هزمهم
عن آخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب العصى ثعبانا وابتلاعها لتلك
الحبال فانها لم تقهر العدو بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه

تنبيه اكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم
واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه
الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزة
العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى
ما من الانبياء نبى الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته
وحيا اوحاه الله الى وانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا وفى معناه قولان
غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبياء انقرضت
بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة
صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة
وتستمر الى يوم القيمة لا يمر عصر الا وفيه يظهر شىء اخبر بانه سيكون
فكان من يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء
بعد الاول ودعى للانام اى ومن معجزاته ايضا انه دعى للانام والمراد
بها هنا اهل المدينة ومن داناهم وقوله اذ دهمتهم اى وقت او لاجل ان
دهمتهم اى غشيتهم سنة من محولها اى من اجل محولها بضم الميم والحاء
اى شدة جدبها وقحطها وهو متعلق بقوله شهباء الواقع نعتا للسنة والشهباء
التى لا خضرة فيها ولا مطر واما السنة فزمن الجدب والمحل وان لم تكن سنة
بالمعنى المشهور او المراد بها الزمن المخصوص الذى هو اثنا عشر شهرا فعلى
الاول يكون قوله شهباء تاكيدا وعلى الثانى يكون تاسيسا وسبب هذا الدعاء
ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو
يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع
الله لنا فرفع يديه وليس فى السماء شىء من السحاب فما وضعهما حتى صار السحاب
امثال الجبال فلم ينزل من على المنبر حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى
فقام ذلك الاعرابى او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال
فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقطع المطر وخرجوا
يمشون فى الشمس وسال الوادى شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث
بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فاستهلت اى فبسبب
دعائه استهلت بالغيث اى صبت المطر بشدة وقوله سبعة ايام اى كوامل
لما علمت انه استمر من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى وقوله سحابة
فاعل استهلت وقوله وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة ما حملت من الماء

ودعى للانام اذ دهمتهم
سنة من محولها شهباء

فاستهلت بالغيث سبعة ايام
عليهم سحابة وطفاء

تحرّى نعتٌ لسحابة او حال منها اى تتقصّد تلك السحابة بمائها واسناد القصد اليها مجاز وقوله مواضع الرعى اى الكلأ الذى يرعى وقوله والسقى اى ومواضع السقى التى يجتمع فيها الماء ليشرب منها البهائم وقوله وحيث العطاش اى وتحرى ايضا مواضع العطاش فحيث بمعنى الاماكن والمواضع وقوله توهى السقاء صلة لموصول محذوف نعت لحيث اى التى يوهى بالبناء للمفعول اى تخرق السقاء منهم فيها اى فى حيث فالعائد مقدر اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تحرى الامكنة المعطشة التى تخرق اسقية العطاش فيها لتيبسها وجفافها من عدم الماء والسقاء الظرف للماء واللبن واما المختص باللبن فيقال له وطب واما النحى والعكة فهما وعاءان من جلد يوضع فيهما السمن فقط واما القربة فهى وعاء الماء خاصة واتى الناس اى ولما استمر عليهم الايام السبعة وكاد الناس يهلكون اتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم الجمعة وسالوه ان يدعو لهم وقوله يشكون اذاها اى تلك السحابة وهذه الجملة حالية من الناس وانما اشتكوا منها لقطع المطر السبيل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان ما به من الضرر لحق بقية الناس فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا اسند الى كلهم وقوله ورخاء اى سعة من المطر وقوله غلاء اى شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة فاستعمل اسم السبب فى المسبب فدعى اى فسبب ان هذا الرخاء الذى المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو الغلاء كما دعى ربه ان يكشف عنهم وقوله فانجلى الغمام اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر وقوله فقل اى فاذا تقرر هذا فقل ايها العالم بهذه الواقعة ما شئت من الكلام الدال على التعجب او معنى فقل فتعجب وقوله اقلاعه اى انكشافه استسقاء اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء يكون عادة لطلب حصول الماء وهذا الطلب لرفعه او يقال فى معنى قوله اقلاعه استسقاء اى اقلاعه على حذف مضاف اى طلب اقلاعه وقوله استسقاء على حذف كاف التشبيه اى طلب اقلاعه كالاستسقاء بجامع ترتب دفع الضرر على كل ثم اثرى الثرى اى ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه اثرى الثرى الثرى فاعل اثرى ماخوذ من قولهم اثرى الرجل اذا اكثر ماله والثرى اسم للتراب فالمعنى هنا ثم اثرى التراب اى كثر خيره اى كثر الخير بسببه اى كثر المطر الواقع عليه فكثرت فوائده

لكثرة

تحرّى مواضع الرعى والسقى وحيث العطاش توهى السقاء

واتى الناس يشكون اذاها ورخاء يؤذى الانام غلاء

فدعى فانجلى الغمام فقل فى وصف غيث اقلاعه استسقاء

ثم اثرى الثرى فقرت عيون بقراها واحييت احياء

لكثرة انبات الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال وقوله فقرت اى فبسبب
هذه الكثرة قرت اى فرحت واطمأنت من قولهم اقر الله عينه اى اعطاه حتى
لا تطمح عينه الى من فوقه وقوله عيون اى عيون اهل المدينة وقوله بقراها
اى بسبب عمارة قراها اى العيون او المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة
من الخصب بعد ما زال عنهم الكرب وقوله واحييت اى بعد ما حصل لها
من الجدب والشدة ما يصيرها كالموتى من احياه الله فحيي بالفك وحي
بالادغام وهو الاكثر وقوله احياء جمع حي اى قبائل العرب بواسطة احياء
نفوسها ومواشيها فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى بجامع النفع في كل
واستعير الاحياء للانقاذ واشتق منه احييت اى انقذت من الهلاك

فترى ايها المخاطب لو شاهدت تلك الواقعة الارض عقبه اى ذلك
المطر اى عقبه من حيث انه تولد عنه ما يدهش الابصار من الزرع والنبات
والازهار وقوله كسيا حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر ومفعول ثان
ان جعلت علمية وقوله اشرقت اى زالت عنها وقوله من نجومها اى من
اجل نجومها وقوله الظلماء فيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه
الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال ظلمتهما
الحقيقية في السماء والمجازية في الارض تحار اى تتحير وتدهش وقوله
الدراري اى اللؤلؤ واسناد الحيرة اليهما مجاز وهو على حذف مضاف اى اهلها بمعنى
ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عند
رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة وقوله من نور بفتح النون اى
زهر وهو بيان لفاعل تحار الآتي وهو البيضاء والحمراء قدم عليه لاجل النظم
وقوله رباها بضم الراء اى المحال المرتفعة منها وخصت بالذكر لان الذي
بها من النبات يكون انضر وابهى من بقية الارض وقوله البيضاء راجع للدر
وقوله الحمراء راجع لليواقيت اى تحار نورها الابيض الدر ونورها الاحمر
اليواقيت ففيه لف ونشر مرتب وما تقرر من ان الناظم اراد القصة المذكورة
التي كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا القصة
التي وقعت بمكة فقد ورد ان قريشا لما ابطؤا عن الاسلام دعا عليهم
صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام
فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد قد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا
فادع الله فدعا فسقوا الغيث واستمر عليهم سبعة ايام فشكى الناس كثرة

ثبت خصيصتي برؤيته زال عن كل من رآه الشقاء

فسأل الله رفعه فارتفع　　لبعة خصيصتي لما ذكر من صفاته الباهرة ما يشوق
كل سامع لشيء منها الى رؤيته ووجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته هي لتمني ما لا
طمع في حصوله او ما فيه عسر خصيصتي برؤية وجهه اي ليتني ادركت زمنه فرأيته
لاكون من اصحابه اذ هم افضل من جميع من جاء بعدهم عند الاكثرين وذهب
ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون في زمن من بعدهم من هو افضل من بعضهم
واشار بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما
من زاد على ذلك برواية عنه او غزو معه فلا نزاع فيه او ليتني اراه في الموقف
وعلى الحوض في الجنة شافعا لي او ليتني اراه في النوم ورؤية تدل على اعتنائه بي
لاخباره صلى الله عليه وسلم بان من رآه في النوم فقد رآه حقا لان الشيطان
لا يتمثل بصورته وبان من رآه فيه فقد رآه في اليقظة اي كانه رآه فيها لما
تقرر ان الشيطان لا يتمثل به مطلقا اي في اي صورة كانت وقال
بعضهم محله ان رآه بصورته التي كان عليها في الدنيا وصح عن ابن سيرين
وعن ابن عباس ما يفيد هذا التقييد ومقتضاه ان الشيطان يتمثل به
اذا رؤي على صورة غير صورته التي كان عليها في الدنيا او على صفة غير صفته
وجاء في حديث ضعيف اني ارى في كل صورة وصحح النووي وغيره انه يرى
حقيقة ولو على غير صفته وقال عياض في رواية مسلم من رآني في النوم
فسيراني في اليقظة يحتمل ان المراد ان رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في
الآخرة على انواع مخصوصة من قربه او شفاعته له وقال الغزالي انه في
رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثالا يحكيها على التحقيق كما
في رؤية الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل المثال بحسب خيال الرائي معرف لها
اي لذاته تعالى من نور او غيره او ليتني اراه في يقظتي بناء على امكان ذلك
وهو ما حكاه ابن ابي جمرة وكثيرون عن جماعة من التابعين ومن بعدهم
انهم رأوه في اليقظة وسألوه عن اشياء قال ابن ابي جمرة وهذا من جملة
كرامات الاولياء وعن الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون
الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويستفيدون منهم
فوائد ومما يؤيد هذا انه لا يبعد ان من اكرم برؤيته يزيل الله له الحجب
بينه وبينه وهو بحاله في قبره ويخلق الله في الرائي قوة في بصره فيراه ولو مع
بعد المسافة ويحادثه ويسمع كل كلام الآخر فتلخص ان الاحتمالات اربعة
ليتني رأيته في حياته ليتني اراه في القيامة ليتني اراه في النوم ليتني اراه

في

فى اليقظة والظاهر ان مراد الناظم هذا الرابع وقرينة ذلك انه تلميذ القطب
ابى العباس المرسى فهو الذى حلت عليه بركته حتى وصل الى هذا المقام والقطب
المذكور وارث القطب الاكبر ابى الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه
رؤية النبى يقظة بل قال الشاذلى لو حجب عنى رسول الله طرفة
عين ما عددت نفسى مسلماً وممن حفظت عنه رؤية رسول الله يقظة
مراراً العارف بالله تعالى سيدى على وفا بن القطب الكامل سيدى محمد وفا
وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلى ومن ثم قالوا طريقة الوفائية
خلاصة طريقة الشاذلية وكان سيدى على يرى رسول الله كثيراً عند
قبر والده بالقرافة فكون الناظم منسوباً لهؤلاء يقرب انه سألها يقظة كما وقع
لهم ولقد كان شيخى وشيخ والدى الشمس محمد بن ابى الحمائل يرى النبى يقظة
كثيراً حتى يقع له انه يسئل فى الشئ فيقول حتى اعرضه على رسول الله ثم
يدخل راسه فى جيب قميصه ثم يقول قال رسول الله فيه كذا فيكون كما اخبر
لا يتخلف ذلك ابداً وقوله زال اى تحول فزال هنا تامة وقوله من راه اى
مؤمناً به فى حياته او بعد موته فى يقظة الرائى او فى النوم على صفته التى كان
عليها فى الدنيا او فى الآخرة على وجه مخصوص وقوله الشقاء اى جميع انواعه
مسفر بالجر نعت وبالرفع خبر لمبتدا محذوف وكذا يقال فيما بعده فلما
ذكر الوجه الكريم ذكر بعض صفاته فقال مسفر اى مشرق مضئ يكاد نوره ان
يخطف الابصار وقوله يلتقى اى ذلك الوجه وقوله الكتيبة اى الجيش
العظيم وقوله بساما حال اى مبتسماً وقوله اذا اسهم اى غير من سهم
بفتح الهاء وضمها اذا احمر وتغير وقوله اللقاء اى لقاء العدو اى فهو فى
الحالات التى يتزعزع غيره فيها ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمأنينة
والثبات والتبسم لعظم ما اتاه الله من الشجاعة التى لم يصل غيره الى ادناها
وذهب بعض المالكية الى ان من قال ان النبى هزم انه يستتاب فان تاب والا
قتل لانه ينقصه واعترضه بعض آخر منهم بما حاصله انه حيث كان
ذلك تنقيصاً لم يستتب ولم تقبل له توبة وقياس مذهبنا خلافاً لمن اخطأ
فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض
ائمتنا الى انه لا تقبل توبته والمعتمد قبولها منه   جعلت مسجداً له اى
لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له وقوله الارض اى كلها وتصح
الصلاة فى سائر بقاعها كما فى الحديث اعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلى

مسفر يلتقى الكتيبة بساما
اذا اسهم الوجه اللقاء

جعلت مسجداً له الارض فاهتز
بها للصلاة فيها حراء

نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من
امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت
الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة رواه الشيخان
والنسائي عن جابر والمراد بقوله مسجدا اى موضع سجود اى ان السجود
لا يختص بموضع منها دون غيره ومعناه ان الصلاة لم تبح لمن قبلنا الا في
محل يهيئونه للصلاة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك ولفظه
وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم وهذا ظاهر في حال اقامتهم اما في
حال سفرهم فيحتمل ان صلاتهم كانت تسقط عنهم فيه ويحتمل انهم
كانوا يؤخرونها الى ان يجدوا كنيسة او نحوها ويحتمل انه كانت تجوز
صلاتهم في اى بقعة كانت فتكون الخصوصية لنا عليهم بالنسبة لحالة
الاقامة وقوله فاهتز اى فبسبب هذا الجعل اهتز اى تحرك طربا وفرحا به
صلى الله عليه وسلم للصلاة اى لاجلها فيها اى الارض اى وذلك الجبل من
جملة بقاعها فلا بد من هذه التتمة ليظهر التعليل ومحصله ان فرحه
المذكور وتحركه لاجل جواز الصلاة وحلها فيه من حيث انه من جملة اجزاء
الارض وفي الحديث ما يقتضي ان تحركه وسروره من حيث مشي النبي
عليه وصعوده عليه ولا منافاة اذ يمكن ان يكون فرحه بكل من الامرين وقوله
حراء بالكسر والمد يجوز قصره وصرفه باعتبار المكان والبقعة كسائر
اسماء الامكنة وهو الجبل الذى كان يتعبد فيه قبل النبوة ودليل ذلك
انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء ذات يوم هو وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير فتحرك الجبل فقال اسكن حرا ما عليك الا نبي او صديق او شهيد
وجاء في رواية انه كان معه العشرة الا ابا عبيدة وجاء ان هذا وقع
له في احد ايضا وكان معه فيه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه
برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيد وجاء هذا في ثبير ايضا
وهو جبل مقابل الحراء قاله الطبرى وغيره واختلاف الروايات يحمل على
انها قصص قد تكررت وهو واضح   مظهرا اى ذلك الوجه الكريم
وقوله شجة الجبين اى جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي
التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتي ان الذى شج اى جرح جبهته وفي رواية
وجنته والوجنة ما ارتفع من الخدين والجبين غيرهما فالتعبير به من مجاز
المجاورة وقوله على البر اى معه فعلى بمعنى مع من برى من المرض

ن

مظهرا شجة الجبين على البر
ء كما اظهر الهلال البراء

بكسر

بكسر الراء برؤا بضم الباء وبراءً بفتحها مع سكون الراء فيهما وهذه الشجة كانت
يوم احد فعن ابى سعيد الخدرى ان عتبة بن ابى وقاص الذى مات شقيا
وهو اخو سعد بن ابى وقاص اول من رمى بسهم فى سبيل الله وكان النبى
يفتخر به ويقول هذا سعد خالى اى لانه زهرى فليرنى امرؤ خاله فشتان ما بين
هذين الاخوين رمى ذلك الشقى رسول الله يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته
اليمنى السفلى وعن ابى سعيد ايضا ان عبد الله بن هشام الزهرى شج رسول الله
فى جبهته وان عمر بن قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع فى
حفرة وهشموا البيضة على راسه ورموه بالحجارة حتى وقع على شقه فى حفرة
وجاء فى خبر مرسل ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين
ضربة ووقاه الله شرها كلها وقوله كما مصدرية وقوله البراء بفتح الموحدة
وهو يطلق على اول ليلة من الشهر وعلى آخر ليلة منه وعلى آخر ليلة من النصف
الاول والمراد هنا الاول لاجل ذكر الهلال اذ هو اسم للقمر اول ليلة وقيل
والثانية والثالثة اى ان وجهه المكرم اظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا
واضحا ليس فيه ادنى شين بل كان فى غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله وذلك
لحكمتين ليتذكر الراؤن بذلك والراوون عنهم ما وقع له من المحنة وعظيم الصبر
عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه بل زادته جمالا
على جماله لانها صارت بعد البرء فى وجهه كالهلال فى السماء   ستراى ذلك

الوجه الحسين منه بالحسن فاعجب
لجمال له الجمال وقاء

الوجه الحسين اى الاصلى وقوله منه اى من ذلك الوجه وقوله بالحسن اى العارض
من الشجة وقوله لجمال اى اصلى وقوله له الجمال اى العارض وقوله وقاء
اى وقاية وسبب ذلك ان الله اعطاه غاية الجمال فى باطنه وظاهره ويكفيك
شاهدا على ذلك ما مر ان الله جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده
ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انوار الباطنة ما صيرها كالهلال
فى وجهه وصار حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان
عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه
ولذلك شبهه بتشبيهات توضح ذلك وتكشفه فقال فهو كالزهر اى

فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ
مام والعود شق عنه اللحاء

فهو اى ما ظهر بالشجة من باطن بدنه كالزهر اى نور النبات وقوله لاح اى
ظهر وقوله من سجف الاكمام السجف بفتح اوله وكسره الستر والاكمام جمع كم
بكسر الكاف وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد فالاضافة فى سجف الاكمام
بيانية وقوله والعود اى وهو ايضا كالعود الذى يتطيب به اذا شق عنه

اى ازيل منه اللحاء وهو قشر الشجر من لحوته الحوه قشرته باللحاء فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال كاد ان يغشى الخ كاد اى قارب ما ظهر من جماله بالشبحة ان يغشى بالغين المعجمة اى يغطى اظهر من المهملة وقوله سنا بالقصر اى ضوء عظيم وقوله منه متعلق بمحذوف اى خارج منه وقوله لسرٍّ فيه اى فى ذلك الباطن الذى ظهر وهو مصيره صلى الله عليه وسلم كله ضياء ونورا اعظم من ضياء الشمس وقوله حكته اى شابهته وقوله ذكاء بضم المعجمة وعدم الصرف اى الشمس صانه اى صان ذلك الجمال الذى ظهر الحسن اى لو انفرد فكيف وقد انضم اليه السكينة وهى الوقار مع طمأنينة القلب وعدم تحركه مما يحزن به من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره وقوله ان تظهر اى من ان تظهر فيه آثارها الضمير يعود على البأساء الواقع فاعلا اى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشبحة الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال فعلم انه فى حالة اليسر كهو فى حالة البأساء لما اودعه الله من كمال الجمال وتمام البهاء فلا تؤثر فيه البأساء شيئا وتخال اى تظن انت وقوله ان قابلته اى عاينته وجواب ان محذوف اى خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة ويدل على هذا المحذوف قوله البستها الخ الذى سد مسد مفعول تخال الثانى وجملة الشرط وجوابه معترضة بين المفعولين وقوله الوانها ضمير عائد على الحرباء الواقع فاعلا وهى طائر مشهور من شأنها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة وهى على قدر القطا او قريب منها قاله بعضهم وهذا الطائر الذى هو الحرباء موجود فى بلاد الشام كثيرا وذكر من رآها انها اذا وقع عليها ثوب ابيض صار لونها ابيض او اصفر صار لونها اصفر مثله وانها اذا رأت ذبابة على الارض وهى على الشجرة التقطتها بلسانها لطول لسانها او وشم رايت فى حياة الحيوان الكبرى للعلامة كمال الدين الدميرى ما نصه الحرباء كنيته ابو حمارف وابو الزنديق وابو شقيق وابو قادم قال الامام القزوينى فى عجائب المخلوقات لما كان الحرباء خلقا بطئ النهضة وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة فخلق عينيه تدور الى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى بدنه ولا قصد اليه ويبقى كانه جامد كانه ليس من الحيوان ثم اعطى مع السكون خاصية اخرى وهى انه يتشكل فى لون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها

ثم

كاد ان يغشى العيون سنا منـ ـه لسر حكته فيه ذكاء

صانه الحسن والسكينة ان تظـ ـهر فيه آثارها البأساء

وتخال الوجوه ان قابلته البستها الوانها الحرباء

ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره اخرج لسانه وخطف ذلك
بسرعة كلحوق البرق ثم يعود الى حالة كانه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف
المعتاد ليلحق ما بعد عنه مثلا ثلاثة اشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة واذا
راى ما يريبه ويخيفه تشكل ويكون على هيئة شكل ينفر منه كل ما يريد من الجواد
ويكرهه بسبب ذلك التلون انتهت والحرباء اكبر من القطاة وهي تستقبل
الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بحر الشمس كما قال الامام الغزالي
الوانا مختلفة فتتلون الى حمرة وخضرة وصفرة وما شاءت وهو ذكر والجمع
الحرابى والانثى حرباية وهي ابدا تطلب الشمس فحين تبدو تعرف بوجهها اليها
حتى اذا استوت الشمس على راس شجرة وما يجري مجراها فاذا صار قرص الشمس
فوق راسها بحيث لا تراها اصابها مثل الجنون فلا تزال طالبة لها ولا تفتر
الى ان تتصوب الى جهة الغرب فترجع بوجهها اليها مستقبلة لها ولا تنحرف
عنها الى ان تغيب فاذا غابت الشمس طلب هذا الحيوان معاشه ليله كله الى
ان يصبح وهذا الحيوان يشبه راس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة ولها
اربعة ارجل كسام ابرص وسنام كسنام البعير   فاذا شمت اي فبسبب
هذا الجمال الباهر والاحسان الكثير اذا شمت بالمعجمة من شمت البرق نظرت
الى سحابه وقوله بشره اي طلاقة وجهه وقوله ونداه اي جوده اي اذا
تطلعت الى مخايله ببصرك منتظرا اليه اذهلتك اي انستك ما انت بصدده
الانوار الباهرة التي تحصل للشمس من بشره عند رؤية وجهه وقوله والانواء جمع
نوء وهو ما تضيف العرب الامطار اليه من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا
وهي هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه لمن بداه وامله ففيه لف ونشر مرتب
لرجوع الانوار للبشر والانواء للنداء   او بتقبيل راحة لما نهى رؤية الوجه
الكريم واتبعه باوصافه العلية اخذ في تمني تقبيل راحته الكريمة ووصفها باوصافها
العلية فقال او بتقبيل اي اولنه خصني بتقبيل راحة واو بمعنى الواو والراحة
بطن الكف لكن المراد بها هنا الكف بتمامها اي بتقبيلها في اليقظة او في
النوم على ما مر من الوجوه الاربعة في رؤية الوجه ووقع تقبيلها في اليقظة
لكثير كالقطب الرفاعي لما حج ووقف على القبر الشريف وانشد

في حالة البعد روحي كنت ارسلها   تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبلها بحضرة الناس ووقع ذلك ايضا

فاذا شمت بشره ونداه
اذهلتك الانوار والانواء

او بتقبيل راحة كان لله
وبالله اخذها والعطاء

للشيخ الناظم القطب المرسي فانه قال صافحت بكفي هذه كف النبي مرارا انتهى ومن لازم هذا تقبيلها وقوله كان لله اي لاجل ابتغاء وجهه دون غرض آخر وقوله وبالله اي بسبب شهود اعانته واقداره وقوله والعطاء اسم مصدر بمعنى الاعطاء وذلك ببراءتها عن كل غرض ينافي الكمال الاعظم تُغني بفتح التاء اي تخاف وتحذر وقوله بأسها اي شدتها في الحرب وقوله الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس وقوله وتحظى بفتح التاء اي تفوز وتظفر بالغنا الحسي والمعنوي وقوله من نوالها اي اعطائها وذلك لانه كان اجود الناس ومع ذلك يعيش عيش الفقراء بايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله وفي ابتغاء مرضاته ببذل المال تارة للفقراء وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف به من يقوى اسلامه او من يسلم باسلامه نظراؤه لا تسل اصله تسأل بالهمز ثم خفف لحذفها كما قرئ به في سال سائل وقوله سيل هو الماء الكثير الجاري وقوله جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير اي لا تسال هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شيء لا يقدر احد من البشر قدره وقوله انما اي ان الذي يليق بك ان تسأل ما يكفيك وهو ان يصل اليك من وكف اي قطر سحبها جمع سحاب والانداء جمع نداء وهو البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنا الكلي درت الشاة اي ارسلت لبنها الغزير وقوله فلها اي فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها فحل قط وقوله ثروة اي كثرة لبن وقوله بها اي بسبب تلك الراحة الكريمة وقوله ونماء اي زيادة في تلك الثروة وهذه القصة وقعت له لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قرب رابغ على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة اي كثيرة البروز للرجال مع عفتها وصيانتها وانما تبرز لهم لتسقي العطاش وتطعم الجائعين وكان الوقت وقت قحط فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في جنب الخيمة تخلفت من صواحبها ان تسرح معها لضعفها من شدة الجوع فسالها هل بها لبن فقالت هي اجهد من ذلك وما ضربها فحل قط فقال اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعى بالشاة فاعتقلها اي جعل رجلها بين ساقه وفخذه على عادة حلب الشياه ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت اي فرقت بين رجليها ليسهل حلبها ودعا باناء يشبع الجماعة فحلبه من حلبها

تُغني بأسها الملوك وتحظى بالغنى من نوالها الفقراء

لا تسل سيل جودها انما يكفيك من وكف سحبها الانداء

درت الشاة حين مرت عليها فلها ثروة بها ونماء

نبع الماء واثمر النخل بها
وسبحت بها الحصباء

وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلبت فيه مرة بعد اخرى فتركه عندها
وذهبوا نبع الماء اى ومن اوصاف تلك الراحة ايضا انه نبع الماء اى
بها اذ قول الناظم فيما ياتى بها راجع لكل من الامرين نبع الماء واثمار النخل
ولم يقل منها مع انه المتبادر ليفيد ان نبع الماء وقع تارة منها نفسها وتارة
من غيرها ببركتها اما الاول فقد وقع مرات كثيرة فمنها ما فى الصحيحين
من انس ان الناس احتاجوا للصلاة العصر فلم يجدوا ماء فاتى النبى
بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا
وكانوا ثمانين وفى رواية البخارى ان الماء نبع من بين اصابعه ومن اطراف
اصابعه ووقع نظير ذلك فى غزوة تبوك وكانوا الفا وخمسمائة وظاهر
الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وصححه النووى
وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تادبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد
المعدومات من غير مادة واما الثانى فمنه ما وقع فى الحديبية انهم
اتوا على بئرها وكان ماؤها قليلا فنزحوه ثم عطشوا فاخذ صلى الله عليه
وسلم سهما من كنانته فغرزه فى قعر البئر ففارت البئر ومكثوا عليها اياما
عديدة يستقون لانفسهم ومواشيهم وكانوا الفا واربعمائة وماؤها
كثير الى الآن وقوله اثمر النخل اى فى عامه اى فى سنة غرسه وقوله
بها اى بسبب تلك الراحة الكريمة وذلك فى قصة سلمان الفارسى وحاصلها
انه لما قدم المدينة اتاه سلمان فآمن به وكان مسترقا فامره ان يكاتب
سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وعلى اربعين اوقية
ذهبا فاخبر سلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان
يعينوه بالودى فاعانوه به ثم غرسه صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها
واحدة بل اثمرت كلها فى عامها وبقى عليه الذهب فجاء رسول الله بمثل بيضة
دجاجة من ذهب فاعطاها له فقال واين تقع هذه مما على فقال خذها
فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية قال سلمان
والذى نفسى بيده انه قد فضل منها قدر ما وزنت لهم وقوله
سبحت بها اى فيها الحصباء لغة فى الحصى وحاصل قصته انه كان عنده
ابو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن فى كفه حتى سمع لهن
حنين كحنين النحل فيها ولهن اى ابا بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر
كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع احد منهم

وسمعنا تسبيح الحصى وغيره من الجمادات ان الله خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة   احييت المرملين اى ومن اوصافها ايضا انها احييت المرملين الذين نفدت ازوادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية وقوله من موت جهد اى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان قريبا من الموت اطلق عليه اسمه وقوله اعوز القوم يقال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه اى عز وتعذر عليهم وقوله فيه اى فى ذلك الجهد وقوله زاد عبر به مع انه يقال لطعام المسافر خاصة وذلك للاشارة الى انهم لما حصلت لهم تلك الشدة صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك   فتغدى الغدا بفتح الغين المعجمة والدال المهملة يقال لما يؤكل من اول النهار الى الزوال والعشاء بفتح العين ما يؤكل بعد الزوال الى الفجر كما فى القاموس واما الغذاء بكسر الغين المعجمة والذال المعجمة فهو اسم لما يؤكل على سبيل التقوت فى اى وقت كان فقول الناظم فتغدى بالغين المعجمة والدال المهملة وذلك لان قصة جابر كانت فى اول النهار وقوله ظماء جمع ظامئ اى عاطش اما تروى الالف الظماء بالماء المنبع من بين اصابعه تارة وببركته اخرى فقد تقدم الكلام عليه والتعبير فيه بالصاع للاشارة الى تقليله لا لخصوص هذا المقدار وانما ذكره للمشاكلة لما قبله وكذلك التعبير بالالف المراد به العدد الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا الفا واربعمائة او خمسمائة خصوصا وقد مكثوا اياما عديدة على ما مر وفى بعضها كغزوة تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما فى الصحيحين عن جابر انه رأى بالنبى فى حفر الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته واخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة فذبحها وطحنت الشعير ثم ذهب للنبى فاخبره وطلب ان يأتى بنفر قليل معه فصاح النبى يا اهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سورا فحيهلا بكم والسور بالفارسية هو الطعام وقد كان النبى يتكلم تارة بغير العربية ثم امر ان لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجئ فلما جاء بصق فى العجين وفى البرمة وبارك فيهما ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه وان برمتهم كما هى   ووفى بالتخفيف قدر بيضة اى بيضة دجاجة من نضار

احييت المرملين من موت جهد
اعوز القوم فيه زاد وماء

فتغدى بالصاع الف جياع
وتروى بالصاع الف ظماء

ووفى قدر بيضة من نضار
دين سلمان حين حان الوفاء

كان يدعى فنا اى فنا غير
ابتغى من تعليم الافتاء

غيم التونيا اى ذهب وقوله دين سلمان اى الخادمى اى الدين الذى كان
عليه من جملة ماكانت عليه ستيده وهو اربعون اوقية من الذهب تمامة
مع صغر تلك النضنة وعظم ذلك الدين وقوله حين حان اى قرب
الوفاه اى حلول الاجل   كان يدعى فنا اى ارق بالباطل وملخص
قصته كما حكاه هو عن نفسه انه كان من اصبهان واجتهد فى المجوسية
حتى صار رهبنا فمر بكنيسة للنصارى فاعجبوه لانهم كانوا حوارى عيسى
وكانوا يتعبدون على ذلك الدين حين كان حقا فذكر ذلك لابيه فقيده
وقال له دينك ودين ابائك خير من دينهم وكان سلمان قد سالهم عن اصل
دينهم اى عن العلماء الكبار فيهم فقالوا له بالشام فلما حبسه ابوه ارسل
اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبروني ففعلوا فحل القيد وسافر الى
الشام فاجتمع بالنصارى هناك فسالهم عن اعلمهم فدلوه عليه فخدمه الى
ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان
بالموصل فسافر اليه واخبره بقصته ثم خدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى
قال بفلان بنصيبين بلدة من بلاد اليمن فسافر اليه واخبره خبره ثم خدمه
فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بعمورية من ارض الروم وكانت
محل قيصر وهى مدينة كبيرة فسافر اليه واخبره خبره ثم خدمه فلما احتضر
قال له بمن توصينى قال يا بنى ما اعلم احدا على ما كنا عليه حتى آمرك ان تاتيه
وانه قد اظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابرهيم يخرج من ارض العرب
مهاجرا الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة
بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات
فمر بى نفر من كلب فقلت لهم تحملونى الى ارض العرب واعطيكم ما عندى
فحملونى فلما بلغوا وادى القرى مكان قريب من المدينة ظلموه فادعوا رقه
فباعوه من يهودى فباعه لابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها
فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة
فبينا انا ذات يوم على راس نخلة اجنى لسيدى رطبا اذ جاءه ابن عم له
فقال له قاتل الله بنى قيلة وهى ام الاوس والخزرج انهم الان مجتمعون
بقباء على رجل قدم اليهم من مكة يزعمون انه نبى فاخذتنى رعدة وشدة
حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب
ولطمنى لطمة شديدة وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ طبقا

من رطب وذهبت به الى رسول الله وهو بقباء ووضعه بين يديه فقال
ما هذا يا سلمان فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم ياكل منه فلما
قدم المدينة اتاه بطبق آخر من رطب فقال له ما هذا فقال هدية لك
فاكل منه ثم ذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى البقيع وقد تبع جنازة فجاء سلمان فجعل ينظر
الى ظهره فعرف النبي انه يتامله لشئ وصف له فالقى رداءه عن ظهره
فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره ان يكاتب سيده نظراً
لظاهر حاله والا فهو من جملة الاحرار اذ هو من اتباع حواري عيسى
فكاتبه سيده على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر وعلى اربعين اوقية
ذهبا فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب
فوفت الاربعين فاعتق باداء النجوم وعاش سلمان من العمر مائتين وخمسين
سنة وقيل اكثر وقوله لما اى حيث اينعت اى نضجت من نخيله حال
من قوله الاقناء جمع قنو وهو العذق بكسر العين اى العرجون واما
بفتحها فهو النخلة   افلا تعذرون الهمزة داخلة على محذوف اى
اتظلمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد فلا تعذرون سلمان بضم
الذال المعجمة اى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل
عندكم على نبوته وقوله لما ان عرته اى حين عرته اى اعترته وغشيته
وقوله من ذكره اى من اجل ذكره اى ذكر اليهودي لقربه النبي واجتماع
الناس به في قباء وقوله العرواء بضم العين وفتح الراء والمد اى
نوع الحمى في اول اخذها الانسان بالنفضة والرعدة   وازالت اى ومن
اوصاف تلك الراحة ايضا انها ازالت بلمسها المس به امراض كل داء وقوله
اكبرته اى استعظمته وعجزت عن مداواته وقوله اطبة جمع طبيب
وهو العالم بعلم الطب الذي حفظ صحة الانسان وقوله واساء
بكسر الهمزة اى مراضى جمع آس كرعى وراع روى الدارمي ان امرأة جاءت
الى النبي فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه عند غدائنا
وعشائنا فمسح صدره فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي والجرو ولد
الكلب والسباع   وعيون اى ومن اوصافها ايضا انه بري بها عيون
باصرة مرت اى تلك الراحة وهي رمد جمع رمداء تانيث ارمد اى معطلة
الابصار وقوله فارتها اى ارت تلك الراحة العيون ما لم تر اى الشيء
البعيد الذي لم تره الزرقاء المشهورة بزرقاء اليمامة التي كانت ترى

افلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء

وازالت بلمسها كل داء اكبرته اطبة واساء

وعيون مرت بها وهي رمد فارتها ما لم تر الزرقاء

ع

من مسيرة ثلاثة ايام وروى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال
اين على اى ليعطيه الراية ليكون الفتح على يديه فقالوا يشتكى عينيه قال
ارسلوا اليه فاتى به فبصق فى عينيه ودعا فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وفى
رواية عن على قال فوضع رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى
فما اشتكيتهما قط   واعادت على قتادة بن النعمان عينا له قد ذهبت
وقوله حتى اى الى مماته النجلاء اى الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته
ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته وفى رواية على كفه فاتى بها
النبى وقال يا رسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان ترانى اعور فتكرهنى
فقال صلى الله عليه وسلم اختر اما ان اردها لك او اضمن لك على الله الجنة
فقال اختار الامرين يا رسول الله فاخذها بيده وردها الى موضعها وقال
اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وقد وفد على عمر
ابن عبد العزيز رجل من ذرية قتادة فقال له عمر من انت فقال

ابونا الذى سالت على الخد عينه   فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها   فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية عن قتادة فاصيبت
عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما النبى فاعادهما مكانهما
وبصق فيهما فعادتا تبرقان واخرج الطبرانى عنه قال كنت يوم احد اتقى
السهام بوجهى دون وجه رسول الله فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فاخذتها
بيدى وسعيت الى رسول الله فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة
كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا ويجمع
بين رواية الواحدة ورواية الثنتين بان احد الرواة ظن ان الساقط واحدة
وبعضهم علم انهما ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة
وبها ترجح رواية الثنتين   او بلثم التراب او بمعنى الواو اى وليته خصنى
فى اليقظة او النوم بنظر مآثره بلثم اى تقبيل التراب وقوله من قدم متعلق
بمحذوف اى المنفصل من قدم اى قدمه عليه الصلاة والسلام وقوله
حياء اى لاجل الحياء فهو مفعول لاجله او تمييز اى من جهة الحياء
وقوله من مشيها اى من اجل مشيها اى تلك القدم وقوله
الصفواء جمع صفاة وهى الحجر الصلد اى شديد الصلابة وفى هذا تنبيه للعاقل
على انه ينبغى له ان يكون على غاية من الحياء من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

واعادت على قتادة عينا فهى حتى مماته النجلاء

تها

او بلثم التراب من قدم لانت حياء من مشيها الصفواء

لانه اذا علم ان الحجر استحيا منه ان يبقى على صلابته فيشق عليه مشيه عليه فلان له
حتى يسهل عليه مشيه عليه فالعاقل اولى بالاستحياء من ان يبقى على مخالفته
مع علمه بجليل اوصافه وما ذكره الناظم ذكره غير واحد ممن تكلم على الخصائص
وقال بعضهم واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه
خرقا للعادة في كل منهما وقال بعضهم لم يثبت كل من الامرين فقد قال
السيوطي لا اعلم ذلك ولم احفظه واذا سئل الحافظ عن شيء وقال لا اعلمه
يكون في الغالب موضوعا موطئ بدل من التراب وقوله الاخمص
بضم الميم والمراد به الجنس اي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل
اذ الاخمص من القدم الموضع المرتفع من باطنها الذي لا يلصق بالارض
ولا يصلها عند المشي وكان خمصه اي ارتفاع وسط باطن قدمه معتدلا
وهو الممدوح بخلاف البالغ في الارتفاع فهو مذموم وبخلاف القدم التي
لا اخمص لها اي لا ارتفاع فيها بل هي مستوية فهي مذمومة ايضا وتسمى رحاء
واما التي فيها الخمص فتسمى خمصاء والارتفاع فيها يسمى خمصا والموضع المرتفع
يسمى اخمصا بوزن افلس وقوله الذي نعت للموطئ وقوله منه حال من
المبتدأ المؤخر وهو وطاء وقوله للقلب خبر مقدم والجملة صلة الموصول
والقلب الفؤاد وقوله اذا مضجعي بفتح الجيم اي جنبي الذي اضطجع عليه
وقوله اقض بالقاف والمعجمة اي اصابه القضض وهو التراب الذي
يعلو الفراش كما في القاموس والمراد تراب مسته القدمان الشريفان وقوله
وطاء اي فراش فقد وصف ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين الشريفين
بانه لو فرض ان مضجعه اصابه منه شيء يكون ذلك الشيء الذي اصاب المضجع
الذي هو الجنب فراشا للقلب فالمعنى انه اذا رقد على تراب مسته القدمان
الشريفان صار القلب ايضا راقدا عليه وصار فراشا له كما هو فراش للجنب
ومعنى كونه فراشا للقلب ان سره يسري من جنبه الى قلبه فيه فاذا سرى اليه
اثاره واراحه من الاغيار وصيره على اكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات
والاهوال كما ان الفراش للبدن يقيه ويصونه ويريحه من المؤذيات فالجامع
ترتب الراحة على كل حظي اي ومن اوصافها ايضا انه حظي كرضي المسجد
الحرام المراد به جميع الحرم كما في غالب آياته في القرآن وقوله بممشاها اي بمشي
تلك القدم فيه اي فضل حرم مكة سائر البقاع حتى المدينة ما عدا القبر الكريم
بواسطة ولادة النبي وتربيته ونشأته فيه وهذا ما عليه اكثر العلماء والحديث

موطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا مضجعي اقض وطاء

[illegible]

الدال على افضلية المدينة موضوع كما اعترف به امام المالكية ابو عمر بن عبد البر
وصرح بان افضلية مكة هي الحق عند من الهم رشده وبرئ من التعصب
وقوله ولم ينس حظه اى شرفه ايلياء اى بيت المقدس اى بل شرفه بمشيه
فيه ايضا وصلاته بالانبياء ليلة الاسراء ولم يذكر الناظم المدينة لان شرفها
عارض علوله صلى الله عليه وسلم فيها بخلاف شرف المسجد الاقصى والمسجد
الحرام فهو قديم   ورمت اى ومن اوصافها ايضا انها ورمت بكسر الراء
والمضارع كذلك فيقال ورمت القدم ترم اى اصابها الورم وهذا من
الشواذ اى كون الماضي على فعل والمضارع على يفعل بكسر العين فيهما شاذ
والقياس ان يكون المضارع على يفعل بفتح العين وهذا كما في الحديث انه صلى
الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
والفاء للسببية اى أأترك تهجدى فلا اكون عبدا شكورا قال ابن بطال
في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك
ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بان الله قد غفر له ما تقدم
وما تاخر فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عن من لم يامن انه استحق النار
قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم ليله على قدميه الا قليلا
فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله طه اى طأ
الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى وقوله اذ رمى بها اى وقت او لاجل ان رمى بها ظلم الليل
فيه استعارة بالكناية حيث شبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث
ان قيام القدم في طاعة الله اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمي
السهم في طاعة الله يزيل صولة العدو ووطأته واثبات الرمي لها استعارة
تخييلية وقوله الى الله الخ لما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف
من العذاب او سعة رجاء للثواب بين الناظم ان قيامه لم يكن لاجل ذلك
وانما كان لمحض الشكر مع التلذذ بمناجاة الله والقيام بين يديه وان خوفه
ورجاءه اللذين وصل فيهما الغاية انما كانا لمحض التقرب بهما الى الله فقال
الى الله خبر مقدم وقوله خوفه مبتدا مؤخر وقوله والرجاء معطوف على
المبتدا اى سعة امله فيما عنده تعالى لا الى غرض بل لوجه الله تعالى وقال
القرطبي ظن من ساله صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة في العبادة

انما نما يعبد العبد ربه خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة فمن تحقق انه
غفرله لا يحتاج الى ذلك فافاده صلى الله عليه وسلم ان للتكلف العبادة
طريقا آخر وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن
كثر ذلك منه يسمى شكورا لكنه قليل وكان قيام الليل فى اول الاسلام
واجبا عليه وعلى امته ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على
الاصح   دميت اى ومن اوصافها ايضا انها دميت اى خرج منها
الدم فى الوغى هو الصوت ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلاط
الاصوات والثانى هو المراد هنا وقوله لتكسب اى تلك القدم
وقوله طيبا مفعول ثان مقدم وقوله ما اراقت مفعول اول
موخر اى الذى اراقته وقوله من الدم بيان لما وقوله الشهداء
فاعل باراقت وهو جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل او مفعول اى من حكمة
خروج الدم من قدمه المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على
جميع دم الشهداء فى سائر الاوقات فطيب ريح دم الشهداء الذى
اخبر صلى الله عليه وسلم عنه بانه كريح المسك انما هو مكتسب من
دم قدمه اى من ريح دمها قيل وكان على الناظم ان يذكر هذا فى اليد
لان الذى فى البخارى انه دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع
دميت وفى سبيل الله ما لقيت   وقد يصح كلام الناظم بحمله على ما وقع
له صلى الله عليه وسلم مع ثقيف حيث خرج لهم فدعاهم الى الله فاغروا
به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الاذى
وزيد بن حارثة مولاه يقيه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم
قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت ان اصل الوغى الصوت والجلبة
وهذا موجود هنا بل نلتزم ان فيه حربا لانه اقام عندهم شهرا يدعوهم
وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة
حتى اختضبت نعلاه بالدم وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج راسه
شجاجا وهذا حرب اى حرب لان من اقام بين ظهرانى العدو يواجههم بما يكرهون
محاربا لهم فقد وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسبهم
ولا شتمهم   فهى قطب المحراب اى واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى تورم
وانها دميت فى الحرب لتكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا فهى قطب المحراب وهذا راجع
للاول وقوله والحرب راجع للثانى فهو لف ونشر مرتب اى فهى اى قطب المحراب اى محل الصلاة



دميت فى الوغى لتكسب طيبا
ما اراقت من الدم الشهداء

وقطب الحرب اى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد
فى غيرها فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل
من مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله بالاقتداء
صلى الله عليه وسلم والمجاهدة معه كما قال كم اى مرات كثيرة دارت عليها
فى طاعة لله وقوله ارحاء جمع رحى بالقصر والمراد بها هنا قبائل العرب
وقطب الرحا ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحى الحرب لانها انما تدور
عليه واستفيد من ذلك انه صلى الله عليه وسلم مركز دائرة الوجود ونقطة
المخلوق هو لاجلها ففى الارحاء استعارة تصريحية حيث شبه القبائل
التابعين له فى العبادة والحرب بالارحاء بجامع اعتماد كل على غيره وعدم
استقلاله بدونه فكما ان الرحاء لا تستغنى عن قطبها ولا تتخلف عنه
كذلك اصحاب رسول الله بالنسبة اليه   واراه اى اعلم انه لو لم
لو شرطية وهى مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى لاراه
وقوله يسكن بها اى بقدمه الشريفة وقوله قبل بالبناء على الضم
اى عند ابتداء تحركه به وقوله حراء مفعول يسكن وهو هنا بالصرف
لا غير لاجل الوزن وان كان فى حد ذاته يجوز فيه الصرف وعدمه كما مر
وقوله ماجت اى تحركت واضطربت وقوله به اى بالنبى وفى
نسخة بها اى القدم وقوله الدأماء بالدال المهملة هو فى الاصل اسم
للبحر والمراد به هنا الجبل ففى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه
الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه تحرك البحر
براكبه وقوله ماجت ترشيح لانه يناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل
ماج الا فى الماء كما يصرح به كلام القاموس وح فالمعنى انه لو لم يسكن
بقدمه حراء قبل اى عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حراء لماج اى استمر
اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر وفى الكلام اظهار فى مقام الاضمار لما عرفت
ان المراد بالدأماء الجبل وقد ذكر لكنه اتى بالاسم الظاهر ليتوصل الى
تشبيه الجبل بالبحر الذى بنى عليه الاستعارة لما فيها من البلاغة ويصح
حمل النظم على ان المراد لو لم يسكن حراء قبل اى قبل طلوعه عليه باقامته
فيه التعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه حين طلع عليه ثانيا
هو واصحابه ويصح ان يراد بالدأماء الارض فالمعنى لو لم يسكن بقدمه
حراء اى بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا

عجبا للكفار زادوا ضلالا
بالذي فيه للعقول اهتداء

الى آخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون
غيره   عجبا لما ذكر جملة كثيرة من معجزاته التى من شاهدها آمن به فورا
بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا لاحقيقون بان يقال
فى شانهم عجبا مصدر منصوب على انه مفعول مطلق وهو بدل من التلفظ
بفعله اى اعجب عجبا وهو بمعنى التعجب الذى هو استعظام امر خفى سببه
وقوله للكفار اى منهم وقوله زادوا ضلالا حال وقوله فيه اى فى كل فرد
من افراده وذلك ما شاهدوه من المعجزات القرآن وغيره وقوله
للعقول اى السليمة الخالية عن العناد والخذلان والحسد والغل وقوله
اهتداء اى الى الدين الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصح ان يراد
العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما
بالفعل اذ المعجز فيها اهتداء بالقوة وان قارنها عناد وخذلان ووجه
التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات والمعجزات التى
ترشد العقول الى الحق لا يزدادون الا اباء ونفورا وتمردا لما عندهم من
الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم كما قال تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر   والذى يسألون منه الذى مبتدأ ويسألون
صلته والعائد محذوف اى يسألونه وضمير منه للنبى وكتاب خبر المبتدا
ومنزل صفة لكتاب وجملة قد اتاهم صفة اخرى او حال وقوله وارتقاء
معطوف على كتاب وقوله يسألون منه اى على جهة التعنت والعناد
وقوله منزل اى من السماء معه عليهم وقوله قد اتاهم اى به وهم
يشاهدونه وقوله وارتقاء اى منه الى السماء وقد اشار الناظم بما
ذكره الى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الآيات وقوله فيها او تكون لك جنة من نخيل وعنب اى بستان فيه
ما ذكر وقوله كسفا اى قطعا وقوله قبيلا اى كفيلا بما تدعيه شاهد
على صحته ضامنا لدركه او قبيلا بمعنى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وهو
حال من الله وقوله من زخرف اى ذهب وقوله ولن نؤمن لرقيك
اى وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ويكون فيه تصديقك ومن جملة
تعنتهم كما فى الحديث انهم قالوا له قد علمت انه ليس احد من الناس اضيق
بلدا ولا معيشة ولا اقل ماء منا فسل ربك فليزل عنا هذه الجبال التى
ضيقت علينا وليبسط لنا فى بلادنا وليجر فيها انهارا كالشام وليحى لنا

والذى يسألون منه كتاب
منزل قد اتاهم وارتقاء

من

من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان
صدق قولك صدقناك او لم يكفهم في الكلام حذف اى ايقولون ذلك
كله ويتعنتون فيه ولم يكفهم عن ذلك كله وقوله من الله حال من ذكر
الذي هو فاعل يكفهم اى ذكر واصل اليهم على لسانه والمراد به القرآن وسميته
ذكرا جاءت في اية مرادا به الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي اخرى
مرادا به انه مذكر لكل ما ينفع ويحذر من كل ما يضر وقوله للناس اى والجن
بل والملائكة وقوله رحمة اى باهتداء المؤمنين به وتاخير عذاب الاستيصال
عن الكافرين ببركة كونه بين اظهرهم وقوله وشفاء اى من كل داء ظاهر
وباطن حسي او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم
ولا انجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء
كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر
الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا
الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات
الفاسدة في الالوهية والنبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة
بفساد تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها
وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن
مع الخلوص وفراغ القلب واقباله على الله بكليته وعدم اكل الحرام وعدم رين
الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب ومن ثم قال بعض الائمة
متى تخلف الشفاء عن القرآن فهو اما لعدم استقامة القارى او لعدم
قبول المقروء عليه لعدم تلقيه بالقبول كما يكون ذلك في الادوية والامراض
الحسية اعجز الانس شروع في ذكر بعض صفات القرآن المذكور بقوله
او لم يكفهم من الله ذكر وقوله اية منه عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي
عليه الجمهور ان ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث آيات ومثلها
وذلك لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى عن بعض الاية المفيد لان
في ارتباطها بما قبلها وما بعدها انواعا من بديع الحكم لا يحيط بها غيره
تعالى فالحق انهم عاجزون عن محاكاة اية من اياته لكن مع النظر لتناسبها
بما قبلها وما بعدها فلا يستطيع احد في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده
ان ياتي بمثل اقصر سورة او اية منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة

منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والاخلاق
الكريمة وقوله والجن ذكرهم مع الانس مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن الآية وللاقتصار على النوعين لانهم الذين تتأتى منهم المعارضة
والمعاندة لعدم عصمتهم والا فالملائكة عاجزون ايضا كعجز الانس والجن
وقوله فهلا هي في الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم والتوبيخ
والتنديم لمن زعم امكان المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد وقوله بها
اى الآية وفي نسخة به اى بما ذكر من الآية وفي نسخة ببعضها اى الآية لكن
الثالثة يختل بها النظم وقوله البلغاء جمع بليغ وهو من فيه ملكة يقتدر
بها على ايراد الكلام البليغ اى المطابق لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه
حال المتكلم او المخاطب من تنكير او تعريف وتقديم او تأخير واظهار او اضمار
وايجاز او اطناب الى غير ذلك واسباب اعجازه اربعة احدها ما فيه من
الايجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل في كل منها الى المرتبة العليا لفظا
ومعنى لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع
لفظة عقب اخرى الا اذا لم يجد غيرها ابلغ ولا انسب منها وغيره ليس كذلك
ومن ثم لما سمع اعرابي قوله تعالى فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت
لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية ما انزل على عيسى من الامر
والنهي ثانيها انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه
من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فتحيرت عقولهم حتى لم يهتدوا
الى مثل شيء منه اذ لا مثال له يهتدى اليه ثالثها تأثيره في النفوس والتلذذ
بحيث يوجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا يوجد عند سماع غيره
ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمل بل كلما ازداد تكريرا ازدادت حلاوته
بخلاف غيره رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين
ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ويكون
وقال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما الذاتي من حيث لفظه
ومعناه المخصوصان اذ ليس تأليفه على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح
ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب
لا تخرج عن ذلك واما الصرف للناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر
ايضا لانه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة

خفية او جلية ولذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وآخر يكرهها
وينشرح لاخرى فلما دعا الله اهل البلاغة الذين يهيمون في كل واد من
المعاني الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضة
لم يخف على ذوي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك والوجه الثاني
يعبر عنه بالقول بالصرفة ومعناه انه كان في قدرتهم ان يعارضوه لكن
الله صرفهم عن ذلك بان سلب قدرتهم عليه فلم يكن معجزا لذاته بل للغير وهذا
مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة
يلزمه اضافته الى الله لا الى القرآن وح يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان
التحدي وفيه خرق لاجماع الامة على ان معجزة الرسول باقية ولا معجزة
له باقية اظهر من القرآن ويلزم القول بالصرفة ايضا انه لا فضيلة للقرآن
على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين الضدين
وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة
عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا الى المعارضة اصلا لقطعهم
من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لهم عليها البتة فان قلت توجه الهمم
الى المعارضة مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع
بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان اهل
البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار
فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف خاطبوه بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه
ونظير ذلك خطاب من علم الله منهم عدم الايمان بالايمان كابي جهل
وابي لهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات
والعواقب ومن المفاسد ايضا قول فرقة من اهل الضلال ان العرب كانوا قادرين
على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا
اليه ومنه ايضا قول آخرين ان العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم
ففي قدرتهم الاتيان بمثله ويكفي في الرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم
الرياسة في الفصاحة تعرضوا للمعارضة كابن المقفع والمعري والمتنبي
ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع   كل يوم لها
اي ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم الغيبيات واحوال العالم
الدنيوي والاخروي وغير ذلك من العجائب كان كل يوم اي كل وقت تهدي
فاعله القراء الآتي اي توصل الى من سمعه وافاد المتعبين بهدي تشبيه

المعجزات بالذخائر المهديات فهو استعارة بالكناية والاهداء تخييل وقوله
معجزات المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق
وقوله من لفظه من ابتدائية وذلك لعذوبته وانسجامه وجزالته وغاية
ايجازه مع غاية فصاحته وبلاغته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار
جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة
تارة عن الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التى لا يمكن حصرها
وقوله القراء فاعل تهدى كما مر ووجه الاهداء والايصال ان من سمع
الفاظ القرآن وتدبرها حق التدبر علم من كل لفظ منه باعتبار ما دل عليه امرا
معجزا لا يعارض ولا يناقض تحلى به اى واذا بلغ القرآن فى الجلالة
التى مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تحلى به اى بسماعه
المسامع من التحلية بمعنى لبس الحلى وقوله والافواه اى وتتحلى بالفاظه
الافواه من الحلوى اى ذوق الشىء الحلو وقوله فهو الحلى راجع للاول
والحلواء راجع للثانى ففيه لف ونشر مرتب رق لفظا اى حسن من
جهة لفظه فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من
تنافر او تعقيد وقوله وراق اى تصفى من شوائب النقص فاعجب
كل ناظر فيه وقوله معنى تمييز كسابقه اى من جهة المعنى فلا تجد معنى
من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى
وقوله فجاءت اى فبسبب كونه رق وراق جاءت فاعله الخنساء وقوله
فى حلاها وحليها حال منها اى حال كونها فى حلاها اى صفاتها الجميلة وقوله
وحليها اى تزينها وقوله الخنساء المراد بها هنا بنت عمرو اخت صخر وانما
كان المراد بها هذه مع ان الخنساء كثيرة لانها كانت شاعرة مفلقة واما
الخنساء بنت خوثم وبنت عمرو بن الشديد فصحابيتان وهما خلاف اخت صخر
وشبه سور القرآن فى صفاتها العلية وتزينها بما اودعه من الاسرار البهية
بامرأة بلغت من الزينة واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه واستعار
اسم تلك المرأة وهو الخنساء لسور القرآن استعارة تصريحية وصح جريانها
فى العلم لانه اشتهر بوصف فصح ان يؤول بكلى كما علمت من التقرير
وارتنا اى اوضحت لنا فيه اى القرآن وقوله غوامض فضل اى خفايا
فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لا حد ولا غاية لها ومن ثم
جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت

لو قيل

واذا تلى تحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء

رق لفظا وراق معنى فجاءت فى حلاها وحليها الخنساء

وارتنا فيه غوامض فضل رقة من زلالها وصفاء

وقوله مرققة فاعل اربت وقوله من زلاله اى كائنة من زلاله والزلال بضم الزاى ما هو فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى اجوا فى صورته يوجد فى بحر الثلج تشبه الحيوان وليست فى الحقيقة بحيوان كما قاله بعض الاكابر وقوله وصفاء اى من ذلك الزلال شبه اى القرآن فى محاسن اساليبها وصفاء موردها الموجبين لمن حقق النظر فى خفاياها وحقق فكره فى مواضعها ورد اليقين وصفاء القلب حتى اطلع على ما ثم الغواصين من العلوم الالهية والمواهب الرحمانية بماء فى غاية العذوبة والبرودة وصفاء اللون ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته واستعمال اسم الماء وهو الزلال لآيات القرآن فهى استعارة تصريحية [illegible] انما تجلى اى هذه جوابه عن ايراد تقديره كيف تقولون وارتشافه عوا مصر فيتبل مع ان كثيرا من الناس لا يرى شيئا من معانى القرآن ولا يتم به فاجاب بقوله انما تجلى اى انها اى آى القرآن كعروس منصة فيراها من اهلت له ومن هو اهل لها واعا عين غيره فيستره عنها الحجب فاتت ازلة تلك بكلام جامع بديع على عادته فقال انما تجلى الوجوه اى تظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة وقوله اذا ما ماز ثنة وقوله جليت اى ازيلت وقوله عن مرآتها بكسر الميم والمد وقوله الاصداء جمع صدا وهو ما يعلو الحديد الذى ركبت عليه فكذلك مرآة القلوب لا تجلى لها العلوم والمعارف من القرآن الا اذا اجليت عنها اصداء الاغيار وجاهدت فى ذلك اناء الليل واطراف النهار [illegible] سورا مستحسنة سورة وهى الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفى وقوله منه من لبيان الجنس لان المشابهة المذكورة جارية فى جميع سوره وقوله اشبهت صورا بانضاد جمع صورة وصورة كل شئ شكله ووجه الشبه اشتمال كل من سور القرآن وصورها على ما لم يوجد فى غيره فسور القرآن كل منها يشتمل على علوم مستقلة لا تتوقف على ما فى الاخرى من العلوم وصورها ايضا تشتمل كل واحدة منها على عقل وفهم وادراك لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف عليه فالحاصل ان سور القرآن مشبهة بصورنا من حيث تميز كل سورة منها عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة اللفظية والمعنوية كما ان صورنا امتازت كل واحدة منها عن الاخرى بالصفات الخلقية والخلقية وقوله ومثل النظائر جمع نظير وقوله

النظراء جمع نظير ايضا وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الافاضل
والاماثل من الناس اى ومثل النظائر اى الاماثل والافاضل النظراء
اى سور القرآن لان بعضها يناظر بعضا كما سبق فالمعنى ان سور القرآن
تماثل الافاضل منا فما بعد لفظة مثل هو المشبه به كما هو القاعدة كقوله
زيد مثل الاسد وهذا ساقه المتن مساق المثل فهو تاكيد للتشبيه قبله
لكنه على سبيل اللف والنشر المشوش فالنظائر هى الصور بالصاد والنظراء
هى السور بالسين والاقاويل جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد
وقوله عندهم اى الكفار حال من المبتدا او ظرف للخبر وهو قوله كالتماثيل
جمع تمثال وهو الصورة يعنى ان تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما
يقدح فيه امر مزخرف مموه كما ان التصاوير التى يخترعها المصورون
كذلك فكما ان هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم
المذكور وقوله فلا يوهمنك اى واذا تقرر ان جميع ما قالوه فى القرآن
باطل قطعى البطلان فلا يوهمنك الخطباء اى الوعاظ منهم المتكلمون
فى القرآن بما لا يليق اى فاحذر ان يوقع فى وهمك اى ذهنك اذنى ريب
او شك فى شىء من اوصاف القرآن التى مر بيان بعضها المزخرفون للكلام
الباطل فى القرآن كم ابانت كم خبرية اى مرات كثيرة ابانت اى اوضحت
وقوله آياته جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا طائفة من السورة
منقطعة عما قبلها وما بعدها وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال
آيات القرآن ستة آلاف آية وستمائة وستة عشر آية وقوله من علوم
من زائدة فى الاثبات على راى جماعة اى علوما لا غاية لها قال تعالى
ما فرطنا فى الكتاب من شىء وعن الحسن البصرى انزل الله مائة واربعة
كتب واودع علومها فى اربعة منها التورية والانجيل والزبور والفرقان
ثم اودع علوم الثلاثة غير القرآن فيه مع زيادات لا تنحصر وقال
الشافعى جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن
وقال ايضا جميع ما حكم به النبى فهو مما فهمه من القرآن وقال بعضهم
لم يحط بعلوم القرآن الا الله ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر
الله بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه كابى بكر
فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلى كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم
انا مدينة العلم وعلى بابها ومن ثم قال ابن عباس جميع ما ابرزته لكم

من

والاقاويل عندهم كالتماثيل
فلا يوهمنك الخطباء

كم ابانت آياته من علوم
عن حروف ابان عنها الهجاء

من التفسير فهو من علي كرم الله وجهه وكابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال
بعير لوجدته في كتاب الله ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم
عن حمل ما حمله اولئك من علومه فنوعوا علومه انواعا ليضبط كل طائفة
علما او فنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم توافر في غالب تلك العلوم وتلك
الفنون حتى كادت ان تخرج عن الحصر وقال بعضهم علومه خمسون علما
واربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القرآن مضروبة
في اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ومما قيل في معنى البطن والظهر
ان ظاهر الكلمة ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته
من الاسرار التي تطلع عليها ارباب الحقائق والمراد بالحد احكام الحلال
والحرام وقوله ومقطع سبق قلم والاولى بدله ومطلع اي اشراف على الوعد
والوعيد كما في الاتقان وقال بعضهم اصول علومه ثلاثة توحيد ووعظ
وحكم ولذا سميت الفاتحة ام القرآن لاشتمالها على هذه الثلاثة وكانت الاخلاص
ثلثه لاشتمالها على الاول وقوله عن حروف حال من علوم وعن متعلقة بمحذوف
اي حال كونها متولدة وناشئة عن حروف اي قليلة بالنسبة الى تلك العلوم
اذ جميع حروفه ثلثمائة حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمائة الف حرف
وواحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف الهجاء بل مسمّا
حروف التهجي اسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال ابان اي كشف عنها الهجاء
اي التهجي وهو تعداد الحروف بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من
ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل
صيغته والمراد هنا ان يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل
وبيانه ان الحرف الذي هو اول زيد مثلا له مسمى وهو زه والحاء فيه هاء
هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاي لانه تعتريه سائر علامات
الاسم فهي كالحب اي هذه الحروف القرآنية وان غزرت معانيها وكثرت
احكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد
منها لان لها مثالا يقربها نوع تقريب وذلك المثال انها كالحب الذي يلقيه
الزراع والنوى الذي يلقيه الغراس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب
ما يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى وعن الثاني من الثمر ما هو كذلك واذا وصل
الى تلك الحالة اعجب الزراع اي والغراس كما يدل عليه ذكر النوى ففي الكلام
اكتفاء واللف والنشر مرتب بعود الزراع للحب والغراس للنوى وعود السنابل للاول

بالزكاء وقوله منها اى من تلك الزروع والاثمار وقوله سنابل فاعل اعجب وقوله وزكاء بالزاى اى نمو يفوق الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض على استقصاء عددها لما اطاقوا فوجه الشبه ان المتناهى هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هى متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثال على سبيل التقريب للعقول والا فشتان ما بين الامرين كما لا يخفى فاطالوا فيه معطوف على قوله زادوا ضلالا اى وعجبا للكفار مع هذه المعجزات والايات البينات استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فاطالوا فيه التردد والريب اى الشك وهو عطف مرادف وقوله سحرا اى تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقوله افتراء اى كذب وضلوا فيما قالوا بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل الاية وهذا كله ينادى عليهم بالبوار والعناد وانهم لا عقل لهم ولا رأى ولا استعداد

واذا البينات اى ولكن ليس بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو المقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات اى الحجج القطعية الواضحة وقوله لم تغن شيئا اى لم تفدهم شيئا من الهدى وقرائنه فالتماس الهدى اى طلبه منهم وقوله بهن اى بتلك الحجج وقوله عناء بالعين المهملة والمد اى تعب لا يفيد شيئا وفى نسخة لهن باللام والضمير للكفار ولينظر ما وجه تأنيثه واذا ضلت اى عن طريق الحق وقوله على علم اى مع علم منها بتلك الطرق اى اضلها الله تعالى وقوله فماذا تقوله اى قول تقوله النصحاء من الانبياء والمبلغين عنهم فقولهم حينئذ لا يفيد شيئا والبيت الاول من هذين البيتين مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الايات والنذر الاية والثانى من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه الاية تنبيه لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال الغير تكليف ابى جهل مثلا بالايمان مع علم الله بانه لا يؤمن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنظور عنا عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يؤمنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر الذى جاءت به الشرائع فاحذر

فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء

وإذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

اَنْ تميل اليه فتزل قدمك وَيحقّ ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون واعلم ان سائر كتب الله لا اعجاز فيها من حيث النظم
والتاليف لان السنتهم لا تفي بذلك بخلافها من حيث الاخبار بالغيوب
فان الكل جميعا يشترك فيه وتكون السنتهم كذلك كان كل ما في القرآن
حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى الفاظهم ذكره ابن جني وغيره اي فهي من
حيث الاخبار بالمغيبات كلها معجزة بخلافها من حيث النظم والتاليف
فلا معجز منها الا القرآن قوم عيسى لما فرغ من الحجاج مع المشركين
وبين ما آل اليه امرهم شرع في الكلام مع اهل الكتابين ليبين ما آل اليه
امرهم ايضا فقال قوم عيسى اي يا قوم عيسى وهم النصارى وقوله قوم
موسى وهم اليهود وقوله بالذي اي بالتصديق بكتابهم وهو التورية
فان النصارى صدقوا بها وقوله عاملتم صلة محذوفة اي عاملتكم
بنظيره وهو التصديق بكتابكم وهو الانجيل وقوله الحنفاء اي المسلمون
من هذه الامة جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق
صدقوا شروع في بيان ما ابهمه بقوله عاملتكم فقال صدقوا
اي قوم عيسى في هذا التفات من الخطاب الى الغيبة والا فكان
الظاهر ان يقول صدقتم كتبهم وقوله كتبكم هي التورية وما بعدها
كالزبور وفي هذا التفات عن الغيبة في قوله قوم موسى وقوله وكذبتم
اي ايها اليهود كتبهم اي كتب قوم عيسى وهي الانجيل وجمع للمشاكلة
او لتنزيله منزلة كتب متعددة وهذا اي قوله وكذبتم كلام مستقل
ليس من جملة البيان لما قبله وقوله ان ذا الذي فعلتموه ايها اليهود
من التكذيب بالانجيل مع تصديق النصارى بالتورية لبئس البواء
اي الصنيع الذي رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى
وباؤا بغضب من الله هكذا قال الشارح ولا يصح لان الاقتباس
ان يؤتى بلفظ القرآن او الحديث مع عدم التنبيه على انه منه والذي
في النظم هنا لفظ البواء وهو غير لفظ القرآن اذ هذا اسم وذاك فعل
فلو قال وهذا تلميح لقوله تعالى الخ لكان اوضح لو جحدنا من الجحد
وهو الانكار عن علم وقوله جحودكم اي مثله بان انكرنا كتابكم
كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى فالخطاب مع اليهود وقوله
لاستوينا اي معكم في الجحد وقوله او للحق اي ايكون ذلك منا الا

قوم عيسى عاملوا قوم موسى بالذي عاملتم الحنفاء

صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا لبئس البواء

لو جحدنا جحودكم لاستوينا او للحق بالضلال استواء

اذ لا يتصور ذلك كيف وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع
كتب الله ورسله وقوله بالضلال اى وهو ما انتم عليه من التصديق
بالبعض والكفر بالبعض وقوله استوا اى مساواة لا يلى بينهما غاية
التضاد فالحاصل انا لم نجحد شيئا من كتاب الله وانما وقع الجحد من
اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم
قال الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب اى المكذب لهم فى ذلك وكان
الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد من اهل الكتاب اذ التعبير
بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الاية اهـ وقد يقال
لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ما ذكر انكار كتابهم اذ لا مانع ان
النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ باعتبار
تبديلهم وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم
الى الحنفاء وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى
ويكون ذلك تفسيرا لعاملتكم الحنفاء وفى السياق ما يؤيد كلا من الاحتما لين
لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستقر ان اليهود اشد الناس
حسدا قال الله تعالى ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله وانهم
حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى
من بعدهم حتى قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى
فيهم ذلك ايضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم
وامته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر عن سخفاء العقول فضلا
عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال مالكم
الى اخره مالكم اى اى شئ حصل لكم معشر الفريقين وقوله اخوة
الكتاب منادى اى يا اخوة الكتاب المراد به الجنس الشامل لكتابيهما
سماهم بذلك اى بالاخوة للكتاب لانهم لما اجتمعوا فى الاحكام
والتكاليف التى فى الكتاب صاروا مستويين فيه كاستواء الاخوة فى
الانتساب الى اصل واحد فليس المراد ان الاخوة بينهم وبين الكتاب
كما يوهمه تعبير الناظم بل المراد انهم اخوة بعضهم مع بعض من حيث
انتسابهم الى الكتاب فالكتاب سبب فى اخوة بعضهم لبعض وقوله
اناسا حال وقوله ليس اى لم نعت لاناسا وهو المقصود بالحالية

مالكم اخوة الكتاب اناسا
ليس يرعى للحق منكم

فأُنَاسًا حَال موطِّئة واسْمُ ليسَ قوله اخاء ونائبُ فاعل يرعى ضميرٌ مستكنٌّ فيه
يعود على الاسم المذكور وان تأخر لفظا وقوله اخاء اى مؤاخاة اى ليسَ
يصْدُرُ منكم مُراعاة للدين الحقِّ بالقيام بما يجبُ مِنَ الحقوق التى منها تصديق
محمدٍ صلّى الله عليه وسلّم عملاً بما فى كتبكم مِنَ النصوص الكثيرة لنبوّته وعموم رسا
لته يحسُد الاوّل الاخير اى ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسُدُ بعض
النبيين الاوّل الاخير كما وقع لليهود انهم حسَدُوا عيسى حتى زعموا انهم قتلوه
وصلبوه وما درى الملاعين انه شبّه لهم مثله فقتلوه ونجّاه الله منهم ثم رفعه
الى السماء لينزل آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم مصليا وراء
المهدى اوّل نزوله ليعلم انه نزل تابعًا لهذه الامّة عاملاً بشريعة نبيّها ومنها
اى من تلك الشريعة انه لا يقبل الجزية بل يقتل كلّ يهوديّ ونصرانىّ فى الارض
وامّا فى اثناء مدّته فيكون اماما للمهدى وغيره وقوله وما زال كذا
اى على هذا الحال المذكور من حسد الاوّل للآخر المحدثون والقدماء من لدن
آدم الى اليوم   قد علمتم اى يا اهل الكتاب وقد للتحقيق بظلم قابيل
مِنْ اضافة المصدر الى فاعله وهو اوّل اولاد آدم وهم اربعون رزقهم
مِنْ حواء فى عشرين بطنا فى كل بطنٍ ذكر وأنثى وبارك الله فى نسله فيما
حتى بلغوا اربعين الفا وعاش آدم ألف سنة وقوله هابيل بشدخ راسه
بين حجرين وهو ثانى اولاد آدم حسدًا له وسبب الحسد انّ آدم امر قابيل
ان يزوج اخته لهابيل فامتنع وقال اختى احسن فلا امكنه منها ولا ارضى
اخته وذلك لانّ آدم كان يزوج ذكر كل بطن لأنثى الاخرى وبالعكس
فكان اختلاف البطون فى شرعه بمنزلة اختلاف الانساب فلما امتنع
قابيل امرهما آدم ان يقربا لله قربانا وكانت علامة قبوله نزول نارٍ مِنَ
السماء تاكله فقرّب كلٌّ قربانه وكان هابيل صاحب غنم وكان ليّن الجانب
وكان قابيل صاحب صيد وقنص وكان فظًّا غليظًا فاصطاد صيدًا
وقرّبه وعمد هابيل الى كبش هو احسن غنمه فقرّبه فتقبل قربان هابيل فحسد
قابيل فقتله وكان عمر قابيل اذ ذاك خمسًا وعشرين سنة وعمر هابيل عشرين
وعن ابن عبّاس انه لما قتله حمله على عاتقه مائة سنة وكان اذا مشى
تخط رجلاه الارض واذا قعد وضعه على جنبه الى ان رأى غرابين اقتتلا
فقتل احدهما الآخر فبحث فى الارض فواراه فقال قابيل يا ويلتى اعجزت
أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين

يحسد الاول الاخير وما زال كذا المحدثون والقدماء

قد علمتم بظلم قابيل هابيل [illegible]

اى على حمله لا على قتله وحزن آدم على قابيل فمكث مائة سنة لا يضحك
وقوله ومظلوم الاخوة الاضافة على معنى من ويصح جعلها على معنى فى
وقوله الاتقياء خبر المبتدا وصح الاخبار عنه بالجمع لان ال فيه جنسية فيصدق
بالجمع وغيره وانما كان المظلوم تقيا لانه الذى صبر على تحمل الاذى ولم
ينتقم لنفسه فليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل
وسمعتم معطوف على علمتم اى وقد سمعتم والسماع هنا لليقين فالتعبير به
هنا وبالعلم فى سابقه للتفنن وقوله يعقوب اسمه اسرائيل كما فى القرآن
اى عبد الله وهو ابن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر انه اسمعيل وقوله
اخاهم هو يوسف عليه السلام وقوله وكلهم صلحاء اى فلا يشوهم من
كيدهم له ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك ينافى صلاحهم
لاتفاق العلماء على انهم صلحاء وعدل الى التعبير به دون ان يقول
وكلهم انبياء لان صلاحهم متفق عليه بخلاف نبوتهم ففيها الخلاف المذكور
وانما وقع منهم مع يوسف من الامور التى جرت بينهم وبينه لا يؤثر فى
صلاحهم ولا فى نبوتهم على القول بها لانه مبنى على تاويل كانت تجوزه شريعتهم
على ان فى عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب الاصول حين
القوة ظرف لكيد والقوه بفتح القاف وسكون الواو وكذا رموه الآتى
بفتح الميم وسكون الواو وقوله فى غيابة جب هو البئر الذى لم تطو ولم تبن
وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه اصغرهم وقوله
ورموه بالافك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف
وقوله وهو براء جملة حالية اى برئ منه اى من الافك وفى تسمية الناظم
هذا القول منهم افكا نظر ظاهر بل لا يصح وقد جاء فى قوله تعالى ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل قال صلى الله عليه وسلم سرق يوسف صنما لجده ابى امه
من ذهب وفضة فكسره والقاه فعيره اخوته بذلك مع انه اراد بذلك الخير
وجاء فى رواية ان امه امرته بذلك لانها كانت مسلمة فالحاصل ان الذى
وقع منه صورة سرقة فذكروها بقولهم فقد سرق اخ له من قبل تعييرا له
فلم يكذبوا وانما عيروه بما لا عار فيه بل فيه غاية الرفعة والمدحة فتاسوا
اى واذا قد علمتم ما وقع لمن قبلكم من المحن وصبرهم عليها فتاسوا برضى
الله ومحبته فتناسوا ما عن نفرة واذ التاسى التعزى من تاسيت بفلان
تعزيت به اى حملت وقست حالى على حاله ففى التاسى تسكين النفس على الامر
المشق

المشق وتصبيرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التأسى
والتعزى واحد او متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظيهما
وقوله بمن مضى قبلكم من الكمل وقوله اذ ظلمتم اى وقت او لاجل اذ
ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال
وقوله فالتأسى اعنى فى المصايب لاسيما بالكمل وقوله للنفس فيه عزاء
اى تسل وتصبير حملها على ان لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض
عن النظر الى ما يصدر من اهل النفاق والشقاق   اترا كم خطاب
للمسلمين المقصرين السابق ذكرهم فى قوله فتأسوا وترى فعل مضارع
فيه ضمير مستكن راجع لاهل الكتاب والكاف مفعول به واقعة على
المسلمين اى انظنكم اهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم للحق
ودمتم على العمل به وقوله حين خانوا ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول
الثانى للفعل المذكور وقوله خانوا اى اهل الكتاب اى خانوا ما عاهدوا
الله عليه فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم وقوله امتراكم مثل ما قبله
وقوله احسنتم فى محل المفعول الثانى اى فى اتباعكم نبيكم فى جميع
ما جاء به فلم تغيروا منه شيئا فى حياته ولا بعد وفاته وقوله اذ اساؤا
ظرف لاحسنتم اى اساؤا الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم
بل بدلوه وغيروه   بل تمادت اى بل لم ير اهل الكتاب منكم ايها المسلمين
شيئا من الوفاء اى ولا من الاحسان وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء
انه تمادت اى استمرت وتتابعت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع
الباطل اى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وقوله
تقتفى اى تتبع آثارها الباطلة الابناء انا وجدنا آباءنا على امة الا
هكذا اصل الشارح هذا السياق وصنيعه يقتضى انهم لو راونا وفينا
واحسنا كان هذا هو الحامل لهم على عدم اتباعهم لانبيائهم يدل على
هذا قوله بل لم ير اهل الكتاب الى قوله وانما حملهم الخ وهذا لا يظهر كما لا يخفى
بينته اى الحق الذى من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته وقوله توراتهم
اى المنزلة على موسى ماخوذة من اورية الزند اذا قدحته ليخرج نار والنار
تستلزم النور فهى ذات نور وقوله والانا جيل اى المنزلة على عيسى ماخوذ
من نجل الشئ اخرجه وجمع الانجيل باعتبار اجزائها او للتعظيم وقوله
وهم اى اليهود والنصارى وقوله فى جحود اى جحود ذلك الحق الذى بينته

ان تقولوا ان   كتابا هما وقوله شركاء اى يشتركون فلعنة الله عليهما
شرطية اى يا اهل الكتاب اليهود والنصارى وقوله ما بينته ما نافية
وفى الفعل ضمير مستكن راجع للتورية والانجيل والضمير البارز للحق
المذكور وقوله فما زالت اى لم تزل بها اى بالتورية والانجيل وقوله
عشواء فاعل زالت اى فلم تزل العشواء عن عيونهم بها اى بل هى باقية عليها
والعشواء بالمعجمة والمهملة المراد بها داء يعلو العين الباصرة فيزيل ابصارها
وفى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه بصائرهم اى قلوبهم بالعيون
التى فى الراس واستعار اسم المشبه به للمشبه والعشواء ترشيح لانه يناسب
المشبه به والمعنى ان انكروا بيان كتبهم للحق فقلوبهم لم تنجل ولم يزل عنها
الران بل هى على عماها وفى الكلام التفات عن الخطاب فى قوله ان تقولوا
الى الغيبة فى قوله عن عيونهم وكان الظاهر ان يقول عن عيونكم   او تقولوا
اى يا اهل الكتابين قد بينته اى الحق المذكور كما هو الحق والواقع وقوله
فما للاذن اى فاى شئ يحصل للاذن اى لآلة سمعكم وقوله عما تقوله اى
التورية والانجيل واسناد القول اليها مجاز والجار والمجرور متعلق بصماء
اى غير سامعة له سماع قبول اى فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض
العناد والحسد ولم يظهر لرفع صماء وجه اذ قوله فما للاذن مبتدا وخبر فلعل
لفظ صماء منصوب على الحال وضمه انما هو لاجل القافية   عرفوه
اى الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم وقوله وانكروه اى بظواهرهم
كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وهذا نتيجة الالزام السابق
وقوله وظلما مفعول لاجله مقدم على عامله وهو كتمته وقوله كتمته
اى الحق المذكور فالضمير مفعول به والفاعل قوله الشهداء واما قوله
الشهادة فهو بدل اشتمال من الضمير فى كتمته الذى هو المفعول به اى كتم
الشهداء الشهادة به والمراد بالشهداء اهل الكتابين سموا بهذا الاسم لانهم
عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك
راسا جحدا وعنادا وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى لهم ما ينالوه منهم والمقام
للاضمار فمقتضى الظاهر ان يقول وكتموا او يقول وكتموا الشهادة به فعدل عن
هذا وعبر بالظاهر وهو الشهداء لاجل التسجيل عليهم ووصفهم بانهم شهداء
وقد كتموا ما يجب عليهم اداؤه وانما كانوا شهداء لانهم بلغوا من العلم به وبحقية
[illegible]

ان تقولوا ما بينته فما زا / لت بها عن عيونهم عشواء

او تقولوا قد بينته فما للا / ذن عما تقوله صماء

عرفوه وانكروه وظلما / كتمته الشهادة الشهداء

او نور الاله تطفئه الافـ / ـواه وهو الذى به يستضاء

اى اتكتمون ذلك وتظهرون الضلال ونور الاله الذى هو النبوة والرسالة
وقوله تطفئوه من اطفيت النار اذهبت حرها وقوله الافواه اى الالسنة
المتقولة بالباطل وجواب الاستفهام مقدر اى لا يكون ذلك كما قال تعالى
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره وكيف
يطفى ذلك النور الالهى وهو الذى به يستضاء ظاهرا وباطنا اى يبصر
الحق من الباطل والصادق من الكاذب اولا ينكرون الهمزة داخلة
على مقدر اى ايستمرون على ضلالهم وينكرون نبوته ولا ينكرون من طحنتهم
اى اهلكتهم وقوله رحاها اى اسلحتها وقوله عن امره متعلق بطحنت اى
طحنا ناشئا عن امره وقوله الهيجاء فاعل طحنت اى حربه وجواب الاستفهام
محذوف اى لا ينبغى لهم ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتبار
بانهم ان استمروا عليه طحنتهم رحا حربه كما طحنت اباءهم وابناءهم واهاليهم
بجلاء بنى النضير الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد منهم الا حمل
بعير من غير السلاح وقتل بنى قريظة وكساهم اى ولشدة باسه
عليهم كساهم ثوب الصغار من اضافة المشبه به للمشبه والصغار الذل
وكسى ترشيح للتشبيه اى واذلهم واوقع بهم الصغار اى الذل الذى هو كالثوب
فى اشتماله على البدن واحاطته به وذلك الذل الذى وقع بهم كضرب الرق
على غير المقاتلين من بنى قريظة وقتل المقاتلين منهم وكاجلاء بنى النضير
من الحجاز وقوله وقد اى والحال انه قد طلت اى اهدرت واريقت
وسفكت وقوله دماء بالمد جمع دم وان كان فى المتن يقرأ بالقصر
لضرورة النظم وقوله وصينت دماء اى منهم كبنى النضير فانهم اخرجوا
وطردوا من الحجاز من غير قتل واما الذين طلت دماؤهم فكبنى قريظة حيث
قتل منهم ستمائة او سبعمائة او ثمانمائة على الخلاف فى وقت واحد وفى
المصباح وطل دمه بالبناء للمفعول فهو مطلول واطل دمه وطله الله واطله
اهدره ولا يقال طل دمه بالفتح وابو عبيدة والكسائى يقولانه وقيل فيه
ثلاث لغات طل دمه وطل واطل كيف يهدى الاله اى واذا تقرر
اتصاف اهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق ان يقال فى حقهم
كيف يهدى اى يوصل وقوله حشوها اى ملؤها وقوله من حبيبه
متعلق بقوله البغضاء ومن بمعنى اللام التى للتعدية اى حشوها شدة
البغض لحبيبه خبرونا اى اعلمونا يا اهل الكتابين التوراة والانجيل

اولا ينكرون من طحنتهم
رحاها عن امره الهيجاء

ف

وكساهم ثوب الصغار وقد طلت
دماء منهم وصينت دماء

كيف يهدى الاله منهم قلوبا
حشوها من حبيبه البغضاء

خبرونا اهل الكتابين من اين
اتاكم تثليثكم والبداء

من اين استفهام انكارى وقوله تثليثكم راجع للنصارى اى ادعاؤكم ايتها النصارى ان الله ثالث ثلاثة والاثنان عيسى ومريم وقوله والبداء راجع لليهود اى ومن اين ادعاؤكم القول بالبداء وهو بالموحدة والمهملة من بدا الشئ ظهر وهو ظهور مصلحة بعد خفائها اى لم يات واحد من هذين عن دليل صحيح وانما هو عن محض سفهكم وعنادكم والحاصل ان النصارى على ستة فرق اربعة تقول بالتثليث واثنتان لا تقولان به فالاربعة احداها تقول كل من ذات الله وذات عيسى وذات مريم اله مستقل واخرى تقول الاله مجموع صفات ثلاثة الوجود والعلم والحياة ويسمون الوجود بالاب والعلم بالابن والحياة بروح القدس ومع ذلك يقولون عيسى بن الله واخرى تقول الاله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الاب والصفتان الكلام والحياة ويسمون الاولى الابن والثانية روح القدس ويقولون ان الكل اله واحد واخرى تقول الاله مجموع ذاتين وصفة فالذاتان ذات الله وذات عيسى والصفة الحياة الحالة فى جسد عيسى والفرقتان القائلتان بغير التثليث فرقة تقول الاله هو نفس عيسى والاخرى تقول عيسى عبد الله ورسوله لكنها كفرت بشئ آخر وكلام الناظم مع الفرق الاربع القائلة بالتثليث واما اليهود فعقيدتهم الفاسدة هى البداء ورتبوا عليها ان شريعتهم لم تنسخ زاعمين ان النسخ يلزم عليه البداء اى ظهور مصلحة لله فى الحكم الناسخ بعد خفائها عليه فى الحكم المنسوخ

ما اتى اى ما جاء بالعقيدتين المذكورتين كتاب من كتب الله

وقوله واعتقاد مبتدا خبره ادعاء وقوله لا نص فيه اى فى اثباته وقوله ادعاء اى باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم العقل القطعى فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تاويل النص كآيات الصفات واحاديثها فظاهرها محال عقلا فوجب صرفها عنه بتاويلها الى ما يوافق العقل والدعاوى اى التى تقولون بها معشر اليهود والنصارى وهى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى بالوجهين وقوله ما لم ما مصدرية ظرفية وقوله بينات اى ادلة قطعية لان الكلام فى الاعتقاديات وهى لا يفيد فيها الظن وقوله ابناؤها اى نتائجها وقوله ادعياء اى باطلة جمع دعى وهو فى الاصل من ينسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وفى الكلام استعارة بالكناية

ما اتى بالعقيدتين من كتاب
واعتقاد لا نص فيه ادعاء

والدعاوى ما لم يقيموا عليها
بينات ابناؤها ادعياء

من حيث تشبيه دعاويهم بوطئ الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد
بما ينشأ منه وذكر الانبياء تخييل لانه من ملايمات المشبه به الذى هو وطئ
الزنا من حيث انه ستحته والادعياء ترشيح وفى النظم اشارة الى قياس اقترا
من الشكل الاول صغراه الاعتقاد الذى لا نص فيه دعوى وهذه اشار
لها بالشطر الاول والكبرى والدعوى بلا بينة باطلة وهذه اشار لها
بالشطر الثانى ينتج الاعتقاد الذى لا نص فيه باطل ليت شعرى ليت
حرف تمنى وشعرى مفعوله على اى ليتنى علمت لما تقولونه انصبابا طاحتى
اتكلم معكم فى رده بابلغ وجه وقوله ذكر الثلاثة اى الصادر منكم تارة
حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة وقوله والواحد اى وذكر الواحد الصادر
منكم تارة اخرى حيث ادعيتم توحيده وقوله نقص فى عدكم انماء اى
زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد
كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم
تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم
كيف وحدتم الخ واعلم ان فرق النصارى اربعة نسطورية ويعقوبية
وملكية ومرقوسية فالنسطورية بضم النون وفتحها اصحاب نسطور الحكيم
الذى ظهر فى زمن المامون وتصرف فى الانجيل برايه وقال ان الله واحد
ذو اقانيم ثلاثة وان عيسى ابنه والاقانيم جمع اقنوم ومعناه الاصل
وهذه الكلمة ليست فى لغة العرب وانما هى تركية والمراد بالاقانيم
الثلاثة الوجود والعلم والحياة ويعبرون عن الوجود بالاب وعن العلم
بالابن وعن الحياة بروح القدس واليعقوبية اصحاب يعقوب
راهب القسطنطينية قال ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى
السماء والملكية ويقال لهم ملكانية اصحاب ملكان الذى ظهر
ببلاد الروم فقالوا المسيح عبد الله ونبيه وكفروا بشئ آخر كانكار البعث
والمرقوسية نصارى نجران قالوا الله ثالث ثلاثة والآخران عيسى وامه
لعنهم الله جميعا كيف وحدتم ايها القائلون بالتثليث وقوله الاباء
والابناء اى اللذان اتبعتموهما فى دعواكم التثليث ءاله استفهام
انكارى اى ايمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة اجزاء او اقل او اكثر لا
لانا ما سمعنا باله لذاته اجزاء بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل
الكمل منهم اخاء وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزاء

اومتعدد قيل لهم الكل منهم نصيب اى جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم
فهل لا وفى نسخة فلم لا تميز بالبناء للفاعل على انه ماض وهو ظاهر او مضارع
بحذف احدى التاءين منه فهو مرفوع وقوله الانصباء اى نصيب كل
من الآلهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه اى والحال انه لا تميز
فلا تعدد كما هو بديهى   اتراهم اى فان قالوا الكل نصيب او انصباء
لكنهم خلطوا انصباءهم قيل لهم اتراهم بضم التاء اى اتظنهم لحاجة اى احتيا
وقوله واضطرار هو شدة الحاجة الى الشئ وقوله خلطوها اى خلطا يمنع
تميزها فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج لان احتياجه دليل على عدم الوهيته
وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا اضطرار قلنا لهم لا يتصور وجود شركة بين
شريكين او اكثر من غير بغى احد الشركاء على بعض فلذا قال وما بغى اى والحال
انه ما بغى وما نافية اى ظلم الخلطاء اى الشركاء بعضهم على بعض لا يتصور
ذلك بل متى وجدت الشركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب
هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما
وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم
نظام هذا العالم واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لا نظر اليه
لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة القرآنية والاساليب العربية
واللازم المذكور باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على اكمل وجوه الاتقان
ويلزم من ذلك انتفاء التشريك مطلقا وان الاله واحد   اهو الراكب
الخ شروع فى بيان بطلان التعدد من وجه آخر وهو انه ثبت بالتواتر ان عيسى
كان يركب الحمار وح يقال لهم اتقولون فى حال ركوب عيسى للحمار هو الاله
الراكب للحمار فان قلتم انه هو فيقال لكم ركوبه يستدعى حدوثه وتعبده وهو
يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا وما زعمتموه يلزمه عجز وحدو
وقوله فيا عجز اله تعجب من دعواهم المستلزمة لذلك وقوله الاعياء
اى التعب وعبارة الشنشورى ثم من النصارى من يزعم ان الله هو عيسى
فيقال لهم من المعلوم ان عيسى كان يركب الحمار وح اتقولون هو اى الله هو
الراكب للحمار فما هذا الاعياء فيا عجز اله الخ   ام جميع ام متصلة لمعادلتها
الهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل ح
حمار بجمعهم اى الآلهة اى مجموعهم وقوله مشاء صيغة مبالغة من مشى
وح فيقال لهم بئس اله يحتاج الى ان يمشى به حمار   ام سواهم اى ام تقولون

اتراهم لحاجة واضطرار خلطوها وما بغى الخلطاء

اهو الراكب الحمار فيا عجز اله يمسه الاعياء

ام جميع على الحمار لقد جل حمار بجمعهم مشاء

ام سواهم هو الاله فما نسبة عيسى اليه والانتماء

ع
ج
ل
دش

سوا هم اى الثلاثة الذين على الحمار وقوله فما نسبة الفاء للسببية وما
استفهامية ونسبة مبتدا واليه خبر وقوله والانتماء هو الانتساب فهو
عطف مرادف على نسبة اى اخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله
هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه
ام اردتم بها اى بالثلاثة التى زعمتم انها آلهة وقوله الصفات اى
القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على الذات وقوله فلم
ما استفهامية حذفت الفها لدخول حرف الجر عليها وسكنت للوزن وقوله
ثلاث بالصرف للوزن وقوله بوصفه اى الاله وقوله وثناء اى واحاد
وحذف من باب الاكتفا وثلاث وثناء بضم اولهما معدولان عن ثلاث
ثلاث واثنين اثنين وليس المراد هنا هذا التكرير بل المراد الثلاث فقط
عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنان فقط عند من ينظر الى الاله
بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط
وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى ثلاث ولا فى ثنتين فالدعاء التثليث
تحكم صرف هكذا قال الشارح وقوله الاله بالحقيقة اى وهو عيسى
على كلامهم والاله بالتجوز هو الصفات الثلاثة التى قامت بعيسى
فيقولون الاله بالحقيقة هو عيسى والصفات الثلاثة آلهة بالتجوز
لقيامها بالاله بالحقيقة وهو عيسى ام هو اى عيسى اى ام تقولون
هو ابن لله فيقال لكم لما اختص عيسى بذلك اى بوصف البنوة لله حتى
انهم ما شاركه ما نافية اى لم تشاركه الانبياء فى معانى البنوة فما وجه
التخصيص فهذا تحكم باطل ايض فان قالوا انما خص بذلك لكونه لا اب له
فيقال لهم يرد عليكم آدم فانه لا اب له ولا ام فقتله اى عيسى
اليهود ولموته فيما زعمتم حال اى حال كون قتلهم له انما هو فى القول الذى زعمتم
معشر النصارى اى فلا يكون الها ولا ابنا لله واليهود لم يتمكنوا من قتله
وقوله ولاموا تكم اى والحال انه لاموا تكم به اى بسبب عيسى احياء وهو
رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له اى انكم ان قلتم يحيى الموتى فكيف
من يحيى الموتى يتمكن منه من يقتله لانه اذا كان يرد الحياة بعد ذهابها
باذن الله فكيف لا يحفظها على نفسه عن الذهاب باذن الله فتصديقكم
لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانكم تقعون فى التناقض
الصريح ولا تتنبهون له ان قولا اى مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث

ام اردتم بها الصفات فلم ... ثلاث بوصفه وثناء

ام هو ... ما شاركه فى معانى البنوة الانبياء

فقتله اليهود فيما زعمتم ولاموا تكم ...

... تعالى الله ... ان ذكرا ...

اطلقتموه على الله تعالى عما تقولونه وقوله ذكرا معمول لتعالى على انه تمييز اى
تعالى من جهة الذكر اى الثناء عليه اى تعالى ذكره وثناؤه وقوله لقول هراء
بضم الهاء والراء المهملة من هراء الكلام اذا اكثر فى الخطأ وفى نسخة بالزاى من
قولهم رجل هزءة بالتسكين اى يهزأ به ويصح هزءة بالتحريك اى يهزأ بالناس
والمناسب هنا الاول وفى نسخة هذاء بضم الهاء والذال المعجمة من الهذيان
مثل ما قالت مثل يجوز نصبه حالا اى لقول هراء حال كونه مثل ويجوز
رفعه خبر مبتدا محذوف اى هو مثل ما قالت اليهود وما مصدرية اى
مثل قول اليهود يعنى بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر والفساد وان
تباين تفصيل كل من المقالتين وقوله وكل اى من الفريقين وقوله لزمته
اى لزمت دعواه وقوله شنعاء اى قبيحة جدا اذهم اى اليهود
استقروا البداء اى تتبعوه حتى قالوا اما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا
ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة بعد خفائها
حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الروافض ومنهم من جوزه
عقلا ومنعه شرعا واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة
لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى هل هى ناسخة لشريعة
موسى او مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة لقوله ولاحل لكم بعض
الذى حرم عليكم ومعنى التخصيص هنا نسخ بعض الاحكام فالقول الثانى
معناه نسخ جميعها قال الامام روى ان الرسل بعد موسى كلهم على شريعته
الا عيسى تنبيــــه ذكر الامام ايضا فى المطالب العالية فى الحكمة فى
نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا
ومعادا فهذا يمتنع طرق النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع
هذه الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومنها
سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرق نسخه وتبديله
وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف
صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود
من الاعمال من معرفة الله وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق
وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح فى المعرفة
والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى
تطهير السرائر وفى التغيير حكمة ان الخلق طبعوا على الملالة من الشئ

مثل ما قالت اليهود وكل
لزمته مما قاله شنعا

اذهم استقروا البداء ...

فوضع

فوضع في عصر كل رسول شريعة جديدة ليستنشطوا في اداءها واعظم الحكم
اظهار شرف نبينا فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته لا ناسخ لها ومن
حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كتطبيب يأمر بدواء في يوم
وبآخر في يوم آخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني اثقل تنبيه
آخر ما زعمه اليهود من ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح
الداعية للنسخ ترجع اما الاحوال المكلفين او الازمنة وذلك لا يستلزم
البداء ولا يقتضي ان الله ظهر له شيء بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزم
فمنعوا النسخ فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه
او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين
والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادي قاطع بان
الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت آخر وكذا بالنظر
للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى
يتعلق بان حرمة كذا تنتهي بوقت او فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ ايضا
لان اللفظ الدال على شرع موسى اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي
نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى في العمل به مرة فلا يتصور فيه
نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التورية تمسكوا بالسبت
ابدا وجوابه انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد
التواتر بل قيل لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به
الزمن الطويل كما في التورية في مواضع كثيرة وقوله وكم اي مرات كثيرة وقوله
وبالا اي عذابا وقوله استقراء اي تتبع وأراهم اي اعلمهم اي علم
انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا اي يعتقدوا
الواحد في ذاته وصفاته وافعاله وقوله في الخلق متعلق بالقهار ففي
بمعنى اللام او متعلق بقوله بعد فاعلا لما يشاء فهي على حالها ووجه
عدم الجعل ان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه جوزوا النسخ
جواب لو الاتية وقوله مثل ما جوزوا المسخ ما مصدرية اي جوزوه
تجويزا مثل تجويزهم المسخ وقوله فقهاء اي فهماء ولا فهم لم اذ لا ابلد
منهم في الفرق اي لو كانوا من اهل الفهم لجوزوا النسخ كما جوزوا المسخ فمنعهم
للنسخ وتجويزهم للمسخ الذي وقع بهم لا دليل عليه بل هو محض تحكم نشأ من
عدم فهمهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل ونسخت

وأراهم لم يجعلوا العلم الواحد في ذاته وصفاته وافعاله قهارا في الخلق فاعلا لما يشاء

جوزوا النسخ مثل ما جوزوا المسخ ثم علمهم لو انهم فقهاء

الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب آخر شرعي والمعنى لو ثبت انهم فقهاء
لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يعول
عليه ومما يدلك على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل
الصورة الى اقبح منها في كثير منهم في زمن موسى لما خالفوه في السبت فمسخهم
الله قردة وخنازير كما في كتابه العزيز   هو الا ان يرفع الحكم اى وكيف
يمنعون النسخ وهو ليس فيه الا ان يرفع الحكم الشرعي اى استمراره او تعلقه
والا فالحكم نفسه لا يصح رفعه ولا يجوز عقلا اذ هو خطاب الله تعالى
المتعلق بفعل المكلف وهو قديم يستحيل رفعه وقوله بالحكم اى الشرعي
وهذا فيما اذا كان النسخ الى بدل وقوله وخلق اى ايجاد وقوله فيه
اى المنسوخ اى ايجاد للصورة الثانية بعد ذهاب الاولى وقوله وامر اى
تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني وقوله سواء اى لما تقرر ان المسخ
رفع الصورة الاولى وتخلفها الثانية والنسخ رفع الحكم الاول وتخلف الثاني
فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم معاندون لا يلتفت
اليكم   ولحكم من الزمان انتهاء اى وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته
ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ والناسخ فالاول هو المراد بقوله ولحكم من
الزمان انتهاء والثاني هو المراد بقوله ولحكم من الزمان ابتداء ولا ينافي هذا
تفسيره النسخ فيما سبق بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف ودوامه
وهو الانتهاء المذكور هنا وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان الاول
في الاحكام والثاني في الذوات   فسلوهم اى فاذا اردتم ايها المسلمون
المبالغة في ادحاض حجتهم فسلوهم قائلين لهم اكان في مسخهم فالتفات
عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اى اكان في جعلهم قردة في الصورة كما هو
رأى الجمهور او في قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء
ذواتهم على ما قاله مجاهد وقوله نسخ لآيات الله وهي الصورة الاولى مع احكامها
او لادراكهم الاول على قول مجاهد وقوله ام انشاء اى ايجاد لصورة مستقلة
وحكم مستقل يتعلق بها فان قالوا بالاول فقد نقضوا انفسهم ولزمتهم
الحجة او بالثاني فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين
النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للصورة الثانية انشاء
وبداء بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ خبره قولهم في قولهم الثابت عنهم فقد قالوا ندم الله
على خلق آدم وقوله ام خطاء بالمد كما اجازه بعضهم وجرى عليه الناظم

والمشهور

والمشهور فيه القصر وهو عطف على بداء الواقع مبتدا اى سلوهم عن قولهم
هذا الصادر عنهم عن قصد او عن خطأ فان قالوا عن قصد كان عين
البداء الذى انكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ
فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض
قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على انفسهم وانهم فى
غاية الشقاوة امر محى معطوف على قوله اكان فى منسوخ اى وسلوهم
ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار
كل منهما باقية فلا تزول بالاخرى ام محى الله اى اذهب آية الليل الاضافة
بيانية والليل اسم جنس جمعى واحده ليلة واتى بالنهار بدله وهكذا الى القيا
وقوله ذكرا بضم الذال تمييز اى من جهة الذكر اى العلم والعمل وقوله
ليوجد الامساء اى الدخول فى المساء والمراد به هنا ما بعد الغروب وهذا
لا يترتب على ما قبله وانما الذى يترتب على محو الليل الدخول فى الاضاءة
بوجود النهار وانما يترتب الامساء على محو النهار فيحتاج الكلام الى تقدير
هكذا ام محى الله آية الليل لتوجد الاضاءة ومحى آية النهار ليوجد الامساء
وهذا التقدير يشير اليه قولنا سابقا ومحى وهكذا الى يوم القيمة اى وسلوهم
عن هذا المحو اهو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل هو عمد بعد سهو او عن
ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثانى من
الترديد الاول فقد كابروا الحس او من الترديد الثانى لزمهم القول
بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ
حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار فى غير ما آية
كقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية وفى البيضاوى آيتين تدلان
على القادر الحكيم بتواليهما على نسق واحد فمحونا آية الليل اى التى هى الليل
بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة اى مضيئة او مبصرة للناس من
ابصره فبصر او مبصرا اهله وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام
وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو
آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور ونقص نورها
شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذا شعاع
تبصر الاشياء بضوئها ام بدا الله اى ظهر له فى ذبح اسحاق والحال
انه قد كان الامر اى بذبحه من الله تعالى للخليل فى النوم وقوله مضاد

اى ماض نافذ وفى نسخة قصهاء بالقاف اى حتم لان رؤيا الانبياء وحى
اى سلوهم فيما وقع للخليل وهو امره بذبح ولده ثم عند ارادته حين اضجعه
على جنبه لنسخه الله فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت
نحاسا وانه امر السكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء فهو
باطل لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر
بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط واعلم
ان ما جرى عليه الناظم من ان الذبيح اسحاق هو ما عليه الاكثرون قيل
واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بأن اسمعيل هو
الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحاق حج ولا اتى تلك الاماكن
فانهما يقتضيان بانه اسمعيل وهو التحقيق اوما حرم الاله اى وسلوهم
ايضا فقولوا لهم اتنكرون النسخ وتقولون ما حرم الله نكاح الاخت بعد التحليل
فى زمن آدم او تقولون حرمه بعد ما حلله وقوله فهو اى نكاحها الزنا
مترتب على الشق الثانى من الترديد اى والزنا موجب للرجم وحد الزنا
لغة فان قالوا حرمها بعد ان احلها فهذا صريح فى النسخ الذى انكروه وان
قالوا لم يحرمها او لم يحللها فهو عناد محض وقائله لا يخاطب ولا يكالم
لا تكذبن اى واذ قد بان لك قبح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك
عن محاجتهم ولا تكذبن ان اليهود وقوله وقد زاغوا جملة حالية اى
مالوا عن الحق من جهات عديدة سفها وحسدا وقوله لؤماء جمع لئيم
وهو الدنى الاصل الشحيح النفس جحدوا بدل من زاغوا اى انكروا
نبوته ورسالته وقوله وآمن جملة حالية وقوله بالطاغوت اى
الشيطان وكل ما عبد من دون الله وقوله عندهم اى عند اليهود
شرفاء اى معظمون مبجلون وهذا بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق
حيث جحدوه واقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم
من اشرافهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم
وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب الآية قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت وهو
اسم يقع على الصنم والكاهن والساحر والمراد هنا الاول والطاغوت
كل ما عبد من دون الله فهو من عطف العام على الخاص ويصح ان
يراد بقول المتن وآمن بالطاغوت قوم اى من اشراف قريش هم عندهم

اوما حرم الاله نكاح الا
خت بعد التحليل فهو الزنا

لا تكذبن ان اليهود وقد زا
غوا عن الحق معشر لؤماء

جحدوا المصطفى وآمن بالطا
غوت قوم هم عندهم شرفاء

قتلوا الانبياء واتخذوا العجل الا انهم هم السفهاء

وسفيه من ساءه المن والسلوى وارضاه الفوم والقثاء

ملئت بالخبيث منهم بطون فهى نار طباقها الامعاء

لو اريدوا فى حال سبت بخير كان سبتا لديهم الاربعاء

اى عند اليهود شرفاء قتلوا الانبياء بدل نحو بدل او معطوف بحذف حرف العطف وذلك كزكرياء ويحيى وغيرهما فقد جاء انهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا وقاموا لسوقهم ومعاشهم وذكر ابن عطية فى تفسيره انه لم يقتل من الانبياء الا من لم يؤمر بالقتال واما من امر فقد تكفل الله بنصره وقوله واتخذوا العجل اى الها ومعبودا مع ان السامرى هو الذى صاغه بحضرتهم من الحلى الذى استعاروه من القبط قبل غرقهم وقوله الا انهم الا حرف تنبيه وقوله هم السفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة راى واطمانان بصيرة وفى المتن الاقتباس من الآية الشريفة وسفيه خبر مقدما ومبتدا وما بعده هو الخبر وسوغ الابتداء به وقوعه بيانا لما قبله وقوله من ساءه اى احزنه المن وهو نوع من الحلوا يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الاضطرار وقوله والسلوى هو الطير السمانى وهو من اشهى الطيور لحما وانفعها واطيبها غذاء كان ياتيهم وهم فى التيه الى محالهم فيمدون ايديهم اليه وياخذون منه ما شاؤا وقوله وارضاه الفوم بضم الفاء بلا سؤال فيه كما فى الآية وهو الثوم كما قرئ به فى الآية وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى ملئت بالخبيث وهو ما سالوه من الفوم وما معه وقوله منه حال من بطون النائب عن الفاعل والمراد بالخبيث عيوبهم القلبية كالحسد والغل والاول هو الذى يدل عليه السياق ويناسب قوله ملئت والثانى لا يناسب هذين لكنه يناسب قوله فهى نار اى مشتملة على ما يؤدى الى النار واما الاول فلا يناسبه كما لا يخفى وقوله طباقها اى النار التى هى بطونهم الامعاء اى المصارين جمع معا بالقصر كرضى اى المصران اى ان كل معا فى بطونهم فوقه نار فصارت الامعاء طباقا للنار لو اريدوا لو شرطية اى لو اراد الله بهم خيرا وقوله فى حال سبت مصدر سبتت اليهود اذا عظموا سبتهم بالسكون فيه من غير العبادة اى بترك الاشغال الدنيوية والتفرغ للعبادة والسبت معناه لغة القطع وقوله بخير الباء زائدة للتاكيد وكل من الظرفين هذا والذى قبله متعلق باريدوا اى لو اراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى فرض عليهم

تعظيمه خيراً وقوله لديهم اى عندهم وقوله الاربعاء بتثليث الباء
والمعنى لو اراد الله بهم تمام الخير لجعل زمن عبادتهم يوماً موذناً ومشعراً
بوصلهم واهتدائهم وهو يوم الاربعا لان النور خلق فيه والنور
يحصل به الاهتداء فلما جعل ميقاتهم يوم السبت الموذن بقطيعتهم
اذ السبت لغة القطع كان فى ذلك اشارة الى انه لم يرد بهم تمام الخير
فكأن الناظم يقول لو اراد الله بهم تمام الخير فى حال سبتهم اى فى حال
عبادتهم وانقطاعهم اليها كان سبتاً لديهم الاربعاء اى لكان الاربعا
سبتاً لديهم اى كان محلاً لسبتهم اى انقطاعهم وتفرغهم للعبادة ومما
يوضح هذا ان الله ادخر لهذه الامة يوم الجمعة الموذن بغاية الوصل
اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذى هو اكمل المقامات وافضلها
وجعل لليهود يوم السبت الموذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد
الموذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما
خصت به كل امة من الايام دليلاً على احوالها وما يؤول اليه امرها فنبه
الناظم رحمه الله تعالى على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة
فى مدح هذه الامة وذم غيرها ومن هذا المعنى قال العارف الفارضى

وكل الليالى ليلة القدر ان دنت ‎ ‎ كما ان ايام اللقا يوم جمعة

واعلم انه اختلف فى اول الاسبوع فقيل السبت وهو الاصح
وعليه الاكثرون كما فى الروضة واصلها ونقله فى شرح المهذب عن الاصحاب
بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير وجرى
النووى فى موضع آخر على ان اوله الاحد حيث قال فى يوم الاثنين سمى
لانه ثانى ايام الاسبوع ويجاب من طرف الاول بان النووى جرى
فى توجيه التسمية الذى يكفى فيه ادنى مناسبة على القول الضعيف
ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد والاثنين من الثانى وهكذا
لان تلك التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها
على مذهبهم فاخذتها العرب منهم وجاء فى الخبر ان الله خلق التراب اى الارض
فى يوم السبت والجبال فى يوم الاحد والشجر فى يوم الاثنين والمكروه
اى الاشياء التى تكرهها النفس فى يوم الثلاثا والنور وكذا النون اى
للحوت اى السمك فى يوم الاربعا وخلق الدواب فى يوم الخميس وخلق آدم
فى يوم الجمعة ويضبط ذلك حروف قولك تجشم نداً فالتاء للتراب اى الارض

فى

في يوم السبت الذي هو اول ايام الاسبوع والجبال في يوم الاحد وهكذا
على الترتيب السابق وقد انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله
ان تاييد ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا العالم خلق في ستة ايام
وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير ان يوم الجمعة داخل في الستة التي
خلق فيها العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء
وجعل خلق آدم في اليوم السابع وهو يوم الجمعة ولم يثبت انه خلق آخر
الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم في ستة ايام فآخرها يوم الخميس
وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه وذريته
هو اي يوم السبت يوم مبارك لان الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم
كما مر خلافا لما زعمه اليهود انه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح
يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة عباوتهم
وسفاهتهم ومن ثم رد الله عليهم بقوله وما مسنا من لغوب اي تعب
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر
للغير وقوله قيل انما بناه للمجهول لضيق النظم والا فهذا القول ليس ضعيفا
بل هو امر مشهور مجمع عليه ورد به الكتاب والسنة وقوله للتصرف يعني
اي للتصرف ببيع او نحوه وقوله اعتدا اي تعدوا وظلما كان سببا للمسخ
كثير منهم قردة وخنازير فمسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير لها اذناب
تتعاوى وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب
البحر في طريق الحاج المصري فابتلاهم الله بان الهم السمك يوم السبت ان
يرفع خرطومه اليهم بحيث لو مدوا ايديهم اليه لاخذوه من غير كلفة
وكانت تجتمع جميع حيتان البحر بجنب البر شرعا اي ظاهرة لهم فاذا امسى
السبت تتفرق فلم يروا منه شيئا فاجتمع رأي جماعة منهم على حيلة يحصلونه بها
ويتخلصون من الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب
البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تمتلئ سمكا يوم السبت ويأخذ
يوم الاحد فشووا منه واكلوا فشم جيرانهم الرائحة فسألوهم فاخبروهم
بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم لما انكم تعجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة منهم
حتى صاروا قدر الثلث من العدد السابق وهو اثنا عشر الفا وسكت
قدر الثلث عن النهي فاعتزلهم الثلث الباقي الذي نهاهم فبنوا بينهم حائطا

فامسخوا وقد مسخ الثلث الاول وهو الذى فعل الحيلة قردة وخنازير على ما مرّ
وكذا الثلث الذى سكت على خلاف فيه ومر تفسيره قال ابن عباس لا ادرى
ما فعل بالساكتة نجاها ام مسخها واما الثلث الذى نهى ونجى انما نقط
فلم يمسخ باتفاق فبظلم متعلق بعدتهم وهو وضع الشيء فى غير محله
كخيانتهم فى السبت واكلهم الربا واخذهم اموال الناس بالباطل وقوله
وكفر من عطف الخاص على العام لزيادة الاهتمام به وقوله عدتهم اى
فاتهم وقوله طيبات اى من الرزق بان حرمها الله عليهم وقوله فى
تهكن اى تلك الطيبات الذى تحتم الامر به وقوله ابتلاء اى اختبار
ومحنة للعبد يكون سببا لفلاحه او هلاكه وهذه الطيبات التى حرمت
عليهم هى التى فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية اى
وعلى اليهود حرمنا كل ذى ظفر الخ الا الشحم الذى على الظهر او الالية او الامعا
فالحوايا هى الامعا وما اختلط بعظم هو شحم الالية خدعوا اى يهود
المدينة وما قرب منها بدلا من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص وقوله
بالمنافقين اى بسببهم اى المنافقين من الاوس والخزرج الذين قهرهم
الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا
فكانوا يدسّون الى اليهود المكروه والخديعة ومعنى خديعتهم بهم ان
الله اراد بهم المكروه بسبب المنافقين من العرب الذين كانوا يتهددونهم
عن النبى فيخدعون لهم لعبا وتهم وقوله وهل ينفق كيضرب مبنيا للفا
وينصر كذلك ويكرم مبنى للفاعل او المفعول اى وما ينفق الشقاء الا على
السفهاء وهم اليهود شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف فى المشترى
على سبيل الاستعارة بالكناية واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو
الانفاق تخييلا وهذا اذا كان ينفق من انفق الدراهم اى صرفها
واخرجها ويصح ان يكون من النفاق اى الرواج وعليه فشبه الشقاء
بالسلعة المعروضة للبيع على سبيل الكناية ايضا واثبت له النفاق تخييلا
واطمأنوا اى فى زعمهم اى امنوا مما كانوا يترقبونه من النبى وقوله
بقول الاحزاب اى بسبب قولهم انا لكم اولياء والمراد بالاحزاب طوائف
العرب اهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا بعد وقعة
احد لحرب النبى صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم اى فى الكفر وقوله
انا لكم اولياء مقول القول اى متوالون ومتفقون على حرب محمد وسبب ذلك

ان

فبظلم منهم وبكفرهم ... طيبات فى تهمن

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الشقاء على

عن

واطمأنوا بقول الاحزاب انا لكم اولياء

حالفوهم وخالفوهم ولم ادر لماذا تحالف الحلفاء

ان جماعة من اليهود منهم اللعين حيي بن اخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى ذهبوا الى قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقوهم ثم ذهبوا الى غطفان وذكروا لهم مثل ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وغطفان واهل نجد في عشرة الاف فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم اشار عليه سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه هو واصحابه فلما وصل العدو وانه خرج اليهم في ثلاثة الاف فمكثوا نحو عشرين يوما او خمسة عشر لا قتال بينهم الا الرمي بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبي وكان من رؤساء الاحزاب فقال له اني اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي فمرني فيهم بما شئت فقال له خذل عنا ما استطعت الى آخر ما في القصة

حالفوهم اي حالف الاحزاب اليهود فالضمير الفاعل للاحزاب والمفعول لليهود وكذا يقال فيما بعده اي عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله وقوله وخالفوهم في ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم وقوله ولم ادر هذا من تجاهل العارف لاغراء السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا واليه فالناظم عالم به وهو ان الله اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال جمعهم وتجاهل العارف هو سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى

اسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء

اسلموهم الضمير الفاعل راجع للمنافقين في قوله خدعوا بالمنافقين فلو ذكره عقبه لكان اولى والمفعول لليهود والمراد باليهود هنا بنو النضير وبنو قريظة قبيلتان من يهود خيبر وهم ينتسبون الى هارون اخي موسى عليهما السلام وقوله لاول الحشر اي للحشر الاول وهو اجلاؤهم من بلاد الحجاز الى الشام وهذا في عهده صلى الله عليه وسلم ولهم حشر ثان وهو اجلاء عمر لمن بقي منهم بخيبر الى بلاد الشام ونحوها وهذا مقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب الايات وقوله لا ميعادهم صادق اي لا ميعاد المنافقين لليهود انهم ينصرونهم على حرب النبي لم تخلفوا عنهم وقوله ولا الايلاء اي الحلف منهم لهم صادق ايضا

سكن الرعب والخراب قلوبا وبيوتا منهم نعاها الجلاء

سكن اي هيبة النبي وخشية انتقامه منهم وقوله والخراب اي لديارهم وقوله قلوبا اي لليهود بني النضير وغيرهم وهذا راجع للرعب وقوله بيوتا

تراجع للاحزاب وقوله نعاها اى اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوى
من نعاه نعوًا ونعيًا اخبر بموته وقوله الجلاء اى خروجهم من ديارهم شبهه
فى كونه معلمًا بقهرهم وزوال شوكتهم بانسان يخبر بموت احد استعارة
بالكناية وذكر النعى الملايم للمشبه به تخييل وما تقدم فى وجه الشبه وهو
كونه معلمًا بقهرهم لا يحتاج لمعونة وهو ان ذلك القهر قد نزل منزلة الموت الحسى
وظاهر النظم ان واقعة بنى النضير بعد الخندق المشار اليها بقوله واما
انه هو مردود بان بنى قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير
فقد كانت وقعتهم قبل الاحزاب وكانت من اعظم الاسباب فى جمع الاحزاب
لان حيى بن اخطب كان رئيس بنى النضير وهو الذى حسن لبنى قريظة
الغدر ومرافقة الاحزاب وقد هرب فى وقعة بنى النضير ولحق بخيبر
فكان بها حتى ذهب الى قريش وحزبهم على حرب النبى صلى الله عليه وسلم
وحاصل وقعة بنى النضير ان النبى خرج لهم يستعينهم فى دية قتيلين
قتلهما بعض حلفائه فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو جالس الى
جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقى عليه صخرة
ليستريحوا منه فاخبره جبريل فرجع الى المدينة فامر بالتهيؤ لحربهم والمسير
اليهم فسار وحاصرهم خمسة عشر يومًا فالقى الله الرعب فى قلوبهم فصاروا
يخربون بيوتهم من داخل والمسلمون من خارج ثم نزلوا على حكمه صلى الله
عليه وسلم فحكم عليهم بان يخرجوا ولا ياخذ كل واحد من ماله الا حمل بعير
ولا ياخذون السلاح فلحقوا بخيبر ثم الى الشام على ستمائة بعير

وسوموا الاحزاب اى وخدعوا ايضًا بنو قريظة بسوموا الاحزاب الخ ولو قدم
هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان اظهر كما لا يخفى
وكأن هذا الوضع من غلط النساخ وحاصل ما اشار اليه ان الاحزاب
لما اقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج لهم صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا
ظهورهم الى سلع والخندق بينه وبين القوم خرج عدو الله حيى بن اخطب
وتقدم انه كان من رؤساء بنى النضير وفى قلبه ما فيه مما اصابه واصاب
قومه قبل ذلك فاتى كعبًا القرظى رئيس بنى قريظة وكان قد عاهده صلى
الله عليه وسلم وامنه فطلب حيى منه نقض عهد محمد فامتنع فلم يزل به حتى
نقض العهد فبلغ ذلك رسول الله فاشتد عليه الامر وخاف على المدينة من
بنى قريظة فلما خلص من الاحزاب ورجع المدينة فوضع سلاحه واغتسل

ويتعين الاخبار [illegible]
هكذا رقيه وضبطت [illegible] الاحزاب

فجاءه جبريل على بغلة فقال يا محمد قد وضعت سلاحك فوالله ما وضعنا
معشر الملائكة سلاحنا فاخرج اليهم واشار الى بني قريظة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي فسار اليهم في ثلاثة آلاف
فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم
سعد بن معاذ سيد الاوس وكانوا حلفاءه في الجاهلية فحكمه صلى الله عليه
وسلم فيهم فحكم بقتل رجالهم وقسم اموالهم وسبي ذراريهم فأخذت رجالهم
في حبال وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة فادخلوا المدينة وحفرت لهم حفيرة
وامر صلى الله عليه وسلم عليا بضرب اعناقهم والقوا في الحفيرة
وتعدوا اي النصارى واليهود والمنافقون بل مطلق الكفار اي
تجاوزوا وقوله الى النبي حال من قوله حدودا اي حال كونها لم يان
حدودها لهم ومنعهم من مجاوزتها فلم يقفوا عندها فقوله كان فيها
على حذف مضاف اي في مجاوزتها والعدواء اسم كان واحد الظرفين خبرها
والآخر حال والعدواء بفتح العين اي بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك
وهنا تلميح لقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
ونهتهم اي اولئك المعتدين وفاعله ضمير يعود على قوم لانه من باب التنازع
اي ونهى المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفته وايذائه
وقوله فابيد العتاة سببية اي اهلك الامار منهم بايذائه والنهاء عن
اتباعه ولم يتقدم للامار ذكر في كلامه الا انه ماخوذ من المقام فقوله
وما انتهت عنه قوم اي وامر قوم بايذائه فيقدر هذا لاجل قوله فابيد
الامار والنهاء والامار بفتح الهمزة والنهاء بفتح النون مبالغة في آمر وناه
وتعاطوا في احمد اي خاضوا يقال فلان يتعاطى كذا اي يخوض
فيه وعبارة الهروي يقال تعاطيت الشيء اذا تناولته وقوله في احمد بالقصر
للوزن وخص هذا الاسم لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمى به
قبله خمسة عشر كما بينه الحافظ العسقلاني وقوله منكر القول اي القول
المنكر الذي ينكره من يسمعه بل والمتكلم به لعلمه بقبحه وفساده وان الحامل عليه
انما هو محض عناد وحسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون وقوله
ونطق اي منطوق الاراذل اي الاخساء الاسافل الذين لا مروءة لهم وقوله
العوراء بفتح العين اي الكلمة القبيحة الساقطة اي شانهم النطق بالفحش
كل رجس اي قذر قام بهم وقوله السوء بفتح السين وضمها اي القبيح

وقوله سَفاهًا بفتح السين من سَفه بالضم سَفاهًا وسَفاهة واما سفه
بالكسر فمصدره سَفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وقوله والملة
اى وتزيد سَفاهة ايض وبعدًا عن الخير الملة اى الشريعة سميت بذلك
لانها تملى وتكتب وقوله العوجاء اى الباطلة شبهها بطريق عوجاء
لا يهتدى سالكها الى مطلوبه على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها
العوج تخييلاً وهؤلاء الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء
والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم فانظروا اى
فبسبب ازديادهم فى السفاهة والجهل انظروا ايها العقلاء وقوله
كيف هى وما بعدها سدت مسد مفعولى انظروا لانه بمعنى اعلموا وقوله
كان اى حصل ووجد فهى تامة وقوله عاقبة القوم اى مآلهم ومصيرهم
اى القوم المعروفين بما ذكر وعاقبتهم هى خزيهم فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة
وقوله وما ساق اى وانظروا ما ساق وما يصح ان تكون موصولة بما
بعدها صلتها وان تكون استفهامية فهى وما بعدها سدت مسد مفعولى
انظروا المقدر وقوله للبذى اى بذى اللسان كهؤلاء وقوله لبذاء
اى بذاؤهم اى فحشهم وتخلفهم من عز الدنيا وسعادة الآخرة وفى الكلام
تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء سائقها فهما استعارتان مكنيتان
واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعله وللبذى على جهة كونه واقعا عليه
تخييل وجد السب اى وجد ذلك البذى السب اى الشتم فيه اى
النبى صلى الله عليه وسلم وقوله سما اى داء مهلكا وقوله ولم يدر اى
ذلك البذى ان سبه عين السم القاتل لوقته اذ الميم فى مواضع باء
اى تنقلب باء فى مواضع اى فى الفاظ وعبارات وكلمات كما هنا وهى
لغة مازن يقولون باسبك اذا ارادوا باسمك فهذه الباء بدل من
الميم والمعنى ان سبهم له مهلك لهم كما يهلك السم بل هو ابلغ لان هلاك
السم فى الدنيا وله ادوية تزيله والهلاك بالسب فى الدنيا والاخرة ولا
دواء له كان من فيه اى من اجل ما صدر من فيه اى من فم ذلك
البذى وقوله قتله اسم كان وبيديه خبرها ومن فيه حال من الخبر اى
كان قتله لنفسه بيديه حال كونه صادرا من فيه وقتل الانسان نفسه
اشد من قتل غيره له وقوله فهو اى فبسبب ذلك هو اى القاتل بنفسه
وهو مبتدا وخبره الزباء والمعنى على التشبيه اى فهو فى الاتصاف بما وقع

فانظروا كيف كان عاقبة القوم وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يدر ان الميم فى مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه فهو فى سوء فعله الزباء

من سوء فعله بنفسه كالمرأة المشهورة بالملكة القاهرة فى العرب التى
هى الزباء بفتح الزاى وتشديد الموحدة والمد وهى ملكة الجزيرة ولم تتزوج
اصلا بل استمرت بكرا وانما اشبهتها لانها تناولت خاتما مسموما فمصته
حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيد عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب
ما تناولته بفمها من يدها لما ظفر بها عمرو بن اخت جذيمة الابرش خوفا من
تعذيبه لها وحاصل قصتها ان جذيمة بن عامر التنوخى وقيل الازدى
وهو اول من ساس العرب واول من اتخذت له الشموع واوقدت بين
يديه واول من اجتمع له الملك بارض العراق بعد ان قتل ابا الزباء فقتله قبل
بعثة عيسى وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من
جذيمة ملك ابيها فحدثت جذيمة نفسه بتزوجها وكانت اجمل اهل عصرها
فطمع فيها وفى ملكها فارسل اليها فاظهرت له غاية الفرح فشرع فى السير
اليها فلما دخل عليها قتلته وكان له ابن اخت يسمى عمرا فسار اليها ودخل
عليها بحيلة فلما تمكن منها وعرفت انه قاتلها مصت خاتما فى يدها كان
مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو فماتت او هو النحل اى هو ذلك
الذى فى سوء فعله يشبه النحل وبين وجه الشبه بقوله قرصها لغيرها
يجلب الحتف اى الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها ما له انكاء
اى ليس له قتل ولا جرح ولا دم ولا تاثير قوى فى الملسوع فكل منهما قتل نفسه
بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما مما كان سببا لهلاكهما
صرعت قومه لما فرغ من بيان عاقبة اهل الكتاب يريد شرع فى بيان عاقبة
غيرهم من اعدائه فقال صرعت قومه صلى الله عليه وسلم اى القتهم قتلى
بين يديه حبائل جمع حبالة وهى التى يصاد بها كالشبكة واضافتها الى
البغى من اضافة المسبب الى السبب وقوله مدها اى تلك الحبائل
اليه المكر منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه وقوله والدهاء
بالكسر والمد هو جودة الرأى وفى الكلام استعارات ثلاثة مكنيات
الاولى من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه وصرعوا بين يديه بصيود
مصروعة بين يدى الصياد والثانية من حيث تشبيه البغى بشبكة الصياد
والثالثة من حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما يقتضيه نسبة المد
اليها وحبال الشبكة التى يمدها الصياد حتى يقع فيها الصيد وتخييلة
باثبات المد الملازم للمشبه به وترشيحه بذكر الصرع اللائق بالمشبه

او هو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وما له انكاء

صرعت قومه حبائل بغى مدها المكر منهم والدهاء

فانهم اى فبسبب مكرهم اتيهم من قبله وقوله تختال اى تتبختر بهم راكبوها تيهًا وعجبًا وقوله والخيل اى النفائس وعليها الشجعان وقوله فى الوغى اى الحرب وهو متعلق بقوله خيلاء اى كبر وهو ممدوح فى الحرب لاغاظة العدو والوغى يكتب بالياء لا بالالف قصدت فيهم اى فى ابدانهم القنا اى الرماح جمع قناة اى ارادت الطعن فيهم وهذا على حد قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض وقوله فقوافى اى فبسبب قصدها له كانت قوافى الطعن اى الطعنات المشبهة بقوافى الشعر فى تتابعها وقوله منها حال من الطعن اى حال كون ذلك الطعن منها اى من تلك الرماح وقوله ما شانها اى ما عابها وفى نسخة شانه اى الطعن لانه لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفى الموضوع وقوله الايطاء هو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى فشبه الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر التالية شيئا لم تؤثره المتلوة بايطاء الشعر وهذا معيب لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره كما ان الايطاء المذكور معيب فى المشبه به الذى هو تكرير القافية كما تقدم وأثارت اى رفعت تلك الخيل لما ركضت بارض مكة فى غزوة الفتح حين ازدحمت قرب دخولها وقوله نقعًا اى غبارا اظلم الجوى ولذا قال حتى ظن بالبناء للمفعول ان الغدو اى وقته وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقوله منها اى من اجل تلك الخيول التى اثارت ذلك النقع او من اجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التى اثارته تلك الخيول وقوله عشاء بكسر العين اى وقتها وهو ما اذا غاب الشفق الاحمر وهذا اشارة الى غزوة الفتح وخلاصة شئ من قصتها انه وقع الصلح بالحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش على ترك الحرب عشر سنين وعلى انهم لا يتعرضون لمن دخل فى عقدته ولا يتعرض هو لمن دخل فى عقدهم وكان ممن دخل فى عقده خزاعة وفى عقدهم بنو بكر وكانوا متعادين فخرج بعض بنى بكر وبعض خزاعة فاقتتلوا فانتصرت قريش لبنى بكر حلفا ثم خرج اربعون من خزاعة حلفائه صلى الله عليه وسلم فاتوا اليه المدينة يخبرونه ويستنصرون به فقال لا نصرت ان لم انصركم بما انصر به نفسى فخرج فى عشرة آلاف ثم لحقه فى الطريق الفان وكان خروجه لليلتين خلتا من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية

فانهم من قبله ... تختال ... والخيل فى الوغى خيلاء

قصدت فيهم القنا فقوافى الطعن منها ما شانها الايطاء

وأثارت بارض مكة نقعا ظن ان الغدو منها عشاء

والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران مكان قريب من
مكة امرهم ان يوقدوا عشرة آلاف نار فصعد اهل مكة على الجبال فرأوا
تلك النيران وخافوا خوفا شديدا لانهم عرفوا ان عندها جيوشا كثيرة
لا طاقة لهم بها فارسلوا ابا سفيان جاسوسا ينظر الخبر فجاء فى نفر ثلاثة
فأدركه حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوه ومن معه فاتوا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد وكان العباس
قد خرج الى المدينة فوافاه النبى صلى الله عليه وسلم فى الطريق فاظهر اسلامه
ورجع معه فلما اسلم ابو سفيان قال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان
رجل شريف معظم فى قومه فاجعل له شأنا وفخرا على قومه ليزداد عزه
بك فقال النبى للعباس اجلسه عند حطم الجبل اى عند طرفه حتى ينظر
الى المسلمين وتمر به جنود الله فيقوى اسلامه فجلس به العباس ثم مرت به
القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل واحدة فيبينها له العباس فيقول
ما لى ولها اى لم يقع بينى وبينها حرب وقال هذا فى كتايب غير الانصار
فلما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد
يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فلما مرت كتيبة
المهاجرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها على ناقته القصوى قال
له ابو سفيان ما قاله سعد فقال صلى الله عليه وسلم كذب سعد اليوم
يوم المرحمة وان الله يعز قريشا هذا اليوم فدخل صلى الله عليه وسلم من
اعلا مكة هو ومعظم الجيش وامر خالد بن الوليد فى طائفة قليلة بالدخول
من اسفلها وامره ومن معه ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا فلما دخل
خالد قاتلهم اوباش قريش اى صغارهم وخدمهم فقاتلهم حتى ادخلهم
المسجد من باب الحزوره فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال من دخل
المسجد فهو آمن ومن دخل دار ابى سفيان فهو آمن وهذا هو الفخر
الذى سأله له العباس قبل الدخول ثم لما جاء خالد الى النبى قال له لم
قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدى ما استطعت فقال قضاء الله خير
واذا علمت ان الذى دخل مكة من اعلاها المعظم والاكثر وان القتال
الذى وقع مع خالد فى اسفلها لم يبدأ هو به وانما بدأ به اوباش قريش
علمت ان مكة فتحت صلحا وهو معتمد الشافعى رضى الله عنه فمساكنها وارضها
ملك لاهلها يجوز لهم فيها التصرف بالبيع وغيره خلافا لابى حنيفة

اى كفت وامسكت عنك اى عند ذلك النقع الذى حصل بمكة لما
اجتمعت فيها جنود الاسلام على ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح
الداخلون من اعلاها واسفلها وقوله الحجون بفتح الحاء وهو الجبل
المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة اى ان الفرقة التى كانت بالحجون
وان اثارت فيه من النقع شيئا كثيرا لكنه بالنسبة لما فى مكة قليل
فامسك الحجون عن محاكاة ما بمكة من الغبار وقوله واكدى اى كف
ومنع والمراد بمنعه قلة التراب فيه وقوله عند اعطائه القليل حال من
الفاعل الذى هو كداء مقدم عليه والضمير فى اعطائه لكداء لتقدمه
رتبة وان تأخر لفظا والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء هو
النبى صلى الله عليه وسلم وقوله القليل اى من الناس مفعول الاعطا
الثانى وقوله كداء بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه والا فالكثير
كُدًا بالضم والقصر اى وقل غبار كدا الذى هو اسفل مكة لان الفرقة
الداخلة منه التى اعطاها صلى الله عليه وسلم كانت قليلة فان قلت
هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان
من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من اعلا واسفل
اكثر من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى
له جدوى وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون
والبقية من كدا ووجه اخذه من النظم انه خص اعطاءه القليل بكدا
فدل على ان الكثير دخل من الحجون وعبارة ابن عبد الحق فى بيان معنى
البيت اى كفت عند ذلك النقع اهل الحجون عن القتال وامتنع اهل كدا
عن القتال بعد قتالهم قليلا اهـ   ودهت اى اهلكت تلك الخيول
وقوله اوجها اى من الناس اى اشرافا على انه جمع وجيه ويصح انه
جمع وجه ويكون من التعبير بالجزء عن الكل وقوله بها اى بمكة وهو
الوجوه الذين هلكوا بها هم الذين قاتلوا خالدا فقتلهم وكذا جماعة لم يقاتلوا
لكن كانوا يبالغون فى ايذائه وهجوه فامر بقتلهم وان تعلقوا باستار الكعبة
وعدتهم ستة رجال واربع نسوة وقوله وبيوتا اى واهلكت بيوتا
كان اهل مكة ياوون اليها ويرجعون لاهلها فى الرأى وقوله مل
بالبناء للمفعول اى سئم منها الاكفاء وهو فى الشعر المخالفة بين اواخر
كان يكون بعضه ميما والاخر باء والمراد به هنا الكفاء تلك الوجوه على الناس

لعلها

ودهت اى وجوها بها وبيوتا
مُلّ منها الاكفاء والاقواء

لعلّها تحميها او تجيرها وقوله والاقواء اصله من قولهم منزل قواء والقواء
بفتح القاف والواو والمد القفر اى لا انيس به ثم استعمل فى الشعر مرادا به
ان يختلف حركات الروى وفى كلامه لف ونشر مرتب فالاكفاء راجع للوجوه
والاقواء الذى هو الخلو من الناس راجع للبيوت فدعوا اى فبسبب
ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا بسببه ان النبى مهلكهم عن
آخرهم دعوا محمدا احلم البرية اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم
وان لا يعاقبهم بما مضى منهم من الايذاء فاجابهم الى العفو قائلا لا تثريب
عليكم اليوم وقوله والعفو اى عما سالوه وقوله جواب الحليم من حلم
بالضم اذا ترك الانتقام بحق وقوله والاغضاء اى ارخاء الجفون من الحيا
والمراد به هنا الاعراض عن عقوبتهم وعن تفصيل الامور التى وقعت منهم
ناشدوه بدل من دعوا القربى اى حلفوه ان يصل قرابتهم ويعفو
عنهم او القربى على حذف الجار اى حلفوه بالقرابة التى بينهم وبينه ان يعفو
عنهم وقوله التى من قريش اى التى وصلت اليهم من سائر بطونهم وهم
ولد النضر بن كنانة احد اجداده وقوله قطعتها حال من القربى وقوله
الترات بفوقيتين وكسر الاولى جمع ترة بكسر التاء وهى مصدر وتر كوعد
اى قتل له قتيل ولم يترك دمه فيقال وتر يتر ترة كوعد يعد عدة والجمع
ترات كعدات جمعها عدات وقوله والشحناء اى التباغض والتحاسد
فعفا اى فبسبب تلك المناشدة عفا صلى الله عليه وسلم عنه عفو
قادر لانه كان متمكنا من استئصالهم وقوله لم ينغصه اى لم يكدر
ذلك العفو وقوله بما مضى الباء سببية وفى نسخة فيما مضى وهو اظهر والجار
والمجرور حال من اغراء الواقع فاعلا من اغريت الكلب بالصيد حملته على
اصطياده اى لم يكدر عفوه عنه اغراء سفهائهم وجهالهم فيما مضى حال كونه
منهم حتى بالغوا فى ايذائه بما لا يحتمله مخلوق وسر هذا العفو منه صلى الله
عليه وسلم بعد القطع منه انه ناظر الى الله دون غيره ولذا قال واذا كان نحو
واذا كان القطع والوصل لله كما هو حاله صلى الله عليه وسلم وقوله تساوى
اى عند فاعل ذلك التقريب اى للاقارب والاباعد وقوله والاقصاء اى
للاقارب والاباعد فلم يميز بين قريب ولا اجنبى بل من اجاب الدعوة قربه
ولو كان اجنبيا ومن ابى ابعده ولو كان قريبا وسواء مبتدا خبره الملام
والاطراء او بالعكس وقوله فيما اتاه وقوله من سواه حالان من الملام والاطراء

فدعوا احلم البرية والعفـ ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما اتاه من سواه الملام والاطراء

وسَواء بفتح السين والمد بمعنى مستوٍ وقوله عليه اى على الشخص الذى
تقربه واقصاؤه لله لا غير واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله
عليه وسلم وقوله الملام اى بالسب والتنقيص وقوله والاطراء اى
المبالغة فى المدح اى سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين
فيما اتاه من غيره من خير وشر اى استوى عنده مدح الغير وذمه
ولو ان انتقامه اى غضبه واستيفاء مقتضياه وقوله
لهوى النفس اى الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب
التميز عليه بما يقهره ويذله وقوله قطيعة اى للرحم وقوله وجفاء
اى ابعاد للاقارب ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله فقطعهم حيث
قطعوا ما امر الله ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل
اصحابه والتمثيل بهم وغير ذلك حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتنا
نواهيه قام لله اى لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم او صديق
وفى نسخة بالله اى مستعينا به وقوله فارضى الله الفاء سببية وقوله
منهم متعلق بارضى او حال من فاعله وهو تباين اى لاعداء الله وقوله
ووفاء اى لاولياء الله من غير تعويل على حظ سوى رضى الله
فعله كله جميل اى لصدوره على قوانين الاعتدال وموازين الكمال وقوله
وهل ينضح استفهام انكارى اى وما يسيل على ظاهره مما فيه وقوله
الا بما حواه هذا الضمير عائد على الاناء الواقع فاعلا اى وما ينضح الاناء
الا بما حواه اى الا بما فيه فمن امتلأ قلبه ضرا كانت افعاله المشبهة بما
ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا
وليس احد متحليا بمعالى هذه الصفات الباهرة كنبينا وهذا تلميح الى المثل
السائر وهو وكل اناء بالذى فيه ينضح اطرب السامعين اى
اسرهم وافرحهم ونشطهم الى محبته ذكر علاه لانهم يجدون لذلك راحة
تفوق راحة الخمر وقوله يا لراح يا حرف استغاثة ولذا فتحت اللام فى المستغاث
وهو قوله لراح والمراد به الخمر سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح
من هموم الدنيا والآخرة ما دام سكرانا بها وقوله مالت اى سكرت
وتواجدت بها اى بذلك الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى
وقوله الندماء اى شراب الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اى يتخاطبو
عليها بالاشعار التى فيها مدحها وغير ذلك وفى هذا استعارة تصريحية

ولو ان استقامة لهوى النفس / وجفاء قطيعة لهم

قام لله فيهم فارضى الا / له منهم تباين ووفاء

فعله كله جميل وهل ين / ضح الا بما حواه الاناء

اطرب السامعين ذكر علاه / يا لراح مالت بها الندماء

لانه تشبيه ذكر علاه في اطرابه لسامعه بالراح في اطرابها لشاربها ثم قرن
بذلك ما يلائم المستعار منه وهو الميل والندماء فيكون ترشيحا
النبي الامي اي هذا الموصوف بهذه المعالي الذي اطرب السامعين ذكر علاه
النبي الامي نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كانه على اصل
ولادة امه او مثلها اذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقوله اعلم من اسند
عنه الرواة اي اعلم الانبياء والمرسلين الذين اسندا اي روى عنهم الرواة
والحكماء اي العلماء الذين يضعون كل شيء في محله فهو من عطف الاخص
على الاعم وعدتني لما قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم
واحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته
ودار هجرته لانهما تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتاكدها
فقال كانيا عن منة الله عليه باشارته الى انه تعالى هيأ له اسباب تلك
الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى
كانها تخاطبه وتقول اركب على ظهري فاني احملك ذهابا وايابا مع السلامة
والراحة فقال وعدتني ازديار اي النبي صلى الله عليه وسلم اي زيارته
اي بزيارته فهو منصوب على نزع الخافض والازديار افتعال من الزيارة
وابدال الدال من التاء في نحو ذلك مطرد وقوله العام اي في هذا العام
وقوله وجناء اي ناقة قوية من الوجن وهي الارض الصلبة وقوله
ومنت اي انعمت بوعدها اي موعودها وقوله الوجناء اي المذكورة
وهذا كما علم مما وطئت به اولا كناية منه عن نيته الزيارة في تلك السنة
واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما
تقرر علم ان ال في الوجناء للعهد الذكري افلا انطوي الهمزة
داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بالفاء اي ايليق بي ان اترك تلك
الزيارة او اتباطى عنها فلا انطوي اي احسن ضم نفسي على تلك الراحلة
التي منت علي بما ذكر وقوله لها اي لاجلها اي ليسهل سيرها فان
حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه وقوله في اقتضائيه
في سببية اي بسبب اقتضائي اي طلبي منها ذلك الموعود به فالمصدر
مضاف لفاعله وهو ياء المتكلم والهاء مفعوله وقوله لتطوي
بالبناء للفاعل وللمفعول والاول اولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف
الثاني وقوله ما بيننا اي المسافة البعيدة التي بيننا اي بيني وبين ذلك

ذكر علاه
النبي الامي اعلم من اسـ
ند عنه الرواة والحكماء

وعدتني ازدياره العام وجنا
ء ومنت بوعدها الوجناء

افلا انطوي لها في اقتضائيـ
ـه لتطوي ما بيننا الافلاء
٥

القبر المكرم فما مفعول والافلاء فاعل والافلاء جمع فلاء وفلاء جمع فلاة فالافلاء الذى فى النظم جمع الجمع والفلاة المكان القفر والمفازة التى لاماء فيها ولا يلزم على بناء الفعل المذكور للفاعل وان الافلاء جمع اتحاد الفاعل وهو الافلاء والمفعول الذى هو المسافة البعيدة وذلك لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر فى تلك المسافة المطوية من حيث كونها مفعولا الى كونها سيرا بعيدا ومن حيث كونها فاعلا الى انها امكنة مقفرة ولا شك ان السير غير محاله هكذا قرر الشارح فصح المغايرة بين الفاعل والمفعول لكن المعنى عليه لا يستقيم اذ حاصله ان تلك المسافة من حيث كونها امكنة مقفرة تطوى نفسها من حيث السير الحال فيها اى تطوى السير الحال فيها ولا يخفى ان المناسب العكس بأن تجعل تلك المسافة من حيث السير الذى فيها طاوية لها من حيث انها امكنة مقفرة فان السير هو الذى يطوى المسافة وليست هى تطويه فتأمل فالأولى بل المتعين بناؤه للمفعول وزيادة ما والمعنى عليه لتطوى الافلاء حال كونها بيننا والفاعل المحذوف السير او الراحلة المذكورة فتأمل بالوف اى براحلة الوف صيغة مبالغة من الف كعلم وهذا الجار متعلق بتطوى وكان القياس الاضمار بان يقول بها لكنه عدل الى الظاهر لاجل التوصل الى وصفها بهذا الوصف المادح لها وقوله البطحاء اى المعهودة ذهنا وهى مكة وتوابعها والابطح والبطحاء مسيل الماء بين الجبال اذا كان فيه دقاق الحصى وهذا الوصف وما بعده من صفات الراحلة انما هو لراكبها ابرزه على لسان حالها مبالغة فى ان ما به من تلك الاوصاف ما لو كان براحلته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهده من حاله وقوله يجفلها بضم اوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه اى يزعجها ويقلقها النيل اى ارض مصر اى تجفل عن الاقامة بها مع انها وطنها وربما الشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وقوله وقد شفها اى والحال انه قد شف اى شرب رطوبة جوفها او انحل جوفها الاظماء بكسر الهمزة اى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما املته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام

انكرت مصر اى فلا تميل الفها بالسير والبطحاء انكرت مصر اى نفرت منها لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية مغشار





ما املته فى تلك الحضرة النبوية وقوله فهى تنفر اى فبسبب هذا الانكار
المسبب عن ذلك الامل تنفر بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب من
مصر الى تلك الحضرة العلية وقوله ما لاح ما مصدرية ظرفية اى
ظهر من ارض مصر بناء لعينها وقوله او خلاء اى فضاء ولا ينافى هذا
قوله بالوف التبطاء لان المعنى انها تألفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها
فكلما قطعت فضاء ومفازة نفرت منها وكرهتها خوفا ان تقيم فيها
فتتعطل فيها عن وصول مطلوبها والحاصل انها تألفها قبل قطعها
لتقطعها وتكرهها بعد قطعها خوف الاقامة فيها   فافضت بتشديد
الضاد المفتوحة من الفضيض وهو الماء العذب او السائل اى فاضت
وكثرت وسالت على مباركها اى المواضع التى تبرك فيها تلك الناقة وقوله
بركتها بضم الباء الموحدة هى اول منزلة من منازل الحاج يجتمع فيه الحجاج
ليتهيئوا للسفر سميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكان
قبل ذلك فضاء صرفا فعمر فيها القطب الربانى المتبولى رضى الله عنه فى نحو سبعين سنة
سامعا ثم جعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم وهذا شروع فى ذكر دور الحاج
ومنازلهم وذكر هنا ثمانية وعشرين وقوله فالبويب كلام مستقل غير معطوف على
ما قبله وهو مبتدا خبره محذوف اى فبعد البركة البويب والحامل على هذا ان العطف
يقتضى ان العامل الذى هو افضت مسلط على المعطوف فيقتضى ان فى البويب ماء يفيض
على مباركها مع انه ليس كذلك لانه مكان اقفر لا ماء به وكانه اراد بالبويب
المكان المعروف الآن بالدار الحمراء لا المعروف الآن بالبويبات لان
هذا قريب من البركة وليس من منازل الحج كما هو ظاهر وقوله فالخضراء
هى المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بئر ماء مر ومنهل بجانبه بركة اى فسقية
تملأ من ذلك البئر ومؤنتها على بيت المال   فالقباب اى الوادى
المسمى بواد القباب وهو المعروف الآن بواد التيه وفيه كيمان رمل كثيرة
فشبهت لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسنة وقوله فنبر
النخل هو المعروف الآن بنخل وفيه بركة ماء ايضا وماؤها احسن من التى
قبلها بكثير ولذا قال والركب قائلون عند ذلك الماء اى مستريحون
ونازلون وقت القيلولة وقوله رواء اى من الماء بكسر اوله جمع ريان
وغدت ايلة اى عقبتها وترك منزلة بل منزلتين وهما العلايا
وسطح العقبة وقوله وحقل بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة

فافضت على مباركها
بركتها فالبويب فالخضرا

فالقباب التى تلوح فنبر الـ
نخل والركب قائلون رواء

وغدت ايلة وحقل فقبر الـ
[illegible]

تسميه العامة دوار حمص وليس هذا من المنازل لانه بجنب العقبة وقوله
وقر بضم القاف والراء المشددة وهذا الاسم غير معروف الآن ولعله
اراد به المكان المسمى بظهر الحمار وقوله خلفها اى الناقة اى لكونها جاوزتها
وقوله فالمفازة الفيحاء اى الواسعة كأنه اراد بها المحل المعروف الآن
بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبى عليه الصلاة والسلام وعلى هذا يكون
ترك منزلة وهى الشرفة وامر العطار   فعيون الاقصاب سمى
المكان بذلك لكثرة ما فيه من القصب الفارسى اى البوص والغاب
وقوله يتبعها النبك بفتح النون وسكون الباء وهذا ايض ليس مشهورا
الآن ولعله اراد به المكان المسمى بنبط وفى القاموس النبك بالنون
فالموحدة بلد بين حمص ودمشق وقوله ويتلو كفافة فاعل والمفعول
محذوف اى ويتلو النبك كفافة وهذه المنزلة معروفة الآن بسلمى
وكفافة وبها قبر ولى يسمى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرة مشهورة
بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد وقوله العوجاء
اى المنحرفة عن جادة الطريق   حاورتها بالحاء المهملة من المحاورة
وهى المكالمة والمحادثة اى تحدثت معها اى مع تلك الناقة الحوراء
بفتح الحاء اى المكان المعروف عند الناس بالحوراء بضم الحاء اى
تحدثت مع الناقة فى شأن ما هى بصدده وهو الزيارة لان من احب
شيئا اكثر من ذكره وقوله شوقا اى منها اى من الحوراء لما اشتاقت
اليه الناقة وهو التملى لتلك الحضرة وقوله فينبوع اى حاورها ايض
شوقا وهو المحل المشهور الآن بينبع وقوله فرق اى فبسبب تلك
المحاورة والمحادثة مع الناقة رق الينبوع والحوراء المذكوران اى حالا
وحنا للزيارة ومشاهدة مقصد الناقة   لاح اى ظهر بالدهنو
اى فيهما تثنية دهنا والموجود الآن محل واحد يسمى بالدهناء فلعل
التثنية لاحظ فيها ان بجنب الدهناء مكانا آخر فغلب اسمها عليه وثناها
وقوله بدر هو المكان المشهور الذى فيه الوقعة المشهورة وفى ذكره
تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير مراد وهو القمر وقوله لها
اى لتلك الناقة وقوله بعد حنين وفى نسخة قبل حنين وحنين هذا
جبل صغير قريب بدر لا حنين المذكور فى القرآن اذ ذاك مكان بين مكة
والطائف ليس بطريق الحاج وقوله وحنت اى لتلك الناقة

وما

ومَا هي فيه مِنَ المسير والمتوجّه لديار الاحباب الصفراء هي قرية معروفة
منحرفة عن طريق اهل مصر في الذهاب الى مكة لا يمرّون عليها الا بعد
رجوعهم من مكة وتوجههم للمدينة المشرفة وفي بدر آية باقية من آياته
صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب في الجو
اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح ببدر
وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هي اصوات الريح تسمع في ذلك
الوادي عند قوة هبوبها حقيقة لان في اوله جبلين عظيمين من الرمل
فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح يسمع ذلك الصوت وقال
آخرون بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا فيه حتى سمعناه
والجو ساكن لا ريح فيه البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اهـ واقول
وقع لي ايضا سماعه مرات متعددة في سفرات متعددة حيث لا ريح
ولا حركة ركاب ولا مشاة ولقد كنت في بعضها مرافقا لجمع من
وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والشافعية والحنفية
فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع
الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقي الى اعلى احد الجبلين ليحاط
بسبب ذلك الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع
شيئا وقد هدأ الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففي آخر الامر
سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا فمن المنكرين
من رجع عن انكاره ومنهم من اصر عليه وجاءنا رجل فقيه ساكن
ببدر يؤذن ويؤم بمسجدها فسألناه عن ذلك فحلف انهم ليلة الاثنين
والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الى آخره وفي غيرهما لا يسمعونه
الا احيانا والله اعلم بحقيقة ذلك   ونضت بفتح النون والضاد
المخففة اي خلعت وازالت بزوة بفتح الباء وسكون الزاي وفتح الواو
وهي المتسع من الارض ولعل هذا هو المشهور الآن عند الحجاج بالقاع
وقوله والجحفة محل بعد رابغ قريب منها كان بلدة مشهورة تسكنها
اليهود فدعى صلى الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فانتقلت
اليها وخرجت من المدينة في صورة امرأة عجوز سوداء ثائرة الشعر وهي
تصيح وتقول يا ويلاه فقدم بعض الصحابة من سفر فقال له صلى الله عليه
وسلم ما رايت في طريقك قال رايت امرأة سوداء ثائرة الشعر تنادي بالويل

والثبور فقال صلى الله عليه وسلم تلك الحمى نقلها الله الى الجحفة فنزلت فى اليهود
فقطعتهم وقوله عنها اى عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقرب المقصد
وقوله ما حاكه مفعول نضت اى ثوب التعب الذى حاكه اى نسجه
الانضاء اى الهزال اى ان تلك الاماكن الثلاثة ازالت عن تلك الناقة
اثر التعب والنصب لفرحها بقرب المقصد فجبر فرحها اثر تعبها السابق
وفى الكلام استعارة مصرحة حيث شبه اثر الهزال وهو استرخاء المفا صح
والتعب بثوب وعبر عن ذلك الثوب بها فالاستعارة فى لفظ ما الواقعة
على الثوب فهذا على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فالمشبه امر معنوى
والمشبه به امر حسى وارتها اى ابصرت تلك الناقة الخلاص من
التعب اى صيرتها وجعلتها تبصر الخلاص من التعب فالها مفعول
اول والخلاص مفعول ثان وبئر على وما عطف عليه فاعل اى ان هذه
الاماكن الثلاثة جعلت تلك الناقة مبصرة لخلاصها من التعب لانها
قريبة من المقصد جدا ولعل المراد ببئر على البئر المشهور الآن فى عسفان
ببئر التفلة وقوله فعقاب السويق هذا المكان غير معروف الآن
بهذا الاسم وقوله فالخلصاء بفتح الخاء وسكون اللام المحل المشهور
الآن بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة كبيرة فهى اى تلك الناقة
وقوله وعسفان بضم العين المكان المشهور وقوله او من بطن مر
اى او من علف بطن مر او من حشيش بطن مر وهذا التقدير انسب
من تقدير الشارح الماء لانه لا يناسب قوله خمصاء وهو بفتح الميم وكسر الراء
المشددة المنونة ويسمى مر الظهران مكان قريب من مكة وقوله ظمآنة
اى عطشانة وقوله خمصاء اى جوعانة لشدة فرحها وشوقها
فاشتغلت بهما عن الاكل والشرب حتى حصل لها الظمأ والجوع وهى
لا تدرى عن نفسها لاشتغالها بلذة الوصول قرب الزاهر مكان
مشهور قبيل ذى طوى فى داخل الحرم وقوله المساجد اى المحل
المعروف بمساجد عائشة بالتنعيم على طرف الحرم وقوله منها اى
من الناقة اى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة
بينهما نحو ميلين وقوله بخطاها اى بسبب شدة جريها لما احست
بالوصول وقوله فالبطء منها اى الحاصل منها وقوله وخاء بمهملة
قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان مراده انها لما احست بالوصول انقلب

وارتها الخلاص بئر على فعقاب السويق فالخلصاء

فهى من عسفان او من بطن مر ظمآنة خمصاء



بطوها

بُطوءها سُرعة بمعنى ان بُطوءها زال وخلفته سرعة شديدة   هذه
اى المنازل المذكورات وهى ثمانية وعشرون فى كلامه وقوله عدة المنازل
اى بين مصر ومكة اى المنازل المعول عليها والنافعة لنا لان بها تعلم طريق
الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينشط بتبيانها القاصد
وقوله لا ما عُدّ فيه اى لا المنازل التى عُدّ فيها السماك والعواء اى لا منازل
القمر الثمانية والعشرون وقوله عُدّ فيه الضمير راجع لما التى هى عبارة عن
منازل القمر الثمانية والعشرين فتذكيره باعتبار لفظ ما وقوله السماك
بكسر السين المشددة والمراد به الاعزل اذ هو الذى من منازل القمر ولهم سماك
آخر يسمى سماك الرامح لكنه ليس من المنازل وقوله والعواء بفتح العين
والواو المشددة وهى منزلة من منازل القمر وتلك المنزلة خمسة انجم والمعنى
انه لا يعتد ولا يعتبر ولا يعول على هذه المنازل التى للقمر وانما المعتبر والمعول
عليه هو منازل الحاج الى مكة   فكأنى بها اى حال كونى بها اى على تلك
الناقة فالباء بمعنى على وقوله ارحل بالبناء للمفعول اى انقل واحول
من مكة الى عرفة الى مزدلفة الى منى وقوله شمسا حال من الهاء اى حال
كون تلك الناقة شمسا اى كالشمس فى رفعتها اى رفعة مقصدها وفى قوة
سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيه الناقة بالشمس على سبيل
الاستعارة التصريحية وقوله سماؤها اى سماء تلك الشمس التى
اريد بها الناقة البيداء اى المفازة الواسعة فشبه البيداء التى هى محل سير
الناقة بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة فقوله سماؤها البيداء
من التشبيه البليغ اى البيداء بالنسبة اليها كالسماء   موضع
البيت لما ذكر مكة استطرد ذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال
موضع البيت اى الكعبة بالجر بدل من مكة او بالرفع خبر مبتدأ محذوف
وقوله مهبط الوحى فيه الوجهان المذكوران اى محل نزوله على رسوله
ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به
النبى من ربه على لسان الملك او بالالهام او فى النوم او بالالقاء فى الروع
بضم الراء اى القلب وقوله مأوى الرسل اى منزلهم من أوى فلان
بالقصر الى منزله واما آوى بالمد فهو بمعنى دخل وليس مرادا هنا وقوله
الرسل بل وسائر الانبياء وقوله حيث الانوار حيث ظرف مكان والانوار
مبتدأ خبره محذوف اى حيث الانوار الالهية متنزلة نزو وقوله حيث البهاء

هذه عدة المنازل لا ما عُدّ فيه السماك والعواء

فكأنى بها ارحل من مكة شمسا سماؤها البيداء

موضع البيت مهبط الوحى مأوى الرسل حيث الانوار حيث البهاء

اى الحسن المعنوى حاصل والمراد به حصول ملأ نور النفس من الحكم
والمعارف على اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حيث
فرض الطواف اى حاصل وانما يكون فرضا اذا كان فى ضمن حج او عمرة
اما بدونهما فهو مندوب وهو افضل اركان الحج عند الرملى وعند
ابن حجر افضلها الوقوف وقوله السعى بالرفع عطف على فرض
وكذا يقال فيما بعده ويقدر لكل ما يناسبه اى وحيث السعى اى حيث
فرضه وقوله والحلق كذلك وقوله ورمى الجمار اى وحيث رمى
الجمار اى اجابه لا على جهة الركنية وقوله وحيث الاهداء اى سوق
الهدى الى مكة اى حيث هو مندوب فهو سنة مؤكدة ولو لغير الحاج
والمعتمر وقد كانت هذه السنة مشهورة فى زمن السلف ثم تناساها
الناس واعرضوا عنها بالكلية حبذا حبذا تاكيد لفظى وقوله
معاهد جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما
وهذه المواضع كذلك لان من فارقها يعود اليها بالفعل تارة وبالعزم
اخرى وقوله منها اى من مكة اى حبذا معاهد امتازت على بقية
مكة كالمسجد ودار خديجة والصفا والمروة وغير ذلك وقوله آياتهن
اى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهن
على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن وقوله البلاء بفتح الباء
الموحدة وهو فى الاصل محاق الشهر وذهابه اللازم له طول المدة وهو
المراد هنا اى طول المدة الذى من شانه ان يغير الاشياء عما هى عليه
وذلك لان الله صانها عن التغير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر
لهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر حرم اى محترم بحرمة الله تعالى
من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وهو خبر مبتدأ
محذوف او بدل من موضع البيت بدل كل من بعض وهذا القسم اختار
السيوطى فى الاتقان وفى الهمع ثبوته مخالفا لجمهور النحاة وحدود الحرم
معروفة فى كتب المناسك وقوله آمن اى يامن من فيه من شن الغارة
واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل ابيه فيه فلا يتعرض له
ولم تعد فيه دابة على دابة وهذا فى الجاهلية واما فى الاسلام فالمراد
امن صيوده وشجره ونباته ولقطته وترابه من ان يتعرض احد اليها بقتل
او قلع او قطع او تملك او نقل الا ما استثنى وقوله وبيت حرام

حيث فرض الطواف والسعى والحلق ورمى الجمار والاهداء
حبذا حبذا معاهد منها لم يغير آياتهن البلاء
حرم آمن وبيت حرام ومقام فيه المقام تلاء

اى

اى ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وقوله ومقام بفتح الميم وهو الحجر الذى
نزل لابرهيم الخليل من الجنة ليقوم عليها اى ليقف عليه عند بنائه
الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى ان يضع الحجر فى محله ثم يقصر به
الى ان يتناول الحجر من اسمعيل وفيه اثر قدميه الكريمتين وهو الذى نادى
عليه لما فرغ من بناء الكعبة ايها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه
فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فاجابوه لبيك
وفى رواية انه نادى على الحجون ولا تنافى لاحتمال انه نادى مرتين
واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن
النبى صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر الى موضعه
اليوم باجتهاد منه قولان اصحهما الاول واما القول بانه هو الحجر الذى
وضع عليه رجليه لما اغتسل عند زوجة اسمعيل بعد موت هاجر فهو
قول غريب لم يثبت وقوله فيها اى البيت او الحرم ولا يصح عوده للمقام
لانه ليس محل اقامة وقوله المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى
الاقامة وقوله تلذ بفتح الفوقية اى جوار المحل تنزل الرحمات
واقالة العثرات وكانه اخذ هذا من ان اهل مكة يسمون جيران الله
اى جيران بيته وحرمه   فقضينا اى ادينا اذ القضاء يطلق
على الاداء لغة وقوله بها اى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة
ومنى وقوله مناسك جمع منسك بفتح السين من النسك وهو
العبادة اى اركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما وقوله لا يحمد
اى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد
تميزت بر الحج المتكفل بالجنة من غير عمل آخر وبخروج فاعله من الذنوب
كيوم ولدته امه وبكونه اشعث اغبر وبمنعه من مالوفاته الحسية
والمعنوية وفراقه لاهله ووطنه وتكبد متاعبه على ما فيه من الخلاف
وبكونه لا يضع قدما ولا يرفعها الا كتب الله له من الثواب ما لا يحيط به
الا المتفضل به وبقوله مخصوصا يندفع ما يرد على الناظم من ان غير
الحج سواء كان افضل منه او مساويا له او مفضولا عنه يحمد فاعله ايضا
وعبارة ابن عبد الحق اى لا يحمد الاداء الا فى فعلهن لا فى تركهن فالضمير
اضافى   ورمينا بها اى الناقة وقوله الفجاج جمع فج بفتح الفاء وتشديد الجيم
وهو الطريق اى ارسلناها فى الطرق تسير بنا الى طيبة المدينة المشرفة

فقضينا بها مناسك لا يحـ
ـمد الا فى فعلهن القضاء

ورمينا بها الفجاج الى طيـ
ـبة والسير بالمطايا رخاء

وَلها اسماء كثيرة وقوله بالمطايا جمع مطية وهى الدابة سميت بذلك
لانها تمطو اى تجد فى سيرها وقوله رماء بكسر الراء مصدر راميته
والمراد اصل الفعل اى يشبه سيرها سير السهم اذا رمى به فى السرعة
فاصبنا اى فبسبب أن سيرها يشبه سير السهم اشبهت
القوس وحينئذ فاصبنا من قوسها غرض القرب اى المدينة المشرفة
المشبهة بالغرض فى كونه المقصود بالرمى كما انها المقصودة بالسير
والاضافة فى قوسها من اضافة المشبه للمشبه به وقوله ونعم الخبية
بالخاء المعجمة والهمز اى الذخيرة والمراد بها الناقة وقوله الكوماء
اى العظيمة السنام وهذا هو المخصوص بالمدح واعرابه مشهور
فرأينا اى ابصرنا ارض الحبيب المدينة وما حولها التى تشرفت بالحبيب
اى حبيب رب العالمين وحبيب المؤمنين وقوله يغض بضم الغين
اى يخفض وقوله الطرف مفعول به وقوله منها اى من تلك الارض
ومن تعليلية اى من اجل الجلالة التى حفتها وقوله الضياء فاعل
اى النور الحسى والمعنوى وقوله واللألاء اى البرق اللامع على
صفحاتها المشار به الى مواهب الحق الفائضة على الزائرين فكأن
البيداء اى من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور
بابيار على وقوله من حيث ما اين زائدة وكذلك ما وقوله قابلت
العين اى الناظر اليها وقوله غناء بفتح الغين والنون المشدد اى
كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار وكأن البقاع اى الاماكن
اللاتى حول المدينة المنورة وقوله ذرت عليها اى على تلك البقاع
وقوله طرفيها مفعول وهذا الضمير عائد على الفاعل وهو قوله ملاءة
بضم اوله والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط
بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة ولا تنافى
لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين وبهذا يعلم ان الثوبين
الملفوفين اى المضموم واحد منهما الى الاخر بخياطة ملاتان لا ملاءة واحدة
وقوله حمراء شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع
وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها ازرارها فى مرآها
من سائر الجوانب فالمراد بالملاءة هنا الخيمة اذ هى التى تشد وتنصب عادة
وكأن الارجاء اى نواحى المدينة وقوله تنشر اى تذيع وقوله

نشر

فأصبنا من قوسها غرض القرب ونعم الخبية الكوماء

فرأينا ارض الحبيب يغض الطرف منها الضياء واللألاء

فكأن البيداء من حيث ما قابلت العين روضة غناء

وكأن البقاع ذرت عليها طرفيها ملاءة حمراء

وكأن الارجاء تنشر نشر المسك فيها ...

نشر المسك اى ريحه وقوله فيها اى فى تلك الارجاء وقوله الجنوب وهى
الريح التى تقابل الشمال وقوله والجربياء بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس
الشمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهذه
هى المرادة هنا   فاذا شمت بكسر الشين المعجمة اى ابصرت ونظرت
الى سحائب البرق التى تمطر فى تلك البقاع وقوله او شممت من الشم
اى ادركت بحاسة وهى الانف وفى القاموس شممته بالكسر اشمه بالفتح
وشممته اشمه بالضم وقوله ربا ما جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع
من الارض وقوله لاح اى ظهر منها اى من تلك البقاع برق وهذا راجع
لشمت ٣ فهو لف ونشر مرتب وكباء بوزن كساء فهو بكسر الكاف وفتح الباء
وهو عود البخور او ريحه من كبت بالتشديد ثوبه اى بخره   اى نور
مفعول مقدم لشهدنا وهو بضم النون وقوله واى نور بفتح النون اى
زهر وقوله شهدنا اى رأينا بابصارنا وبصائرنا وقوله يوم ظرف
لشهدنا وقوله القباب بكسر القاف جمع قبة اى التى هناك وقوله
قباء بضم القاف وهو المحل المشهور وفيه المسجد الذى اسس على التقوى
بينه وبين المدينة ثلاثة اميال   فمنها دمعى اى كثر وانهمل حسرة
على ما مضى لى من عدم الاجتماع بتلك الحضرة وفرحا بوصولى اليه والضمير
فى منها راجع للربا او لارض الحبيب وهذا من اجل ما شهدته من تلك الربا
او من تلك الارض وقوله وفراى ذهب اصطبارى لا سيما بعد ان
وصلت هذه الربا ولاحت رحلى بقبا وقوله جفاء بضم الجيم اى زبد
فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد فى اسرع وقت فكذلك دموعى تذهب
بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ ففى الكلام لف ونشر مرتب فقوله فدموعى
سيل راجع لقربا القاف وقوله وصبرى جفاء راجع لفربا الفاء
فترى الركب اى فبسبب ما ذكر ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء
الصبر ترى ايها المخاطب الركب طائرين اى جادين فى السير ما تيسر
لدوابهم يستخرجوا منها اقصى ما يمكنها من الاسراع وقوله من الشوق
اى من اجله وقوله المطية بالصرف للوزن فكيف بشوقهم الى المقصود
عليه افضل الصلاة والسلام وقوله لم ضوضا بفتح الضادين بينهما
واو ساكنة اى اصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة
القاموس الضوضا مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة فى المهموزة   فكان

عطف على فترى وقوله البأساء اى شدة الشعر ومشقته وقوله
خلقا بفتح الخاء اى جسما وقوله وقلا الضراء تاكيد لما قبله وكيف يتهم
هى من ذلك وكل نفس الخ كل نفس اى من الزائرين وقوله منها
ابتهالا اى تضرع الى الله فى ان يقبل عثراتها وقوله وسؤلا اى توسلا
باحب خلقه اليه وقوله ودعاء بمعنى سؤل فهو اطناب وقوله ورغبة
اى فيما عند الله من جزيل الثواب وقوله وابتغاء اى طلبا لما عنده تعالى
وهنا اطناب ايضا وزفير معطوف على ابتهال وهو تواتر النفس
بفتحتين اى تتابع حركته وصعوده الى اعلا الصدر لشدة ما يعترى
القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وقوله تظن اى ايها المخاطب
وقوله منه من تعليلية اى من اجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع
له صوت فى الصدر وقوله صدورا مفعول اول وقوله صادحات
مفعول ثان وهو نعت لمحذوف اى طيورا صادحات اى مصوتات وقوله
زقاء بضم الزاى وبالقاف اى صوت عال والحاصل ان ذلك الزفير
من شدته ظهر له فى صدورهم صوت اشبه صوت الطيور الصادحات
اللاتى يعتادهن التصويت بشدة وبكاء يغريه بالعين المعجمة
وقوله بالعين هى الباصرة اى يحمله على ملازمته لها وقوله مد اى سيل
من الدموع نشأ من حرقة القلب لفراق المحبوب وخشية قطيعته وقوله
ونحيب بفتح النون وكسر الحاء المهملة وهو رفع الصوت بالبكاء وقوله
يحثه اى يحضه ويزيد فيه ويحمل على دوامه وقوله استعلاء اى علو
الصوت وتتابعه بالبكاء وجسوم كأنما رحضتها اى غسلتها ولذا
سمى المغتسل مرحاضا وقوله من عظيم المهابة اى الجلالة التى استولت
على قلوبهم وقوله الرحضاء بضم ففتح اى العرق الكثير من اثر الحمى
اى جسومهم قام بها من عظيم المهابة ما ازعجها ازعاجا يتولد عنه كثرة عرقها
حتى كأنه غسلها ووجوه اى تلونت بالوان مختلفة لشدة ما عندهم
من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه وقوله
من حياء اى من اجل الحياء وهو بالمد تغير وانكسار يعترى الانسان
من خوف ما يعاب به وقوله الحرباء هى دويبة مشهورة ذات الوان
متعددة تستقبل الشمس برأسها ودموع اى من شدة البكاء
والحزن وقوله وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم

كل نفس منها ابتهال وسؤل ودعاء ورغبة وابتغاء

وزفير تظن منه صدورا صادحات يزقين زقاء

وبكاء يغريه بالعين مد ونحيب يحثه استعلاء

وجسوم كأنما رحضتها من عظيم المهابة الرحضاء

ووجوه كأنما ألبستها من حياء ألوانها الحرباء

ودموع كأنما وبلتها من جفون سحابة وطفاء

من الخوف الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء
فحططنا اى فبعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم حططنا الرحال جمع رحل
يطلق على مسكن الشخص وعلى ما يستصحبه المسافر من المتاع والزاد والراحلة
والمراد هنا الثانى والمراد انقضاء السفر وانتهاؤه اى نزلنا بفناء كرمه نستمطر
سحائب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والآثام وقوله حيث
اى فى مكان يحط الوزر اى الاثم والمثقل عنا بشفاعته وقوله وترغم
اى عنا بلحظه واسعافه وامداده وقوله الحوجاء لغة فى الحاجة بفناء
النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغنى
عن الاستدلال بالبرهان وقرأنا السلام اكرم خلق الله اى عليه
وقد اقتدى الناظم فى هذا بالسلف فانه جاء السلام عليه عند قبره من
ابن عمر وغيره بل قال البغوى السلام عليه عند قبره افضل من الصلاة عليه
عنده وتوجيه الافضلية بانه شعار اللقاء والتحية فتختص افضليته بحال اللقاء
عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام
وان كان باقيا فى مقام الزيارة ولذلك ذكروا فى آداب الزيارة ان الزائر يبدأ
بالسلام وانه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقوله من حيث اى من
مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذى يسمع منه الاقراء اى السلام وما اقتضاه
كلام الناظم من ان زائره اذا صلى عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا
ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة
يدل عليه احاديث كثيرة وفى فتاوى الرملى ان الانبياء والشهداء والعلماء
لا يبلون وان الانبياء والشهداء يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون
ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون نساءهم ام لا فقيل نعم
وقيل لا ويثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم اه وجزم ابو المواهب الشاذلى
بان الشهداء ينكحون لكن لم ينقل نساءهم ومعنى حج الانبياء مع انهم لا يبارحون
قبورهم ان روحانيتهم تتشكل بصورهم التى كانوا عليها وتحضر تلك المعاهد
واما الذوات فلا تفارق القبور وهذا الجواب من جملة الاجوبة التى
اجيب بها عما ورد فى صلاة الانبياء خلفه ليلة الاسراء واجيب هناك
بجواب آخر وهو ان ذواتهم بارواحها حضرت فى ذلك المكان وهذا الوقت
كرامة وخصوصية له صلى الله عليه وسلم وذهلنا اى غفلنا وغبنا
عن احساسنا عند اللقاء لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال

فحططنا الرحال حيث يحط الـ
وزر عنا وترغم الحوجاء

وقرأنا السلام اكرم خلق الـ
له من حيث يسمع الاقراء

وذهلنا عند اللقاء وكم اذ
هل صبا من حبيبه اللقاء

ونسمات ذلك الجمال وقوله وكم أذهل صبا اى ولا بدع ولا غرابة فى هذا
الذهول اذ كم اذهل صبا هو شديد الصبابة التى هى رقة الشوق وغلبة
استيلائه وقوله من الحبيب اى المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من
شأن هذا اللقاء انه يدهش الصب ويحزن المحب ويغنيهما بما عدا المحبوب
ووجمنا بفتح الجيم اى سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده مادمنا
فى تلك الحضرة فلم يبق فينا متسع له وقوله من المهابة اى من اجل المهابة
اى الاجلال والمخافة وقوله حتى لا كلام الخ اى حتى اجتمع علينا امران
لا يوجد اجتماعهما الا فى نحو هذا المقام وهما لا كلام منا بما نريد ولا ايماء
منا الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق
الاحوال ورجعنا اى الى بلادنا وقوله التفاتات اى كثيرة جدا
وقوله اليه اى الى نبينا بمعنى انها مستحضرة للوقوف بين يديه والاستمداد
منه وقوله وللجسوم جمع جسم اى ابداننا وقوله انثناء اى انعطاف
الى البقاء فى تلك الحضرة على الدوام ان تيسر والا فالى تكرر الزيارة
وسمحنا بفتح الميم اى جدنا وقوله بما نحب اى بالنفيس
الذى لا يجود احد بمثله وهو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى نحب
دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام
بمن فيها تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وايضا
فانا وان كنا بخلاء بهذا الفراق فلنا اسوة بالبخلاء فى ذلك ولذا قال
وقد يسمح الخ وقد تيقنا انه يسمح عند الضرورة التى لا يستطاع معها
الترك البخلاء للاموال وغيرها يا ابا القاسم لما تمم مقصد
زيارته المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة
به ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه
والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به فى الدنيا والآخرة
ويأمن به من كل محنة باطنة وظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه
بقوله الآتى بعد خمسة وخمسين بيتا الامان الامان الخ فقال
يا ابا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز
لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عندنا اى سواء فى زمنه وبعده
لمن اسمه محمد وغيره هكذا قال الشيخ ومعتمد الرملى ان النهى خاص بحياته
صلى الله عليه وسلم واما بعد وفاته فيجوز التكنى بها لمن اسمه محمد وغيره

ومناسبة

ووجمنا من المهابة حتى لا كلام منا ولا ايماء

ورجعنا وللقلوب التفاتات اليه وللجسوم انثناء

وسمحنا بما نحب وقد يسمح عند الضرورة البخلاء

يا ابا القاسم الذى ضمن اقسامى عليه مدح له وثناء

وَمناسبة هذه الكنية له صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه هو الخليفة
الاعظم عن الله في جميع شؤونه لاسيما مقام قسمة الارزاق والعلوم
والمعارف والطاعات ولاجل هذا عدوا من خصايصه انه اعطي مفاتيح
الخزائن اى خزائن اجناس العالم فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه
محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح ويكنى ايضاً بابي ابراهيم وابي
الارامل وابي المؤمنين وقوله الذي ضمن مبتدا خبره مدح له
والجملة صلة الموصول والمعنى ان المدح والثناء كائنان في ضمن هذا
الاقسام من تضمن كذا اشتمل عليه فهذا الاقسام لم يخرج عن مقصوده
من المدح وقوله اقسامي بكسر الهمزة مصدر اقسم اى حلف وقوله
وثناء هو بمعنى المدح فهو مرادف له او اخص منه على القول بان المدح
اعم من الحمد من حيث انه يكون على الاختيارى وغيره والحمد ومثله الثناء
لايكونان الا على الاختيارى بالعلوم اى اقسم عليك بها التشفع
لى بما يؤمنني من كل مكروه بان يعطيني الله الامان منه وكذا يقال في
الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله
ومن ثمة قال الفقهاء اذا قال لغيره اقسم او اقسمت عليك لتفعلن
كذا انه لايكون يمينا الا ان نواه وجعل العلم اول ما اقسم به لان مرتبة
العلم الاعلى منها بل ولامساوى لها وقوله التي عليك اى تنزل
عليك فعليك متعلق بمحذوف وكذا قوله من الله وقوله بلا كاتب
حال من العلوم وقوله لها املاء مبتدا وخبر والجملة حال اخرى من
العلوم اى حال كون الموصل لها اليك املاء اى اقراء من جبريل
ومسير الصبا اى واقسم عليك بما اوتيته ايضا من مسير الصبا وهو
الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وقوله بنصرك
على حذف مضاف اى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب اعدائه
يعنى ان الصبا يحمل الرعب ويوصله الى كل جهة من جهات المدينة
مسيرة شهر والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه فى حياته
لاتزيد مسافته على شهر فلاينافى ان ملك امته يزيد على ذلك بكثير
واحترازا عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان وجد لايصل لهذه المسافة
وهل هذه الخصوصية حاصلة لامته من بعده فيه احتمالان اظهرهما
كما تقضى به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا وقوله رخاء

بالعلوم التي عليك من الله
بلا كاتب لها املاء

ومسير الصبا بنصرك شهرا
فكأن الصبا لديك رخاء

هي الريح اللينة المسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة
نبينا اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سليمان وهذه سخرت لصفة من
صفات نبينا وهي هيبته وايضا تلك انما كانت تسير بعد امر سليمان لها
وهذه تسير بامر ربها من غير توسط امر من نبينا فهذا من تشبيه الاعلى
بالعكس نظير كما صليت على ابراهيم على احد الاجوبة فيه واعلم ان اصول
الرياح اربعة الصبا وهي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة
والدبور تقابلها وهي باردة رطبة والشمال من جهة شمال الكعبة وهي
باردة يابسة والجنوب تقابلها وهي حارة رطبة واخرج ابن جرير وغيره
ان الجنوب من الجنة وفيها منافع للناس فخرجها اولا من الجنة ثم تمر
على النار فتكتسب منها الحرارة والشمال من النار تخرج منها فتمر بالجنة
فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك فخروجها اولا من النار ثم تتكيف
بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان
من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانصباب ومن شأن الثانية ملائمة
النفس وازالة اكدارها وجاء في اثر ان الاربعة مساكنها تحت اجنحة
الكروبيين حملة العرش وجاء في حديث صحيح ان مساكنها تحت الارض
الثانية ولا ينافيه ما تقدم لجواز ان تكون اجنحة الكروبيين تحت الارض
الثانية لما ورد ان اقدامهم تحت الارض السابعة هذا وجاء ان
الارض الثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة
فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر
وفيها ابليس مصفد بالحديد فاذا اراد الله ان يطلقه لمن شاء من
عباده اطلقه وفي الفردوس للديلمي عن ابن عمر ان الرياح
ثمانية اربع عذاب وهي العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر
والعقيم وهما بالبر واربع رحمة وهي الذاريات والمرسلات والمبشرات
والناشرات وعلى اي واقسم عليك ايضا بعلي اي بالمعجزة العظمى
التي وقعت له في غزوة خيبر فالاقسام هنا بالمعجزة لا بنفس علي وان صح
الاقسام به ايضا لان الاقسام به سيأتي في الاقسام بالصحابة حيث
قال وعلى صنو النبي الخ وقوله لما تفلت بعينيه اي حين فتحت بعض
حصون خيبر وبقي اعظمها فتعسر فتحه بابي بكر وعمر وغيرهما فقال لاعطين
الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبحت سألت

وعلى لما تفلت بعينيه
[illegible] صح

فغدا ناظرًا بعيني عقاب
في غزاة لها العقاب لواء

عن علي فاخبروك ان به رمدًا وكان قد اصابه في المدينة وتخلف عن الخروج
بسببه ثم ندم على التخلف فخرج فلحق القوم في اثناء الطريق وقيل بعد وصولهم
الى خيبر فجيء لك به وهم يقودونه فوضعت راسه في حجرك وبصقت في كفك
ودعكت بها عينيه ثم قلت له خذ هذه الراية وامض حتى يفتح الله عليك
فبرأنا لما خالطهما ريقك الذي هو الشفاء الاكبر فغدا ناظرًا اه فغدا
ناظرًا اى فصار ناظرًا فذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل في
حدة الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذي هو سيد الطيور ومن امثال
العرب ابصر من عقاب وعند قتاله ضربه يهودي فطرح ترسه من يده
فاخذ بابًا فترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب
ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وجعل ايضًا باب الحصن على
ظهره حتى صعد المسلمون عليه وبعد ذلك لم يحمله الا اربعون رجلًا
وقوله في غزاة بفتح الغين لغة في غزوة وهي اسم للجيش الذي يخرج معه
صلى الله عليه وسلم بنفسه وهي غزوة خيبر مدينة كبيرة ذات حصون
اى قلاع ثلاثة عشر وذات مزارع كثيرة على ثمانية برد من المدينة الى جهة
الشام وكانت سنة سبع في غزتها وقوله لها العقاب لواء المراد باللواء
الراية وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب السواد
وكانت من برد او مرط لعائشة والعقاب بضم العين طائر جمعه اعقب
وعقبان وكنيته ابو الحجاج وهو يذكر ويؤنث وهو سيد الطيور والنسر
عريفها وهو حاد البصر ومنه ما ياوي في الجبال وما ياوي في الصحارى
وحول المدن وانثاه تبيض ثلاث بيضات في الغالب وتحضنها ثلاثين يومًا
وما عداه من الجوارح يبيض بيضتين وتحضن عشرين يومًا

وريحانتين طيبهما منـ
ـك الذي اودعتهما الزهراء

وريحانتين اى واقسم عليك ايضًا بريحانتين تثنية ريحانة وهي في اللغة
تطلق على الولد لان القلب يتروح به كما تطلق على الريحان المشموم فالمراد
بهما هنا السيد الحسن والسيد الحسين وفي هذه التسمية اقتباس
من قوله صلى الله عليه وسلم ان ابني هذين ريحانتاى من الدنيا وقوله
طيبهما اى الحسي والمعنوي حاصل منك لانهما بضعتان منك مع ما
اختصصتهما به من المزايا والخصوصيات وقوله الذي نعت للريحانتين
بتاويلهما بالمذكور او على لغة من يجيز اشتراك الذي بين المفرد والجمع الجاري
على حد وخضتم كالذي خاضوا وقوله اودعتهما بأتين الزهراء

والفاعل هو النبي صلى الله عليه وسلم والزهرا نائب الفاعل والجملة صلة
الموصول واشار بقوله اودعتهما الى ما هو من خصائصه وهو ان اولاد
بناته ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل
فاطمة مستودعة فهو الذي اودعها تلك الذخيرة لتخرج منها منسوبة
اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض وسميت فاطمة لان الله فطمها ومحبيها
عن النار واخرج الطبراني ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل
ذريتي في صلب علي بن ابي طالب توفي كرم الله وجهه عن ثلاث وستين
سنة ضربه ابن ملجم بفتح الجيم وكسرها في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر
رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح ومات ليلة الاحد
واختلف في موضع قبره لانه اخفي خوفا من ان تنبشه الخوارج وفي
رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فندّ الجمل الذي
حمله فلم يدر اين ذهب فلذا قال اهل العراق انه في السحاب وعن سيدي
علي وفا ان عليا بن ابي طالب رفع الى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل
عيسى قال الشعراوي قلت وبذلك قال سيدي علي الخواص سمعته يقول
ان نوحا عليه السلام ابقى من السفينة لوحا على اسم علي بن ابي طالب رضي
الله عنه رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا من الغرق حتى رفع عليه
كنت تأويهما اي تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما
وجاء من طرق ابناي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما
خير منهما وفي هذا حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل
من اهل البيت نعم مما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبهذا
يوجه قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اي من حيث
تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة
وقوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير
شابين بل بعد مجاوزة الاربعين ولان الجنة ليس فيها شبان لان الوارد
ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابناء ثلاث وثلاثين
وهو سن الكهولة واعدل الاسنان وح فليس في الجنة شبان ولا شيوخ
ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء
من غير استثناء بخلاف من مات كهلا او شيخا فانه قد يسودهما كالخلفا
الاربعة فالحاصل انهما سادا شباب الناس على الاطلاق وغير الشبا

فيه

[illegible]

فيه تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط ومما تقدم من ان الناس في الجنة
يكونون في سن ثلاث وثلاثين سنة مشكل اذ مقتضاه ان من مات
صغيرا يدخل ابن ثلاث وثلاثين وان الشيخ الذي عمره مائة سنة
يدخلها وهو ابن ثلاث وثلاثين وعياب بان المراد ان اهل الجنة كلهم
مستوون في الطول والصفة ومستوون في القوة التي هي قوة ابناء
ثلاث وثلاثين فالشيخ والصغير والشاب كلهم مستوون في هذه الصفة
وهي القوة وبهذا يجاب عن كثير مما يستشكل به في هذا المقام وقوله
كما آوت بالمد ويتعين للوزن وان كان القصر جائزا وقوله من الخط
حال من الفاعل وهو الياء اي كنت انا وهما ايواء كايواء الياء لنقطتيها
حال كونها من جملة حروف الخط وكانه اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري
عن الحسن كان صلى الله عليه وسلم ياخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد
الحسين على فخذه الآخر ويضمنا ثم يقول اللهم ارحمهما فاني ارحمهما
ووجه التخصيص بالياء انها خاتمة الحروف كما انه خاتم الانبياء ولا نظر
الى ان الالف افضل الحروف لانها مادة كل حرف فهي الآخر في الحقيقة
كما انها الاول كذلك وهذا شان نبينا فانه اولهم خلقا وآخرهم وجودا وختما
فعنصره الكريم مندرج ومنبث في جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة
لمن هو في عمود نسبه وبالقوة اخرى بالنسبة لمن ليس في عموده من
شهيدين بيان للريحانتين اما شهادة الحسن وكانت ولادته بالمدينة في
نصف شعبان سنة ثلاث من الهجرة وسببه ان يزيد بن معاوية ارسل
الى زوجته جعدة الكندية انها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم
ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها فابى وفي
سنة موته اقوال والاكثر على انها سنة خمسين وقد وصى اخاه الحسين
وقال له اني كنت طلبت من عائشة ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما اظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا
فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عائشة فقالت نعم وكرامة فمنعهم
مروان لانه كان واليا بالمدينة فدفن بالبقيع الى جنب امه رضي الله عنهما
واما شهادة الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع
وجاء من طرق ان جبريل جاء الى رسول الله فاخبره ان الحسين مقتول
واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله

فصل في بيان [illegible]

يحول دمًا فكان كذلك وشم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال
ريح كربلا فسببها ان يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة
ان يأخذ له البيعة على الحسين ففر الى مكة خوفا على نفسه فارسل اليه
اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويزيل ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس
وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله
ان ذهب فابى وقدم امامه مسلم بن عقيل بن ابي طالب فبايعه من اهل
الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين غير
عالم بذلك فلقيه اوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلا فجمع اليه ابن زياد
عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه فاتوه فحارب ذلك العدد الكثير
ومعه من اهله نيف وثمانون وقتل من اهله خمسون فثبت في ذلك
الموقف ثباتا باهرا حتى فنيت اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم
كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى اثخنوه بالجراح لانه طعن احدى
وثلاثين طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة وغلب عليه العطش
فاحالوا بينه وبين الماء فسقط الى الارض فحزوا راسه يوم الجمعة عاشر
المحرم عام احدى وستين وقيل ان يزيد ارسل الراس ومن بقي من اهل
الحسين الى المدينة فكفن الراس ودفن عند قبر امه في قبة الحسن وقيل
اعيد الى الجثة بكربلاء بعد اربعين يومًا من قتله ثم سلط الله على
ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ثم انتقل الراس في دولة الفاطمية الى مصر
وجعل له مدفن عظيم بقرب الجامع الازهر وقوله ليس ينسيني الطف
وهو ارض بالعراق تسمى كربلا وقيل انه غيرها قريب منها وقبره هنالك
معروف يزار ويتبرك به وقوله مصابيهما اي مجموعهما اي مصاب
الحسين لانه هو الذي قتل بالطف واما الحسن فمات بالمدينة وقوله
ولا كربلاء اي بل كل منهما يذكر في المصاب حتى اني اتصوره في كل ارض
انها هي وظاهر النظم مغايرة الطف لكربلا ما رعى اي لاحظ فيهما
ذمامك بالمعجمة اي حرمتك ايها النبي الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها
والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق
والرعية كشيعة اقاربك وقوله مرؤس اي تابع كجعدة الكندية في الحسن
وابن زياد ومن كان معه في الحسين وقوله وقد خان الواو للحال
وقوله الرؤساء اي المتبوعون الظلمة المتمردون كيزيد فيهما التشبيه

في

ابدلوا الود والحفيظة فى القر
بى وابدت ضبابهم النافقاء

فى قتلهما لكنهما فازا بالشهادة العظمى وهو بلغ الغاية القصوى فى الخسرات
والوبال حتى ذهب ابن حنبل وطائفة الى انه مات كافرا وانه يجوز لعنه
وان كان الجمهور على خلافه وهو انه مات مسلما بلغ من الفسق والتهور
والتجرى على المحارم ما لم يبلغه غيره اصلا   ابدلوا اى هؤلاء المذكورون
من المرؤسين والرؤساء وقوله الود بتثليث الواو اى المودة التى
اوجبها الله عليهم وعلى كل مسلم فى قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الآية فابدلو
ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق امكن حتى ان ابا طاهر القرمطى
بكسر القاف الجبشى قدم مكة يوم التروية بجيوش كثيرة سنة عشر وثلثمائة فنهبت
دورها واموال الحجاج وقتلهم فى المسجد وفى البيت وسباهم حتى بيعت الشريفة
فى عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباهم من اهل البيت
وقتل امير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كسوتها على اصحابه وطرح طائفة
من القتلى فى بئر زمزم ودفن البقية فى المسجد بلا غسل ولا صلاة واقتلع
الحجر الاسود واخذه فكان عنده ووضعه فى مسجد الكوفة ثم من الله برده
فاشتراه بعض الملوك بثلاثين الف دينار ووضعه فى مكانه وقوله
والحفيظة اى وابدلوا الحفيظة اى الحفظ والحمية وقوله فى القربى
اى فى نصر القربى ومحبتهم اى قرابة النبى وهم اهل البيت النبوى يعنى
تركوا هذين واخذوا اضدادهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم وقد
اختلف المفسرون فى القربى فى الآية والذى جاء عن الحسن انهم اهل
البيت وقوله وابدت اى اظهرت ضبابها جمع ضب والمراد بها هنا
اليرابيع لان النافقاء لا تكون الا لها والضمير عائد على الفاعل وهو النافقاء
وهى احدى حجرتى اليربوع يخفيها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهى موضع
يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء رقيقا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة
الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء براسه فانشق وخرج هاربا
منه وفى النظم تشبيه الماكرين بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا
باليربوع فى مكره المذكور فهو استعارة تصريحية   وقست اى
غلظت اى من هؤلاء الفجرة المذكورين وهو حال من قوله قلوب فوصل
اليهما ثم الى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجبة رعايته
عليهم ولم تلن تلك القلوب قط لان الله تعالى اراد بها الشقاء والعذاب
الاليم وقوله على من اى على اولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا والاخرة

وقست منهم قلوب على من
بكت الارض فقدهم والسماء

وقوله بكت الارض الخ هذا ماخوذ من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اى لكفرهم لانه روى ان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض اربعين صباحًا وورد ايضًا ان ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وعن على ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء واذا كان هذا فى مطلق المؤمن فما بالك بآل البيت النبوى

فابكى ايها المخاطب ما استطعت اى مدة دوام استطاعتك تاسيًا بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل فقد ثبت ان كلا منهما بكى على فقد الحسين قبل موته لما اطلع الله نبيه على انه يقتل بكربلا وثبت ايضا انه صلى الله عليه وسلم بكى على الحسين بعد موته فقد روى الترمذى عن ام سلمة انها رأت فى المنام النبى باكيا وبراسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه ابن عباس فى النوم وهو اشعث اغبر وبيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين واصحابه ولم ازل اتتبعه فان قلت امر الناظم بالبكاء ينافى ما جاء فى الحديث فاذا وجبت فلا تبكين باكية قلت ليس المراد بالبكاء المامور به فى النظم حقيقة بل لازمه من التاسف والحزن على ما حصل للدين واهله من استباحة حرم الله واهل بيت رسول الله فحق لكل احد ان يحزن على ذلك ويتاسف عليه ويامر به غيره وقوله ان قليلا اى ان جزاء قليلا اى ان الخير القليل وقوله فى عظيم اى فى مقابلة عظيم من المصاب اى فى مقابلة المصاب العظيم لاسيما مصاب الامة بالحسنين واهل بيتهما وقوله البكاء اى وان كثر وهو رفع الصوت مع الدمع واما البكا بالقصر فهو الدمع فقط والمعنى ان البكاء وان كثر جزاء قليل على هذه المصيبة وانما الجزاء الكثير قتل قاتليهم وادامة نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على اعدائهم وغير ذلك

كل يوم وكل ارض منذ خبره كربلا وعاشوراء على سبيل اللف والنشر المشوش وقوله لكربى اى لاجل ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى ياخذ النفس بحيث يخشى تلفها وقوله منهم اى من اجلهم اى بسبب ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر وغير ذلك والمعنى ازداد بى الكرب حتى ان كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التى قتل

فابكِ ما استطعتَ إنَّ قليلاً في عظيمٍ من المصابِ بكاكا

كلُّ يومٍ وكلُّ أرضٍ لكربي منهمُ كربلا وعاشوراءُ

آل بيت النبي ان فؤادي ليس يسليه عنكم التأساء

غير اني فوضت امري الى الله وتفويضي الامور براء

رب يوم بكربلاء مسيء خففت بعض وزره الزوراء

فيها الحسين وكل يوم اصبح على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكرب قد عم جميع ما اتى من الازمنة والامكنة فلا يفارقني بالانتقال من ارض الى اخرى ولا من زمن الى اخر آل بيت النبي آل اصله اهل اى يا اهل بيت النبي والمراد بهم اهل بيت مسكنه وهن امهات المؤمنين واهل بيت نسبه وهم مؤمنوا بنى هاشم وبنى المطلب وهذا هو المراد فى الاية ايضا وقوله ان فؤادي اى قلبي ليس يسليه عنكم التأساء بفوقية اوله اى ما يحصل له من الشدائد والحزن اى بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزال الماحجة ولا ينقصها شدة وقد اشار الى ان ما عنده من الوفاء بحقهما او التحسر والتحزن لمصابهما مع كونه ملازما له لا يفارقه بسلو ولا تسل انما هو مع تفويضه الامور الى باريها كما قال غير اني الخ

غير انى اى الا انى وهذا استثناء منقطع وقوله فوضت امري اى فى ذلك كله الى الله الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسأل عما يفعل وقوله وتفويضي الامور اى الى من هو مقدرها ومدبرها وموجدها وقوله براء اى تبرؤ من الاعتماد على شيء من الحول والقوة وذلك متعين على كل مسلم ومسلمة قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة رب يوم رب للتقليل وقوله مسيء اى باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه وقوله بعض وزره المراد بوزره ما حصل فيه من الكرب لاهل البيت الذى عظم على النفوس الايمانية حتى كاد يهلكها وقوله الزوراء هى ناحية ببغداد والمراد ما وقع فيها من خلفائها بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت حيث اخذوا ببعض ثار بنى عمهم الحسين وغيره فخرجوا على بنى امية فنزعوا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة وخصوصا السفاح منهم الذى اخرج بنى امية من القبور وحرقهم وذراهم بالهواء وهو اول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلما ولى الخلافة بعد قطيعة بنى امية امر بهشام بن عبد الملك فنبشوا قبره فوجد بحاله لانه كان طلى بالصبر لئلا يتغير فاخرجوه من قبره وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد جزاء وفاقا وهو ولد ولد الحسين وهو زيد صاحب المذهب المشهور فان بنى امية حرقوه وقتلوه وهو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب

والأعادي اى الذين هم أولئك الفسقة الفجرة وقوله طريح اى مطروح منهم
الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة وقوله الزق اى المنفتح
الملقى بالارض وقوله الوكاء وهو ما يشد به راس الزق وما زالوا يتبعوهم
حتى قطعوا دابرهم عن آخرهم فشبه هؤلاء القتلى حيث قطعت رؤسهم
وسال دمهم بالاوعية التى كانت موكوة فحلت اوكيتها فخرج ما فيها من
المائعات   آل بيت النبى اى يا آل وقوله طبتم اى اصولا ونفوسا
وافعالا واقوالا وصفات وظاهر النظم ان المراد بالطيب فى قوله طبتما
وبين ما نشين طيبهما هنالك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه فى الموضعين
واحد وهو الطيب ظاهرا وباطنا وانه تم لهما وهنا لمن جاء بعدهما من نسلهما
وهذا اولى غاية الامر ان ذاك فى خصوصهما وهذا فى عموم اهل البيت
وقوله وطاب الرثا اى فيكم وهو تعداد محاسن موتاكم   انا
حسان مدحكم اى انا المشبه فى الاعتناء بمدحكم على اقصى ما يمكن
بحسان بن ثابت شاعر رسول الله الذى كان ينصب له منبرا فى مسجده
ينافح اى يخاصم ويفاخر عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله وهو يدعو
له بقوله اللهم ايده بروح القدس اى جبريل يلهمه ويلقى فى قلبه المعانى
الجميلة وقوله فاذا نحت اى رفعت صوتى بالبكاء فانى الخنساء
بنت عمرو بن قيس غيلان قدمت على رسول الله مع قومها بنى سليم المؤلفة
له ولم تكن اسلمت اذ ذاك وانما اسلمت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
فهى غير صحابية ولما قدمت على رسول الله نظرت عائشة عليها ثوب الحزن
فسالتها عنه فذكرت لها سببه وهو ان زوجها افتقر فسالت اخاها صخرا
فقاسمها فى ماله فاحتاجت فسالته فقاسمها مرة اخرى وهكذا اربع مرات
فعاتبته زوجته فاجابها بانها كفته عارها وبانه لو هلك مزقت عليه
خمارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب والمعنى فانى مشبهها فى
نوحها على اخيها ورثائها له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومحاسن
الثناء وجوامع الرثاء وقد حضرت حرب القادسية مع بنيها وكانوا اربعة
رجال فحرضتهم على الثبات بابلغ تحريض فقاتلوا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله
الذى شرفنى بقتلهم وارجو ان يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة وكان عمر رضى الله عنه
يعطيها ارزاقهم لكل واحد مائتان حتى قبض رضى الله عنه   شدتما لنا
اى ايها الحسنان وذريتكما والمراد بالناس بالنسبة اليهم الكمل الكبر بالنسبة

لما فيهم من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ وقوله بالتقى اى زيادة
على السيادة بالنسب لكن فضيلة النسب مختصة بهم واما فضيلة
التقى فليست مختصة فليس فى ذكرها كبير مدح الا ان يقال انه جاء
عن كثير منهم من الزهد والتقوى والعبادة والعلم ما لم يجئ عن غيرهم
فقد تميزوا عن اكثر الناس بكثرة التقى فيهم اكثر من غيرهم والمعنى
كما سدتم الناس فى النسب سدتموهم بزيادة التقى الذى لا يوجد فى غيركم
ولذا قال بعض العارفين القطب لا يكون الا منهم وقوله وسواكم
اى وغيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم فى الدين اصلا بل ولا فى الدنيا
عند الكمل من الناس وانما سودته اى السوى الجهلاء مثله وافراد الضمير
نظرا للفظ السوا وقوله البيضاء اى الفضة وقوله الصفراء
اى الذهب وتخصيص هذين لشدة التعلق بهما اكثر من غيرهما
وباصحابك اى واقسم عليك باصحابك وقوله الهداة اى الادلة
للامة على الله ببيان ما يجب لهم ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسله كذلك
وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والحياء لله وغير ذلك
وقوله والاوصياء اى الذين وصيتهم بامور الدين والمجاهدة عليها
ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب
والسنة احسنوا بعدك اى بعد وفاتك الخلافة عنك فى الدين
بالقيام بجميع ما يجب او يحسن مراعاته فى الامور الظاهرة والباطنة فقد
اجمعوا على استخلاف ابى بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف عثمان
ثم على استخلاف على ثم على استخلاف ابنه الحسن ثم نزول الحسن لمعاوية
الى ان تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم الى يوم القيمة وقوله وكل
اى كل منهم وقوله لما تولاه اى فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته
من الخلافة والامارة والقضاء وتجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون
وغير ذلك وقوله اتاه بكسر الهمزة وبالزاى كتكاب اى قائم بما تولاه اهل
له قوى اى بقعة او زمن كان اغناه منصوب بعاطف مقدر على
قوله الهداة وكذا يقال فيما بعده وقوله نزاهة منصوب على التمييز
اى من جهة النزاهة والتعفف عن جميع المال وان كان من جهة يقطع
بحلها لان محط نظرهم انما هو التجرد والتملق عن سائر القواطع عن الله
وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنا بكثرة العرض انما الغنا

وانما الغنا غنا النفس اى بالله عما سواه سواء كان بيده مال او لا ومن كان
منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا له لله تعالى
يصرفه فى مصارفه الشرعية وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون
الف دينار لاينافى ما تقرر انه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله
ليس معناه ان يخرج جميع ما فى يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو
المطلوب فى كل حال او زمن وقوله فقراء اى غالبهم بل كلهم لان ذوى
الغنا منهم كانوا خزانا لله كما مر فلا يعدون اغنياء الا باعتبار الصورة
وبما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغنى الشاكر افضل من الفقير
الصابر لان الغنا هو الذى هو ختم به امره صلى الله عليه وسلم وهو كان دائم
الترقى فى الكمالات فلولا الغنا مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر ما ختم
له به وقوله علماء اى لانهم ورثوا من علومه ما تميزوا به عن جميع من جاء
بعدهم وقوله ائمة اى قدوة من حيث ان كلا منهم فيه قوة الاجتهاد المطلق
فهو قدوة يقتدى به فى الخير وقوله امراء اى كثير منهم تولوا الامارة فى
زمن رسول الله وفى زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وعدلوا فيها
ومما يدل على انهم اغنياء نزاهة لا غيرا انهم زهدوا فى الدنيا اى زهدوا
فى الدنيا بضم الدال وحكى كسرها من الدنو اى القرب لقربها من الزوال
جدا وهى الاموال وتوابعها من نحو الجاه والفخر والكبر والخيلاء ولفظها
مقصور بلا تنوين والزهد الاقتصار على قدر الحاجة من الحلال
وكان الصحابة فيها على قسمين فاكثرهم كاهل الصفة تركها الشغف بتحصيلها
بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف وبالعبادات وكثير منهم حصلها
لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وقوله فما عرف الميل اى الالتفات
لحقارتها فى اعينهم وقوله ولا الرغباء اى الزيادة فى تحصيلها وهذا عرف
من نفى الميل بالاولى فذكره اطناب ولاينافى هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم
على المال بقوله نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح لان المال له جهتان
جهة خير بصرفه فى الطاعات وجهة شر بصرفه فى ضدها وبالنظر الى هذه
الجهة يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اللهم من احبنى فاقلل عليه ماله
وامت ولده الحديث ارخصوا اى اذلوا واهانوا من الرخص ضد
الغلاء وقوله فى الوغى اى بسببه ففى سببية وتقدم ان الوغى معناه فى
الاصل الجلبة والاصوات فى الحرب والمراد به هنا نفس الحرب وقوله

زهدوا فى الدنيا فما عرف الميل
لديها منهم ولا الرغباء

ارخصوا فى الوغى نفوس ملوك
حاربوها اسلابها اغلاء

نفوس ملوك اى فكيف بغير الملوك وقوله حاربوها اى بقوة عزم وشدة
حزم وصدق نية وقوله اسلابها اى تلك الملوك بفتح الهمزة جمع سلب
بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وسلاحه وقوله اغلاء بكسر الهمزة
اسم مصدر لغلى السعر لكن بمعنى اسم الفاعل اى غالية الاثمان وفى بعض
النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع غال كداء وادواء   كلهم اى كل منهم
فى احكامه الضمير لكل جمع حكم والمراد بها هنا النسب التامة بين المحمول
والموضوع وقوله ذو اجتهاد الافراد فى ذو باعتبار لفظ كل وانما كانوا
ذوى اجتهاد لتوفر شروط الاجتهاد كلها فى جميعهم ولذلك لم يعرف ان احدا
منهم قلد غيره فى مسئالة وقوله وصواب اى وذو صواب يعنى وذو
ثواب ولو عبر به لكان اولى لان ابقاءه على حقيقته انما يتاتى على القول
الضعيف ان كل مجتهد مصيب اما على الاصح ان المصيب واحد فلا يكون
كل ذو صواب بل ذو ثواب المخطئ منهم والمصيب وقوله وكلهم اكفاء
اى متكافؤن فى اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وانما يتفاوتون
فى الزيادة فى ذلك واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبياء ابو بكر ثم عمر
ثم عثمان ثم على ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل
اهل احد   رضى الله عنهم ورضوا عنه رضى الله عن العبد تانيسه من سخط
واحلاله دار كرامته ورضى العبد عن الله ان لا يختلج فى قلبه حزازة من
وقوع قضاء من اقضية الحق به من المحن بل يجد لذلك برد اليقين ويشهد
فيه المصلحة العظمى قال السنوسى فى شرح الوسطى رضى الله تعالى
اما صفة فعل بمعنى الانعام وصفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين
الاول فى مقام الدعاء لان الدعاء انما يكون بمستقبل غير حاصل فى الحال
وارادة الله ازلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء وفى الغنيمى
عليه ولك ان تقول ولو على بعد تجوز ارادة الثانى نظرا للتعلق لا الارادة
الحادثة وذلك لا يستحيل تجدده وقوله فانى يخطو اى فبسبب ما ذكر
من اوصافهم انى استفهام انكارى تعجبى وقوله يخطو اليها اى يصل
اليه اذ الخطوة ما بين القدمين وقوله خطاء بفتح الخاء ومد كما هنا
لغة وهو نقيض الصواب يعنى لا يخطئ واحد منهم خطأ يأثم به لما مر انهم
كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا اخطأ له اجر   جاء قوم اى جاء الى
النبى قوم من الصحابة من بعد قوم وهكذا الى وفاته وكان الناظم اشار بهذا

لما في البخاري في قصة هرقل انه سأل ابا سفيان عن اصحاب محمد ايزيدون
او ينقصون فقال بل يزيدون فبين له هرقل ان من شان الرسل
ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجيء الصحابة قوماً بعد قوم من علامات نبوته
واندفع ما قد يقال اي فائدة في هذه الجملة وقوله بحق فلا مطعن
فيهم لطاعن وما تقوله الرافضة وغيرهم في حق بعضهم فخطأ صراح
ظهوره اغنى عن التعرض لرده وقوله وعلى المنهج اي الطريق الواضح
وقوله الحنيفي اي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج وقوله
نجوا اي كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من امتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك ما للموسى
كليم الله ولا للعيسى روح الله وقوله حواريون جمع حواري وهو الناصر
وصار ذلك علماً بالغلبة على اصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب
اي يقصرونها ومن الحواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وهو
الدقيق الابيض لبياض الوانهم وقوله في فضلهم اي بشهادة نص الآية
كنتم خير امة وقوله ولا انتقاء اي في فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش
اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى وفي البيضاوي الحواري
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحور العين لخلوص الوانهن سمي بذلك
اصحاب عيسى لخلوص نيتهم وصفاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكاً يلبسون
البياض فاستنصرهم عيسى من اليهود وقيل كانوا قصارين يحورون
الثياب اي يبيضونها بأبي بكر لما اقسم بالصحابة كلهم اجمالاً
خصص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتباً للاربعة الاول منهم على ترتيبهم
في الافضلية والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك بأبي بكر فهو عطف
على بالعلوم بحذف حرفه فيصح انه وما بعده ابدال مفصلة من باصحابك
وقوله الذي صح اي الذي تميز عن سائر الصحابة بما كان كالصريح
في انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما صح من طرق
كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوماً من الدين بالضرورة وقوله
للناس به في حياتك كل من الظروف الثلاثة متعلق بالاقتداء الذي
هو فاعل صح فمن تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض رسول الله
فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله انه
رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال مروا

ابا بكر

حواريون ... ما للموسى ولا للعيسى
في فضلهم ولا انتقاء

بأبي بكر الذي صح [illegible]
في حياتك [illegible]

ابابكر فليصل بالناس فعادت فقال مُرِي ابا بكر فليصل بالناس فانكن
صواحب يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله وفي
رواية انه امرهم بالصلاة وكان ابو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال
رسول الله بعد ان اخرج راسه من حجرته لا لا يابى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلثا
وفي البيت التلويح لهذه القصة قال العلماء وفيها اوضح دليل على انه افضل
الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا
على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤ
لكتاب الله افاد علمهم بالقرآن صريح في انه اعلمهم مطلقا وقد استدل الصحابة
انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة حتى قال علي قدامه رسول الله ان يصلي
بالناس وانا شاهد وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي لديننا
وما احسن قول من قال صلى ابو بكر بالناس ثمانية ايام والوحي ينزل
فسكت الله وسكت رسوله وسكت المسلمون ومعنى سكوت الله انه لم
ينزل وحيا بنهيه عن الامامة والمهدي اي المسكن للفتنة والاضطراب
في امر الخلافة يوم السقيفة التي لبني ساعدة من الانصار حين اجتمعوا
بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه
وقوله لما ارجف الناس اي حين ارجفوا بالبناء للمفعول اي اضطربوا
في امر الخلافة وقوله انه تعليل للمهدي ولا ينافيه كسر ان لانها مع كونها
للاستئناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به في ان الحمد والنعمة لك في
التلبية وقوله الداداء اي المسكن للاضطراب المشهور بذلك قديما
وحديثا وفي الصحيحين عن عمر انهم لما دفنوا رسول الله تخلف علي
والزبير ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها في سقيفة
بني ساعدة واجتمع المهاجرون عند ابي بكر فقال له عمر انطلق بنا الى
الانصار فذهبوا اليهم فوقع اضطراب كثير ثم خطب ابو بكر واثنى على
الانصار ثم بين لهم ان الخلافة لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث
الصحيح الائمة من قريش ثم قال رضيت لكم اما عمر واما ابا عبيدة واخذ
بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر
عمر وقال لابي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم
الانصار ولما بايعوه جاؤا الى المسجد فصعد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله
فحمد الله واثنى على ابي بكر ثم قال قوموا فبايعوه بيعة عامة فبايعه الناس

فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونی
وان اسأت فقوموني اى عدلونى اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا
عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء
فتكلم عليه فقال لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله فبايعه ثم لم ير عليا
فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله فبايعه واستدل
كل منهما على حقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة
فصار هو الخليفة حقا باجماعهم وصار عمر بالنسبة اليه كالوزير يراجعه
في المهمات   انقذ الدين بالقاف ثم الذال المعجمة اى نجاه بازالة كل
شبهة عنه ونجا اهله بازالة اسباب الفساد بينهم وقوله بعد ما كان
ما مصدرية وكان تامة اى وجد وقوله للدين متعلق بفاعلها وهو اشفاء
وعلى كل كربة متعلق به ايضا والكربة الغم الذى يأخذ النفس والاشفاء
الاشراف اى بعد ما كان اشراف للدين وقرب يخشى منه انه يجتمع كى لا
بعده شمل ابدا او من شئ قال ابو هريرة لولا ابو بكر ما عبد الله بعد محمد ابدا
وذلك لانهم عند موته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم من الغم والحزن
حتى انكر بعضهم موته فقال ابو بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات الخ
ولما اختلفوا فى دفنه فقال بعضهم فى البقيع وبعضهم فى مكة وبعضهم
فى بيت المقدس روى لهم ابو بكر حديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى
فيه وايضا اختلفوا فى ارثه فروى لهم حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه صدقة فرجعوا اليه فى هذا كله وبهذا علم انه كان احفظهم
للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله
بقتال المرتدين ومانعى الزكاة ومسيلمة الكذاب   انفق المال
اى الكثير الذى كان يملكه اى صرفه فى مصارف الخير جميعه وقوله
فى رضاك اى من اجل رضاك كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها
الاتقى الى آخر السورة اجمع المفسرون على انها نزلت فى ابى بكر وفى الحديث
انه ليس من الناس احد امن علىّ فى نفسه وماله من ابى بكر واخرج
الترمذى ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه بها ما خلا ابا بكر فان له عندنا
يدا يكافئه الله بها يوم القيمة وما نفعنى مال احد قط ما نفعنى مال ابى بكر
فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالى الا لك يا رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم
يقضى فى مال ابى بكر كما يقضى فى مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم

انقذ الدين بعد ما كان للدين على كل كربة اشفاء

انفق المال فى رضاك ولا من ما اعطى جما

ولهٗ

وله اربعون الف دينار وفي رواية اربعون الف درهم فانفقها على رسول
الله وصح عن عمر امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فقلت
اليوم اسبق ابا بكر مع انى ما سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت ابقيت مثله فاتى
ابو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فقال ابقيت
لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى شئ ابدا وقوله ولامن اى والحال
انه لامن منه عليك بما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره والمن
ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو متصدق
ان يمن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له او يذكره لمن لا يحب
اطلاعه عليه وقوله واعطى جما اى عطاء كثيرا فى وجوه الخير والمصارف
منها اعطاؤه ثمن محل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله
عليه وسلم اشتراه بعشرة دنانير ووزنها من مال ابى بكر وكان قد خرج
من مكة بماله كله فكان له فى ذلك المسجد الاعظم ثواب لا يقدر قدره
واشترى ايضا جماعة اسلموا فعذبهم اهل مكة واعتقهم منهم بلال وغيره
وقوله ولا اكداء اى قطع للعطاء اى لم يقطع اعطاءه بل استمر عليه
حتى توفاه الله تعالى   وابى حفص اى واقسم عليك بابى حفص
وقوله الذى اظهر الله به الدين اى كما جاء فى سبب تسميته بالفاروق
فقد جاء فى الحديث انه سئل عن ذلك فذكر ان حمزة اسلم قبله بثلاثة
ايام وان النبى صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم واسلم عمر بعده بثلاثة
ايام وذلك انه لما اراد الله له الخير قال دلونى على محمد فتوشح سيفه وذهب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الارقم فضرب الباب فسمع المسلمون
صوته فاستجمعوا خوفا منه فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر فقال حمزة افتحوا
له الباب فان اقبل قبلناه وان ادبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله فخرج
له فاخذ بمجامع ثوبه وجذبه فتشهد فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل
المسجد فقال عمر فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم
الاختفاء فخرجنا صفين انا فى احدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد
فنظرت قريش الى والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله
يومئذ الفاروق وفرق الله بى بين الحق والباطل وصح انه لما اسلم نزل
جبريل فقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر وعن ابى سعيد

رضي الله عنه قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا
وامامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى اسلم
عمر فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا وعن حذيفة قال لما اسلم عمر كان
الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل
المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فارعوى اى فبسبب قوته وشدة
شكيمته ارعوى اى رجع واقلع وانكف الرقباء اى الاعداء عما كانوا
عليه من الافساد في الدين واذايتهم للنبي واصحابه   والذى
اى وهو ابيض الامام العادل القوى في الله الذى تقرب الاباعد عنه في
النسب وقوله في الله اى لاجل رضى الله وقوله اليه وفي نسخة لديه
متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين ليسوا
كذلك وقوله وتبعد اى عنه القرباء اى قرباؤه اذا لم يوافقوه
على الدين فلم يحابى قريبا ولا صديقا ولا زيادة عنده ولا سمعة ولا حمية
ولا عصبية   عمر بالجر بدل من ابي حفص او بالرفع خبر مبتدا محذوف
وقوله قوله الفصل مبتدا وخبر صلة من اى الفاصل بين الحق والباطل
وقوله السوى اى الذى لا اعوجاج فيه وقوله السواء تاكيد اى
المعتدم   ورأى هرب منه الشيطان اى ابليس وكل متمرد انسى
او جنى وقوله اذ كان فاروقا اى لاجل ان كان فاروقا وقوله
فللنار اى فبسبب ما منحه من النور الذى يعرف به بين الحق والباطل
وبفر الشيطان منه بسببه وقوله للنار اى التى هى اصل الشيطان
وقوله من سناه بالقصر اى ضوءه وقوله انبراء اى انحياد والاصل في
ذلك احاديث منها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان
فجا قط الا سلك فجا غير فجك ومنها حديث لو كان بعدى نبى لكان عمر
ابن الخطاب ومنها حديث انى لانظر الى شياطين الانس والجن قد فروا
من عمر ومنها حديث انه صلى الله عليه وسلم قال له يا اخى اشركنا في صالح
دعائك ولا تنسنا   وابن عفان اى واقسم عليك ايضا بذى النورين
ابى عمرو عثمان بن عفان ذى الايادى اى صاحب الايادى اى النعم
جمع ايد جمع يد والراجح كما حقق في حواشى المطول ان الايادى يطلق حقيقة
على النعم والجوارح المعروفة وقوله طال اى عظم وامتد وقوله بها
متعلق بقوله الاسداء اى الاعطاء   عن البئر اى بئر رومة وكذلك

انها كانت ليهودي فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء عذب غيرها
فقال من حفر بئر رومة او من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين
الف درهم وحفرها اى زاد فى حفرها وهى موجودة الى الآن فثوابها مستمر له
الى يوم القيمة وفى رواية ان عثمان اشترى من اليهودى نصفها بمائة بكرة
واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا واوقف نصيبه على المسلمين فجعل الناس
يستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما راى اليهودى انه قد امتنع عنه ما كان
يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه منها باع النصف الثانى بشئ يسير لعثمان
فتصدق بها كلها وتعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة ولم يبال بقول
من قال التعبير بالحفر وهم ممن بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها
ويجاب بانه لا مانع انه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة فى تكثير
مائها لشدة احتياج الناس اليها وقد كان قبل شرائه لها تباع القربة منها بمد
والمد هناك بقدر الربع المصرى او ازيد بيسير وقوله جهز الجيش اى
جيش العسرة فى غزوة تبوك مكان بينه وبين المدينة ثمانية عشر يوما
وكانت فى السنة التاسعة وسمى جيشها جيش العسرة وتسمى ايضا غزوة
العسرة لتعسر السير فيها من قلة المركوب بالنسبة الى الجيش فقد كانت
العشرة منهم يتعاقبون على البعير الواحد ومن قلة الزاد والماء وشدة
الحر حتى كادت اعناقهم تنقطع عطشا ومنهم من نحر بعيره واعتصر
فرثه وجعله على بطنه وقد حمل فيها عثمان على الف بعير وسبعين
فرسا واتى بعشرة الاف دينار فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ويقول غفر الله لك
يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة وعن
ابى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر
بئر رومة وحيث جهز العسرة وفى حديث قال صلى الله عليه وسلم من
يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجدنا فله الجنة فاشتراه عثمان بعشرين
الفا وزاده فى المسجد والمربد محل تجفيف الثمار وقوله اهدى الهدى
اى الى مكة وارسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم
ومعه الف واربعمائة من اصحابه فى ذى القعدة سنة ست يريد العمرة
فمنعته قريش عن دخول الحرم فلهذا قال لما اى حين صد عن الدخول الاعداد
اى المشركون وتخصيص عثمان بالهدى مع ان غيره كان معه الهدى ايضا

لكن هو ارسل هديه الى مكة فنحر بها وغيره نحر هديه بالحديبية فقد كان
صلى الله عليه وسلم ارسله لقريش بمكة لعزته بقومه فيها فلما رجع وجد
الصحابة قد نحروا بالحديبية فارسل هو هديه الى مكة فظهرت خصوصيته
على غيره بهذا الاعتبار والى اى امتنع لما ارسله النبي الى اهل مكة
حين صدوه عن دخول مكة فقال لعمر اذهب فاستأذن لنا ليخلوا بيننا
وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس لي هناك احد من بني عدي يمنعني ولكن
ارسل عثمان فان بني عمه هناك يمنعونه من قريش فارسله صلى الله عليه وسلم
ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن منعه وان مكنوه من دخولها ليؤدي
عمرته او ينحر هديه ولما ارسله صلى الله عليه وسلم امسك عنده سهيل بن عمرو
منهم حتى يأتي عثمان فلما وصل اليهم عثمان كلمهم فلم يقبلوا واحتبسوه
عندهم وقالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فابى ح ان يطوف
بالبيت وقوله اذ لم يدن اذ تعليلية اى لم يقرب منه اى البيت
وقوله الى النبي متعلق بيدن وقوله فناء هو ما امتد من جوانب
البيت ولما احتبسوه بلغ النبي ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة
الرضوان فبايعهم تحت الشجرة على القتال وان لا يفروا ولما بايع الناس
وعثمان غائب قال اللهم ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب
بيده اليمنى على اليسرى اى وضعها عليها وقال هذه بيعة عثمان فكانت
يد رسول الله لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون هذه
البيعة خافوا فارسلوا عثمان فجزته اى فبسبب ما وقع من عثمان
من امتثاله امر النبي وذهابه الى العدو ولم يبال لاحتمال ان يقتلوه
ومن تأدبه مع رسول الله الادب البالغ بتركه الطواف مع اذنهم له فيه
جزته عنها اى عن تلك الفعلة التي فعلها وهي الذهاب اليهم والامتناع
من الطواف وقوله ببيعة رضوان اى فيها فالباء بمعنى في وسميت
بيعة الرضوان لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الآية وقوله
يد من نبيه اى عن عثمان وقوله بيضاء اى بالغة في الكرم الذي عم
الانام الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم لاجازيه تلك اليد البيضاء
والذي وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي وعدم تمكنهم
من الدخول ادب اهـ ادب اى عظيم عنده ومن عجيب هذا الادب انه
حصل فيه امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك انه مع كونه تاركا لفعل العبادة

وأبى أن يطوف بالبيت إذ لم يدن منه إلى النبي فناء

فجزته عنها ببيعة رضوان يد من نبيه بيضاء

أدب عنده تضاعفت الأعمال بالترك حبذا الإخفاء

تضاعفت

تضاعفت الاعمال التى فى ذلك الفعل وهو الطواف اى ثوابها وقوله بالترك
اى بسبب الترك لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا
افضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان
ما لم يبلغه غيره وهذا خصوصية لعثمان فلذا احق ان يقال فيه وفى غيره
على سبيل المدح حبذا الادباء وعثمان من اجلهم لانه كان عنده من الحياء
الذى هو منشأ الادب ما لم يكن عند غيره وقد جاء ان النبى استحيى
منه وقال عثمان حيى تستحيى منه ملائكة الرحمة قالت العلماء ولا نعرف
احد تزوج بنتى نبى غيره ولهذا سمى ذا النورين وقال وهو محصور ايام
قتله انه اختبا عند ربه اى اعطاه زيد عشرا انه رابع اربعة فى الاسلام
وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنته وما تغنى وما تمنى ولا وضع يمينه على
فرجه منذ بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ اسلم الا
واعتق فيها رقبة اى فجملة ما اعتقه الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى
ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن فى المصحف على هذا الترتيب
المعروف اليوم وقد جمعه الصديق قبل ذلك فى خلافته لكن لا على هذا
الترتيب وعلى اى واقسم عليك ايضا بعلى وسبق الاقسام به
لكن من حيث المعجزة التى وقعت له فى خيبر كما تقدم واما الاقسام به هنا
فهو من حيث ذاته ولا جل ان يبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر
الفرق من ان الخلافة والافضلية على هذا الترتيب السابق ذكره
فافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم لا نزاع فيه
فهو قطعى ثم عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى
وخالف فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية
على على عثمان وان كان عثمان احق منه بالخلافة وهل تجب محبتهم
برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انه ان كانت من حيث الدين والعلم
ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب هذا الترتيب وان كانت لنحو
قرابة او لاحسان لم يجب رعايتها على هذا الترتيب وقوله صنو النبى
اى مثله من حيث اجتماعهما فى اصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين
اصلهما واحد وفى حديث الترمذى فانما عم الرجل صنو ابيه وهذا من هذا
القبيل وقوله ومن دين اى والذى دين اى اعتقاد فؤادى اى قلبى
وداده اى حبه وقوله والولاء بفتح الواو اى موالاته اى نصرته

والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولتاكد الذب عنه لكثرة اعدائه
من بني امية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه حتى على المنابر
حضه الناظم بذلك ولهذا اشتغل اكابر الحفاظ بنشر فضائله نصحا
للامة ونصرة للحق ومن ثم قال احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي
ووزير ابن عمه اي ناصره وحامل كل ثقل نابه وقوله في المعالي
اي الدينية والدنيوية جمع العلي وهو الرفعة والشرف واصل هذا ما جاء
في الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما خلف عليا على المدينة في غزوة تبوك قال
يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال اما ترضى ان تكون مني
بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وليست الوزارة خاصة بعلي
فقد اخرج الترمذي حديث ما من نبي الا وله وزيران من اهل السماء
ووزيران من اهل الارض فاما وزيراي من اهل السماء فجبريل وميكائيل
واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكر
الناظم الوزارة في علي دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد
يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها وهو قوله
انت مني بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا
اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومما يؤيد هذه الوزارة
الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون غيره وارسله موذنا على الناس
بسورة براءة في موسم الحاج مع ان الخليفة على الجميع ابو بكر وذلك
لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وجلدته
وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى ودائعه وقضى ما عليه واتاه
باهله فهذه كلها موذنة بوزارة الخاصة لم توجد في غيره فلهذا ذكرها فيه
فقط وقوله ومن الاهل الخ من تلك السعادة ما امدح به من المواخاة
فقد اخرج الترمذي آخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجاء علي تدمع
عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد
فقال انت اخي في الدنيا والاخرة ومنها العلوم التي اشار اليها بقوله
انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليات الباب   لم يزده كشف
الغطاء يقينا اي لو رفع الحجاب بينه وبين ربه ورأى الذات العلية عيانا
لم يزدد يقينا يعني ان توحيده ويقينه في الله بلغ الغاية في الصحة والثبات
وقد اخبر بذلك عن نفسه حيث قال لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا

ومنها لاهل تشعل الوزارة ومنها وزير ابن عمه والعالي

لم يزده كشف الغطاء يقينا بل هو الشمس وما عليه غطاء

اى لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقا
والايمان وصدق الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية
ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فان
عاقلا لا يشك ان عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين
اقوى من عين اليقين ودليله قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية
العيان فلا منافاة بينه وبين ما قاله على خلافا لمن وهم فيه وقوله
بل هو بل للاضراب الانتقالي اى بل على فى فضله وعلمه وزهده وتقدمه
وحقيقة خلافته الشمس اى مثلها فى الظهور والاضاءة وقوله وما عليه
غطاء اى ساتر بل هو ظاهر لكل احد وعلم مما تقرر ان الحقيق بالخلافة
بعد الائمة الثلاث بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الى من زعم انه
لا اجماع على خلافته وقد حفظ رضي الله عنه القرآن وعرضه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فيه
العلوم حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله
وتقدم حديث اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه
لا نبي بعدي وهذا يبطل تمسك الشيعة به على انه الخليفة المقدم على
الكل ووجه البطلان ان هارون مات فى حياة موسى قبل موته
باربعين سنة وكان قد خلفه حين ذهب لميقات ربه ليأتي بالتوراة
ويؤخذ من الحديث ان عليا انما ثبتت له الوزارة والخلافة فى حياة
النبي لا بعده لانه شبهه بهارون وهارون لم يخلف موسى بعد موته
فى حياته كما علمت توفى كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين
سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم فى جبهته واوصله
الى دماغه وذلك ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو
خارج الى صلاة الصبح لكنه لم يمت الا ليلة الاحد فى اثناء الليل وله
اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما
اما عمر فقتله ابو لؤلؤة مجوسي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكى اليه
ثقل خراجه فلم يعذره لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن
له الى ان ضربه بخنجر وهو فى ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين
ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده

بعد ان طعن يستأذن عائشة فى ذلك فقالت كنت اعددت هذا
المكان لنفسى ولا وثرنه به فاشتد فرحه بذلك واما عثمان فاجتمع
على قتله اوباش اربعة الاف مجتمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى
ان قتلوه فى اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمسة
وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل توهما منهم
انه اراد قتل محمد بن ابى بكر رضى الله عنهما وهو برى من ذلك وانما
افتعله بعض اهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم
من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب
يقولون ان شئت كنا انصار الله بين يديك مرتين فقال لا حاجة
لى فى ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وانا
صابر عليه ومن ثم كان عنده فى الدار مما يكره الكثيرون فارادوا
ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبى صلى
الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من
القتل وامره ان لا يعزل نفسه كما صح فى الحديث وهو يا عثمان انك
ستولى الخلافة من بعدى وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها
وصم فى ذلك اليوم تفطر عندى وباقى اصحابك اى باقى العشرة
المبشرين بالجنة فى الاحاديث منها حديث ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة
وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف
فى الجنة وسعد بن ابى وقاص فى الجنة وتاسع المومنين فى الجنة وهو
سعيد بن زيد والعاشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله المطهر
اى المبين الترتيب اى بينهم مع النبى صلى الله عليه وسلم وهذا مفعول
وقوله فينا اى لنا وقوله تفضيلهم فاعل اى تفضيلهم على حسب
مراتبهم التى بينها مشرفهم صلى الله عليه وسلم وقوله والولاء معطوف
على الفاعل اى الموالاة والمناصرة الواجبة علينا بحسب مراتبهم فهو
بفتح الواو هذا ما يقتضيه صنيع الشارح وفى راى عند الحق الاولى
هنا كسر الواو ليكون بمعنى التتابع وذلك لانه ذكر الولاء فيما سبق
بمعنى المناصرة فيكون بفتح الواو وقبل هذا ببيتين فلو فتحت الواو هنا
ايضا دخله الايطاء وهو اتحاد اللفظ والمعنى وفيه ايضا ما يقتضى اسناد
الولاء اليهم اى موالاتهم النبى صلى الله عليه وسلم طلحة اى ابن عبد الله
القرشى

وباقى اصحابك المطهر الترتيب فينا تفضيلهم والولاء

طلحة مع الزبير المرتضيه رفيقا
واجعلنا يوم مرافقة الرفقاء

القرشي التيمي وسماه النبي طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث باع ارضًا له بسبعمائة الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها واصبح فرقها على فقراء المدينة وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعمائة الف وكان يكفي ضعفاء قومه ويقضي ديونهم ويرسل الى عائشة في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة الف ثم لم يجد ثوبًا يذهب به الى المسجد يصلي فيه وقوله المرتضى اى الذى ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم رفيقًا وقوله واحدًا هو ما في اكثر النسخ وفي نسخة احد وهو على هذه النسخة فاعل اى الذى ارتضاه احد رفيقًا ففيه اسناد مجازي وفي اخرى احدًا وهو منصوب على نزع الخافض اى في احد ~ وقوله يوم ظرف لاسم الفاعل وقوله فرت الرفقاء اى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفي ذكره واحدًا الذى هو في اكثر النسخ نظر اذ المنقول ان الذين ثبتوا معه اربعة عشر من المهاجرين وسبعة من الانصار لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد مع النبي ثم تتابعت الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم احد وقى النبي صلى الله عليه وسلم بيده فشلت واستمرت شلاء وقد جاء في حديث ما يصرح بما في النظم على نسخة واحدًا وهو لقد رايتني يوم احد وما في الارض بقربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم احد اوجب طلحة اى وجبت له الجنة وذلك ان النبي كان قد ظاهر بين درعين واراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هناك فلم يستطع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال اوجب طلحة وقد اصيب يومئذ بسبعين او اقل او اكثر ما بين طعنة وضربة ورمية وكان قد خرج هو والزبير على علي فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير الحديث الآتي في مناقبه ووعظ طلحة فتاخر عن القتال ووقف في بعض الصفوف فجاءه سهم في ركبته فقتله في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن اربع وستين سنة ودفن بالبصرة وحواريك اى واقسم عليك بحواريك الزبير بن العوام القرشي ابن عمة رسول الله صفية حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص ولما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب النبي اى طلب من ياتيه بخبر بني قريظة فقال الزبير انا فقال صلى الله عليه وسلم

ان لكل نبي حواريًا وحواري الزبير وقوله حواريًا قال القسطلاني بفتح
الحاء المهملة وبواو وبعدها الف وبعد الالف راء مكسورة فتحتية مشددة
اي خاصة من اصحابه اهـ ونقل الزركشي عن الزجاج ان حواريًا منصرف
لانه منسوب الى حواري وليس كبخاتي وكراسي لان ذلك جمع واحده بختي
وكرسي وقوله وحواري الزبير قال القسطلاني اضافه الى ياء المتكلم
فحذف الياء وضبطه جماعة بفتح الياء وآخرون بكسرها وهو القياس
لكنهم استثقلوا ثلاث ياآت حذفوا ياء المتكلم وابدلوا من الكسرة فتحة
كذا بخط الشيخ العجمي وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف
خرج علي وهو على بغلة رسول الله فنادى يا ايها الناس ادعوا الى الزبير
فدعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق دوابهما فقال له علي انشدتك بالله
اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا
وكذا فقال يا زبير اتحب عليًا فقلت الا احب ابن خالي وابن عمتي
وعلى ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى والله
لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ثم ذكرته الآن والله لا اقاتل ثم
ادبر راجعًا فلما وصل وادي السباع محل قريب من البصرة نام فجاءه
رجل فقتله في جمادى الاول سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون
سنة وحمل الى البصرة فدفن بها وقبره مشهور هنالك وقوله ابي القرم
بفتح القاف وسكون الراء اي السيد الجليل المراد به ابنه عبد الله وقوله
الذي انجبت اي اتت به في غاية النجابة والشجاعة والرأي الحازم وهذا نعت
للقرم الذي هو عبد الله وقوله اسماء بنت ابي بكر الصديق ذات
النطاقين وكانت ولادتها له بعد عشرين شهرًا من الهجرة بالمدينة وكان
اول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود كانوا زعموا
انهم صنعوا لهم ما ابطل نسلهم وشرب دم النبي صلى الله عليه وسلم وقد خرج
عليه الحجاج ارسله له يزيد وهو بالشام فجاء له بمكة اول الحجة سنة
اثنين وسبعين فحاصره واستمر الحصار الى ان قتله سابع جمادى الاول
سنة ثلاث وسبعين وكان صوامًا يواصل الخمسة عشر يومًا او اكثر
وكان اطلس اي لا لحية له وهو احد العبادلة الاربعة والثلاثة عبد الله
ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص
والصفيين تثنية صفي وهو المصفى من حظوظ الشهوات وقوله

[illegible]

توءم الفضل من اتأمت المراة ولدت اثنين اى ان الفضل انجعهما لكثرة
ما قام بهما منه ولو قال توءمى الفضل لكان اوضح اى انهما لما اشتركا في
الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد وقوله سعد اى
ابن ابى وقاص بن مالك القرشى الزهرى شهد المشاهد كلها مع رسول
الله وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله ورمى يوم احد الف سهم ومن
كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها
الى حزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سائرون بالبر وكان الذى
يسائره سلمان الفارسى واقبل على النبى ذات يوم وهو جالس مع اصحابه
فقال هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالى فان الخال
والد توفى بقصره بالعقيق وهو واد بظاهر المدينة على عشرة اميال منها
فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلى عليه
امهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن
تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن في جبة صوف لقى المشركين
فيها يوم بدر وقال انما كنت خباتها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا
وقوله وسعيد اى ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى وهو ابن عم عمر
زوج اخته والسبب في اسلامه توفى سنة خمسين عن بضع وسبعين
سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد توفى في الجاهلية لكن جاءت احاديث
تدل على انه من اهل الجنة وقوله ان عدت الاصفياء اى فهذان من
اكابرهم وكيف وفي اسميهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب
السعادة   وابن عوف اى وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث
القرشى الزهرى صح انه صلى الله عليه وسلم اقتدى به في غزوة تبوك وصلى
وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة عظيمة وسببها انه
صلى الله عليه وسلم ذهب يقضى حاجته وادركهم الوقت فاقاموا الصلاة
فتقدمهم عبد الرحمن فجاءه صلى الله عليه وسلم فاقتدى به مع القوم
ولما اتم ما فاته خلفه قال ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من
من امته واتم ايضا بابى بكر وبجبريل وكان عبد الرحمن كثير الانفاق
في سبيل الله اعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه
ثلاثون الفا قال الزهرى تصدق على عهد النبى بشطر ماله اربعة
آلاف دينار واربعين الف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة

واوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت بمائة الف دينار واوصى بخمسين الف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد بدرًا باربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فاخذ مائة وهو امير المؤمنين وبالف فرس في سبيل الله وكان اهل المدينة عيالاً عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم روي انه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله يطلق لك قدميك قال ما الذي اقرضه قال تبرء من كل ما لك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضيف الضيف وليطعم المسكين وليعط ابن السبيل فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه وقوله من هونت بدل مما قبله وقوله هونت نفسه الدنيا اي صيرتها رخيصة عنده وقوله ببذله اي بسبب بذله لها في وجوه الخير بذلا دائما مستمرًا وقوله بمثر بضم اليا وكسر الميم اثرًا اي كثرة المال الذي فتح الله عليه به وكثرته من التجارة لانه كان ذا حظ وافر فيها بحيث لو امسك التراب صار ذهبًا والمكني ابا عبيدة وهو عامر ابن الجراح القرشي الفهري امين هذه الامة قال صلى الله عليه وسلم ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين اخي ابو عبيدة فقالوا ياتيك الساعة فاتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه وراحلته فبكى وقوله اذ يعزى اذ ظرف لاقسم المقدر او تعليل له قال الجوهري عزوته وعزيته لابيه اذا نسبته اليه فالمعنى هنا ينسب اليه اي الى ابي عبيدة الامانة الامناء واجلهم نبينا فانه قال لكل امة امين الى آخر ما تقدم توفي سنة ثماني عشرة بالطاعون في طاعون عمواس وهي قرية بين الرملة وبيت المقدس اول ما وقع بها ذلك الطاعون فينسب اليها ثم انتشر بالشام واعلم ان ما ورد في ابي عبيدة وفي غيره كقوله في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضراء ولا قلت الغبراء لا يقتضي تفضيلا عن الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا بهما على من لم يكملا فيهم ولو سلم زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك لان المفضول

قوله والمكني ابا عبيدة ... الامانة

قد يتميز بمزية او مزايا لا توجد فى الفاضل لانه خلف تلك المزايا مزايا اخرى اجل منها واعظم   وبعمّيك اى واقسم عليك بعمّيك اخوى ابيك وهما حمزة والعباس وكل منهما اسن من النبى بنحو السنتين اى ولد قبل ولادته بنحو السنتين ولم يسلم من اعمامه التسع غيرهما والبقية ماتوا فى الفترة لم يدركوا بعثته صلى الله عليه وسلم الا ابو طالب وابو لهب فادركا البعثة ولم يسلما وماتا شقيين وقوله نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضئ وهذا من التشبيه البليغ فشبههما بالنيرين اى الشمس والقمر بجامع مطلق الاشراق فى كل وان كان فى العمين معنويا وفى الشمس والقمر حسيا وقوله فلك المجد الفلك ما يسير فيه الكوكب واضافة النيرين اليه ترشيح للتشبيه واضافته الى المجد تجريد للتشبيه اذ المجد الكرم والحسب وقوله وكل منهما اتاه اى حصل له منك آتاء بوزن كتاب وهو ثمر الشجر كما فى القاموس وهذا بالنظر لاصل معناه والا فالمراد به هنا النعم والخيرات الواصلة منه اليهما اما حمزة ويكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله فكان شجاعا اخا للنبى من الرضاع اسلم قديما قبل عمر بثلاثة ايام استشهد باحد نصف شوال فى السنة الثالثة بعد ان قتل ثلاثين كافرا قتله وحشى وهو عبد لعقبة السلمى قال لقد رايت حمزة يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتى فاصابته ووليت هاربا فتبعنى ثم سقط وبعد ذلك اسلم وحشى وخرج يوم اليمامة فى جيش ابى بكر فشارك رجلا فى قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ولما راى النبى حمزة قتيلا بكى ولما راى ما مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ لى من هذا وبكى عليه صلى الله عليه وسلم وقال يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد الله واسد رسوله يا فاعلا للخيرات يا كاشفا للكربات وصحح الحاكم حديث والذى نفسى بيده انه لمكتوب عند الله فى السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله وورد من طرق ان الملائكة غسلته واما العباس وكنيته ابو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأى وعقل كامل معظما بين الصحابة رئيسا فى قريش قبل الاسلام وكان مع النبى يوم العقبة فعقد له البيعة مع الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به فى اموره كلها اسر ببدر وقد مال لم صلى الله عليه وسلم

وكل منهما اتاه بمنك اتاه عمى فى الفضل

من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرهًا وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم
يئن لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين
العباس فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية وفادى نفسه
وعقيلاً ابن اخيه واسلما في بدر سرًّا وكتم اسلامه الى قبيل الفتح فخرج
مهاجرًا فلقي النبي بالابواء فاظهر اسلامه وبه ختمت الهجرة وكان رِدْءًا
للنبي بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان يحب القدوم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيكتب اليه ان بقاءك بمكة خير لك وثبت معه يوم حنين
توفي بالمدينة ثاني عشر رجب او رمضان سنة اثنين وثلاثين وله
من العمر ثمانية وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وقال له صلى الله
عليه وسلم الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء والخلفاء والمهدي
وكون المهدي من ولد العباس يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من
ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض
لان فيه شعبة من ولد الحسن ايضا فهو حسني وفيه شعبة من الحسين
وشعبة من العباس واخرج الخطيب حديث يا عباس انت عمي وصنو
ابي وخير من اخلف بعدي من اهلي اذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة
فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي
وبامّ السبطين اي واقسم عليك بامّ السبطين الحسن والحسين فاطمة
وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم وقوله زوج علي زوجها له النبي
صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة بوحي من الله وبنى بها بعد
تزوجها بسبعة اشهر ونصف في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا
وكان سنها خمسة عشر سنة وخمسة اشهر ونصف شهر وقيل كان سنها
نحو عشرين سنة وكان سن علي اذ ذاك احدى وعشرين سنة واشهرًا
توفت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشر فبينهما نحو
ستة اشهر وسنها تسع وعشرون سنة دفنها علي ليلاً بوصية منها
واختلف في محل دفنها فقيل انها في المسجد الشريف بقرب قبر والدها
والاشهر انها في قبة ولدها الحسن قرب محرابه وكان القطب ابو العباس
المرسي يجزم بهذا ولعله كوشف به وروى احمد في المناقب والدولابي
انها اغتسلت ولبست ثيابا جددًا واضطجعت وقالت اني مقبوضة
الآن فلا يغسلني احد ولا يكشفني فماتت فامتثل علي وصيتها الكفن

وبامّ السبطين [illegible] زوج علي

يعارضه ما جاء انها امرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وهذه الرواية
مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وقوله وبنيها يعني اولادها
للحسن والحسين ومحسنا وهو بفتح الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد
السين المكسورة كما في سيرة الشامي وهذا مات صغيرا وام كلثوم
وزينب ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من
جهة السبطين فقط وتزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم فولدت له
ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم
بعد موته تزوجت باخيه محمد ثم باخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيئا
ثم تزوج الاخير وهو عبد الله بن جعفر باختها زينب فولدت له عدة
منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف اعلى من شرف اولاد
عبد الله من غير زينب وادنى من شرف اولاد الحسنين لمزيتهما
بما ورد فيهما ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحاق تزوج بالسيدة
نفيسه بنت الحسن بن زيد بن الحسين بن علي كرم الله وجهه ولد
منها ولدين لم يعقبا قال السيوطي في الخصائص الصغرى
ويطلق على آله صلى الله عليه وسلم الاشراف والواحد شريف وهم اولاد
علي وعقيل وجعفر والعباس هذا ما اصطلح عليه السلف وانما
حدث تخصيص الشريف بولد الحسن والحسين في مصر خاصة من
عهد الخلفاء الفاطميين وقوله ومن حوته العباء وهم النبي وفاطمة
وعلي وابناؤهما ومر لبعض هؤلاء فضائل وصح انه صلى الله عليه
وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء اهل
بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا والاسكفة
بضم الهمزة وسكون السين وضم الكاف وفتح الفاء المشددة عتبة
البيت   وبازواجك اي واقسم عليك بازواجك اللواتي تشرفن
بان صانهن عن النار والنقائص وقوله منك حال من قوله بناء
اي دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك
الشرف وينبغي تخريجه على حرمتها على غيره ان قلنا تحرم وهو الاصح حصل
لها الشرف او تحل لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ستة قرشيات
واربع عربيات واسرائيلية فالاولى خديجة تزوجها بعد زوجين

ولها يومئذ اربعون سنة وله خمس وعشرون واولاده كلهم منها الا ابراهيم
فمن مارية القبطية توفت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون عن
خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد عقده على عائشة
ودخل بها قبل عائشة توفت بالمدينة فى شوال سنة اربع وخمسين ثم
تزوج عائشة بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها فى شوال فى المدينة
على راس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها
ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ثم تزوج حفصة بنت عمر سنة
ثلاث من الهجرة توفت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة سنة اربع وماتت
سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابى سفيان
ابن حرب بعد ان مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا وتزوجه
بها سنة ست زوجها النجاشى لعمرو بن امية الضمرى وكيله صلى الله
عليه وسلم واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها اليه سنة سبع
ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد
مولاه زوجه الله بها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت
تفتخر بذلك على امهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهى اول من
مات منهن بعده ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت
خزيمة الهلالية سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة
بنت الحارث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنا بها فيه وكان
حلالا لا بعد ان اذى عمرة القضى وروايته انه كان محرما معناها انه فى
الحرم على ان من خصائصه ان له ان ينكح وهو محرم وماتت بسرف
سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية
بنت الحارث الخزاعية وعمرها اذ ذاك عشرون سنة توفت سنة خمسين
وتزوج صفية بنت حيى بن اخطب من نسل هرون وهى من سبى خيبر
اعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة ماتت
فى رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع
عليهن واختلفوا فى ثنتى عشرة امراة بعضهن الاصح فيه انه طلق قبل
الدخول وبعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل بسط هذا فى كتب
السير واختلف فى عدة اولاده عليه الصلاة والسلام وجملة
ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات

بعد

بعد نحو سنتين واربع بنات اولاهن زينب وهى اكبرهن ماتت سنة ثمان
من الهجرة عند زوجها ابى العاص ابن الربيع ولدت منه عليا ومات قبل
البلوغ وامامة التى حملها صلى الله عليه وسلم فى الصلاة تزوج بها على
بعد فاطمة ثم رقية توفت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزى بها قال
الحمد لله دفن البنات من المكرمات ثم ام كلثوم لا يعرف لها اسم وانما
تعرف بكنيتها توفت سنة تسع تزوجها عثمان بعد ابنى ابى لهب وهما
عتيبة بالتصغير وعتبة بالتكبير ثم فاطمة قال ابن عبد البر
ولدت سنة احدى واربعين من مولده والذى رواه ابن اسحاق انها
ولدت قبل النبوة واختلفوا هل ولد له غير اولئك الستة فقيل نعم
ولد له الطيب والطاهر وعبد الله وعبد مناف والمطهر وقيل الطيب
والطاهر لقبان لعبد الله وهذا كله فى اولاده من خديجة ولم يولد له
من غيرها الا ابرهيم من مارية القبطية ولد فى ذى الحجة سنة ثمان
ثم توفى وله سبعون يوما وقيل وله سنة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك

الامان الامان ان فؤادى من ذنوب اتيتهن هواء

الامان مفعول به او مطلق وعامله مقدر فتقديره على الاول
اعطنا وعلى الثانى آمنا والثانى تاكيد اى امنا يا رسول الله من عقاب
اقترفته من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب وقوله ان
فؤادى بالفتح تعليلا والكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة ايضا
وقوله هواء اى خال من فهم ما ينفعنى وفى نسخة هباء اى لا وجود
له قد تمسكت اى ومما يعطفك على حتى يزيد اعتناؤك بى وامدادك
لى انى قد تمسكت اى توثقت واعتصمت من ودادك بالحبل اى
بالسبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك فى الاحاديث الصحيحة ان
المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم فالحبل هو المحبة وقوله الذى
استمسكت به الشفعاء اى من الانبياء والعلماء والصالحين فلم
تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا اورثتهم محبتك
مرتبة قبول شفاعتهم فى الاغيار اورثتنى وقوع شفاعتك فى بجعلهم
انى احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة فى الطرفين وكون
المحبة تستلزم الاتباع انما هو اغلبى كما يدل عليه حديث يا رسول الله
المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب وان لم يعمل
بعملهم وابى الله اى لم يرد كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده

الامان الامان ان فؤادى من ذنوب اتيتهن هواء

قد تمسكت من ودادك بالحبل الذى استمسكت به الشفعاء

وابى الله ان يمسنى السوء بحال ولى اليك التجاء

وذل عليه ما تفضل به عليك بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقوله
بحال اي في اي حال من الاحوال الدنيوية والاخروية وقوله ولي اليك
اي والحال ان لي اليك التجاء اي استناد لمزيد محبتي لك ومن هو كذلك
حقيق بان لاينا له من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة
قد رجوناك اي معشر محبيك وخدامك ايها النبي الكريم
اي املناك وقوله للامور اي العظيمة من الذنوب والملجا لغات
والغفلات والشهوات وقوله التي ابردها اي ايسرها وقوله
رمضاء اي نار تتقد اي من شدة خوف المواخذة بما كسبته قلوبنا
والسنتنا وجوارحنا وايتنا اليك اي بقلوبنا اي وجهناها
الى الاستعاذة بك من كل مكروه او ايتنا الى قبرك المكرم وقوله
انضاء حال اي حال كوننا انضاء جمع نضو بكسر النون اي مهازيل
وقوله فقر اي من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملنا من الذنوب
ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله وقوله الى الغنى اي الى محله
وهو حضرتك المشرفة التي فيها الغناء الاكبر وقوله انضاء اي
ركاب مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول
الى حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود
احسانها ونعمها وانطوت اي استترت في الصدور وراء القلوب
حاجات نفس املت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك
اذا وصلت الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك من تلك الحاجات
الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك وقوله
عن ندا يديك اي عطاء يديك الكريمتين وقوله انطواء اي
استتار واستغناء بل لا يقتضيها غير جاهك الواسع
فاغثنا اي بشفاعتك يا من هو الغوث اي للمكروبين والملجا
للمنقطعين وقوله والغيث اي المطر المربع للمضطرين المشبع
للجائعين فازل شكوانا وارفع لأوانا وقوله اذا اجهد اي اذا
ضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا على التلف فاللاواء شدة الحاجة
والجواد اي الاعظم الذي به اي بسببه تفرج الغمة عنا معشر
امتك وقوله وتكشف اللاواء بفتح اوله وضمه اي الاثم اي
عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفي نسخة به تفرج الكرب عنا

قد رجوناك للامور التي ابردها في فؤادنا رمضاء
واتينا اليك انضاء فقر حملتنا الى الغنى انضاء
وانطوت في الصدور حاجات نفس ما لها عن ندى يديك انطواء
فاغثنا يا من هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى اللاواء
والجواد الذي به تفرج الغمة عنا وتكشف اللاواء

وتكشف

يا رحيما بالمؤمنين اذا ما
ذهلت عن ابنائها الرحماء

يا شفيعا فى المذنبين اذا اشـ
ـفق من خوف ذنبه البرآء

جد لعاص وما سواى هو العا
صى ولكن تنكيرى استحياء

وتكشف الغماء وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الغم
الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها يا رحيما هذا نداء
يتضمن غاية الاستعطاف والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف
حرف العطف وقوله رحيما من الرحمة وهى رقة فى القلب تقتضى
التفضيل الذى هو غايتها والانعام وارادتهما وقوله اذا ما
ظرف لرحيما وما زائدة وقوله ذهلت اى غفلت وهذا مقتبس
من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة الآية وتقييد رحمته بالمؤمنين
بهذا الحين لا لاستغنائها فى غيره بل لانها فى هذا اليوم اظهر واعم لان الله
تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسؤدد والتقدم
على جميع الانبياء والمرسلين وبخصه بالشفاعة العظمى فى فصل
القضاء ما يعلم اهل جميع ذلك الموقف انه لا اقرب منه الى ربه وان
كل نسب ينقطع فى ذلك اليوم الا حسبه ونسبه يا شفيعا
من الشفاعة وهى السعى فى حال المشفوع فيه عند المشفوع له وقوله
فى المذنبين اى فى غفران ذنوبهم وكشف كربهم وقوله اذا اشفق
ظرف لشفيعا اى ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت
له المشقة الذلة والدهشة وقوله من خوف اى من اجل خوف
عقاب ذنبه وهذا الضمير عائد على البرآء المتقدم رتبة لكونه فاعلا
وافراده لكون البراء مرادا به الجنس وقوله البراء اى من الكبائر
اى الذين لا كبيرة لهم جمع برئ بوزن فتيل وذكرهم لان خوفهم من
الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه
وان كان الخوف من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون من
صغيرة بل صغائر ولا يخرج من ذلك الا المعصومون والمحفوظون
ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا جد اى يا من تحلى بكمال الرحمة
ونهاية الشفاعة وقوله لعاص اى اسرته الخطايا واحاطت به
البلايا ومقتضى الظاهر انه يقول جد لى اولنا لكنه ارتكب التجريد
او الالتفات وآثر التنكير لما يأتى ولم يعين ما يجود به عليه قصدا
لعموم المسؤل بان يجود عليه فى ذلك اليوم بايصال شفاعته اليه
كل مرغوب وصونه من كل مرهوب وقوله وما سواى ما نافية
اى وما غيرى هو العاصى ولكن تنكيرى اى تنكير نفسى واسمى الواقع

في قولي لعاصي وقوله استحياء اي منك ان اذكرك نفسي بلفظ
يدل عليها بخصوصها مواجهاً لك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه
وحمل الاستحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل هذا تقرير عبارته وفيها
مؤاخذة من وجهين احدهما الذي عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما
يفيد قصر المسند على المسند اليه نحو ان الله هو الرزاق اي لا رازق
سواه لكن في الفائق ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه
وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصي
دال على حصر العصيان في سواي كزيد هو القائم والمستفاد
من النفي اذا دخل على الجملة نفي ذلك الحصر بناء على المشهور ان النفي
يتوجه للقيد وح فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص
هو وغيره واذا اوهم اللفظ ذلك لم يصح قوله ولكن اي لانه اثبت على
احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصي
وحده الوجه الثاني ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء
ولئن افاده فشان السائل عدم الحياء لان المطلوب من السائل
ان يرفع حاجته مبيناً لنفسه حتى يعرف حاله فيستعطف عليه
فابهامه لنفسه غير لائق ولك ان تجيب عن الوجه الاول بان
من الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة وان ال في العاصي
للعهد الذهني فهي للجنس فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير
اخرى وح فزال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواي عاصياً
بل انا العاصي وحدي وعن الوجه الثاني لان السائلين اقسام منهم
من يغلب عليه الحياء والخجل فيبهم نفسه وتداركه اي ادركه
بالعناية منك له بان تمده بسوابغ كرمك وقوله ما دام له بالذال
معجمة مكسورة وهذا قسم متعلق بتداركه والاولى لم يظهر عن معنى
يليق بالسياق اي تداركه بحق حرمتك التي انعم الله بها عليك
فالذمام هو الحرمة وقوله ذماء بفتح الذال المعجمة اي تعلق
واصله بقية الروح في المذبوح اي ما دام فيه ادنى تعلق واستمساك
بك لانك اكرم الكرماء وعادة الكريم ان كل من تعلق به نجا من كل
ما يخاف آخرته اي ذلك العاصي وقوله الاعمال اي السيئة
التي ارتكبها وقوله والمال اي المال الفاني الذي امسكه عن صرفه

ما

في وجوه الخير اى من الاعمال الصالحة بالنسبة للصالحين والانفاق
في وجوه الخير بالنسبة للاغنياء او الذى جمعه من وجوه الشر
حتى اشتغل به قلبه وقوله عما قدم الصالحون جمع صالح وهو
المتمثل بحقوق الله وحقوق العباد وقوله والاغنياء هذا لف
ونشر مرتب لان الاول يرجع للاعمال والثانى للمال كل يوم
اعترف رحمه الله بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى
وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية نادما عليها لحديث الصحيح الندم
توبة فقال كل يوم اى وليلة ذنوبه صاعدات اى مع ملائكة الليل
والنهار الذين يرفعون اعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا لعظم
فضل الطائع وقبح فعل العاصى وقوله وعليها اى من اجلها
وقوله صعداء اى متواترة ممدودة من شدة من كرب الندم
وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع في ورطتها انه الف البطنة
الخ الف البطنة بالكسر اى ملأ بطنه من الطعام والشرب
وقوله المبطئة السير اى الى الله اى المعوقة عن الجهاد في رضاه
باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة وقوله بدار اى فيها
وهى الدنيا وقوله بها اى فيها البطان جمع بطين ككرام جمع كريم
وقوله بطاء جمع بطئ على وزن الجمع قبله اى متأخرون عن
الفائزين متخلفون عن السابقين فبكى ذنبه اى فبسبب
عصيانه بكى ذنبه وقوله بقسوة قلب اى مع قسوته وغلظته
المؤديين الى ان البكاء صورى لا حقيقى ومن ثم فانه
تلك القسوة الدمع عن ان يبرز منه شئ في عين ذلك الباكى وقوله
فالبكاء اى فبسبب هذا النهى انقلب البكاء عن حقيقته وهو
حزن يعترى القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف
المقلق ما يجرى الدمع وينتج الرجوع وصار ذلك البكاء كانه مكاء
بالتخفيف اى كالصفير اى التصفير بالفم بجامع ان كلا صوت
يجرى على اللسان ولم يتأثر به القلب وهذا تلميح لقوله تعالى وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية الآية وغدا اى صار
ذلك العاصى بعدما وقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا يفيد
لمزيد قسوة قلبه وقوله [illegible] والقضاء اى [illegible]

[illegible] وعليها [illegible]

الف البطنة المبطئة السير بدار بها البطان بطاء

فبكى ذنبه بقسوة قلب [illegible] الدمع فالبكاء مكاء

وغدا [illegible] العصيان [illegible] للمعاصى فيها بسوء القضاء

ويعتذر كان يقول قدر الله على هذا الامر ولا حول مني ولا قوة وقوله
ولا عذر اى والحال انه لا عذر لعاص يحتج به على الله حتى يسقط عنه
الاثم والمؤاخذة وقوله فيما يسوق القضاء اى من المعاصي
وذلك لان الله اجرى عادته الالهية بترتيب المسببات على اسبابها
ونسبة تلك المسببات الى المكلف نظرا للصورة واختياره فيها
وكونه متمكنا بحسب الظاهر من تركها او فعلها فيثاب ويعاقب
بهذا الاعتبار وان كان في نفس الامر مكرها لان الكل من الله سبحانه
وتعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فيجب على المكلف رعاية المقا
بان تسند الافعال الى فاعلها بحسب الصورة فيستحق المدح
او الذم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن التنصل
والتخلص منها هذا هو مذهب اهل السنة وبطل مذهب
القدرية والجبرية كما هو مقرر في محله فان قلت قوله ولا عذر
لعاص الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر في قصته مع موسى
لما اجتمع به في عالم الارواح او الاشباح فقال موسى انت ابونا
آدم الذي اخرجتنا من الجنة بخطيئتك فقال له الم تجد في التوراة
ان الله قدر ذلك علي اى كتبه في اللوح المحفوظ قبل ان اخلق
باربعين سنة ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم بعد ان
اخبر بهذه القصة فحج آدم موسى اى غلبه بالحجة قلت
لا ينافيه وذلك لان الاحتجاج بالقدر وان كان قبل الوقوع في
الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه
وقبل ان يستوفي منه مقتضاه من حد او تعزير ليمنع ذلك باحتجاجه
لم يجز ايضا وان كان لا يمنع ذلك بل ليمنع تعييره به ساغ له ذلك
كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى وقوله او ثبطته
اى حبسته في الدنيا عن الخلوص من التبعات وفي الآخرة عن مقام
الكرام وقوله من الذنوب حال مقدمة على صاحبها وهو ديون
اى ديون تراكمت عليه حال كونها ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه
في حقوق الله وحقوق عباده وقوله في اقتضائها اى طلبها منه
وانما شددت لان حقوق الآدميين مبنية على المشاحة والمضايقة
ما له حيلة اى طريق في التخلص من تلك الذنوب وقوله

الموثق اى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من
هو كذلك تحصر فى شيئين لا ثالث لهما فلذلك قال انما توسلى الى الله
فى خلاصه بما سبق له من عمل صالح او دعاء اى الله تعالى اى فى ان
يرضى عنه غرماءه   راجيا حال من عاص فى قوله جد لعاص اى مؤملا
املا قريبا وقوله ان تعود اعماله السوء اى ان تعود عليه متلبسة
بغفران الله له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب وقوله وهى هباء
اى والحال ان تلك الاعمال فى جنب الغفران من الله هباء اى مثله
فى انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخل عند
طلوعها او غروبها فى كوة اى طاقة   او ترى سيئاته حسنات اى
منه عليه باندراجه فى سلك الا من تاب وآمن وعمل صالحا الآية وقوله
فيقال اى فبسبب استحالة السيئات حسنات يقال عند رؤية ذلك
استحالت الصهباء اى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة
فشبهت السيئات بالصهباء التى هى الخمر على سبيل الاستعارة
التصريحية والاستحالة ترشيح   كل امر تعنى به على صورة المفعول
فهو بضم التاء او بفتحها مبنيا للفاعل اى تعتنى وتهتم وتلتفت اليه
انت يا رسول الله وقوله تقلب الاعيان جمع عين اى ذوات
الاشياء واجرامها بان تتحول عن صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى
تريدها وقوله وتعجب البصراء جمع بصير حسا ومعنى اى تتعجب
من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهدة بالابصار الذى لا يعارض
بجحود ولا انكار وشاهد ما وقع لك فى ذلك بالفعل فى قوله رب عين
الخ   رب عين هى هنا للتكثير كما قاله الجوجرى وقال بعضهم هى للتقليل
لان ذلك لم يثبت الا مرة واحدة فى بئر بدار النبى وقوله تفلت
اى بصقت فى مائها الملح الذى لا يساغ وقوله فاضحى اى ذلك الماء الملح
اى صار وتحول وقوله وهو الفرات جملة حالية ان كانت اضحى تامة
وخبرها ان كانت ناقصة على ما جوزه بعضهم من اقتران الخبر بالواو
وقوله الفرات بضم الفاء اى العذب السائغ للشاربين او كالفراة
اى النهر المسمى بهذا الاسم الذى هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة
وقوله الرواء اى الذى يحصل الرى الكامل بقليله لشاربه
آه اسم فعل مضارع كاواه واوه اى اتوجع توجع تحسر وتندم اى توجعى

راجيا ان تعود اعماله السوء بغفران الله وهى هباء
او ترى سيئاته حسنات فيقال استحالت الصهباء
كل امر تعنى به تقلب الاعيان فيه وتعجب البصراء
رب عين تفلت فى ماء ملح فاضحى وهو الفرات الرواء
آه مما جنيت ان كان يغنى الف آه من عظيم ذنب وآه

عظيم وتندمي زائد دائم وقوله مما جنيت اى من اجل ما جنيت
واقترفت من الذنوب وقبائح العيوب وقوله ان كان يغني ان
بمعنى اذ التعليلية على حد وخافون ان كنتم مؤمنين وذلك لان التوجع
يفيد الندم الوارد في الحديث انه توبة اى معظمها المتكفل بباقيها
وقوله من عظيم ذنب من اضافة الصفة للموصوف والمراد بالالف
والهاء مسماهما وهو آه اى مدلول مسماهما وهو التوجع المفيد للندم
المفيد للتوبة كما مر ويصح ان تكون ان على حالها من الشك لانا وان
سلمنا ان كلمة آه تفيد التوجع والتوبة لكن قبوله ظني لا قطعي
فصح الشك بهذا الاعتبار ارتجي الخ لما عرض بوقوع التوبة صرح
بها ليبين ان الاهتمام بها منع من الاكتفاء عنها بالتعريض
فقال ارتجي اى اؤمل من ربي لحسن ظني به عملا بما في الحديث القدسي
انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وقوله التوبة وهي الندم
على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع
الناس عليه فان ذلك الندم لا ينفع شيئا والاقلاع عن المعصية بترك
ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر ايضا وعزم ان
لا يعود اليها ما عاش من اجل الندم عليها لا لنحو قطع ذكره مثلا والخروج
عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك ذاته فورا وباداء ما عصى
باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما
انه متى قدر على الخروج منه خرج منه والتوبة ولو من الصغائر واجبة
اجماعا وتصح من ذنب دون ذنب وتصح ايضا وان سبقها توبة من ذلك
الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك وقوله النصوح اى التي لا يعود
من حصلت له الى الذنب ابدا لوقوعها خالصة عن كل شائبة من شوائب
الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر وقوله وفي القلب اى
والحال انى متلبس بما قد سيا فيها لان في القلب اى في قلبي نفاق من حيث
العمل بان يظهر خلاف ما يبطن لا من حيث الاعتقاد لان ذلك كفر
وقوله وفي اللسان اى وبقية الاركان رياء اى نظر الى الخلق باعتبار
ان ما يصدر من تلك الاركان او اللسان قد يكون فيه شوب نظر الى
طلب رفعة او ثناء من مخلوق ومع ذلك لا يترك التوبة ولا رجاء قبولها
ومتى يستقيم استفهام تعجبي واستقامة القلب بان لا يبقى فيه

نظر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نظر الى ما يحجبه عن الله من اهل او مال او جاه او غير ذلك بل نظره
انما هو لله وحده وقوله وللجسم اعوجاج اى والحال انى وصلت الى حالة
تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو
وتلك الحالة هى انه حصل للجسم اعوجاج من اجل كبرى بكسر الكاف وسكون
الباء اى كبر سنى وهو عطف من كبر بكسر الباء اى اسنّ وقوله وانحناء
اى للقامة وهو من عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء
كلها والانحناء مختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر و[illegible] استقامة
بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فاذنى وعظ
يؤثر فيه كنت اى انما اخرت التوبة الى هذا الزمن لانى كنت فى
نومة الشباب الذى تكثر فيه الغفلات وتولى على اهله الهفوات
فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق من
نومته الا بمحرك قوى وقوله فاستيقظت اى من تلك الغفلة
فى حال من الاحوال الا ولمتى اى والحال ان لمتى والمراد بها هنا اللحية
والا فاصل معناها شعر الرأس اذا لم يجاوز شحمة الاذن وقوله شمطاء
اى اختلط سوادها ببياضها وتماديت اى وحينئذ بلغت هذا
السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر وتماديت اى طلبت ان اقتفى اى
اتبع اثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب العلية وقوله فطالت
مسافة اى بينى وبينهم لبعدى لدرجات التى فازوا بها وقوله واقتفاء
اى لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها اوقاتهم فورا السائرين
اى فبسبب طول المسافة التى بينى وبينهم وراء خبر مقدم وقوله
السائرين اى السائرين ليلا من السرى وهو السير فى الليل وعدل
اليه عن ورائهم الذى هو مقتضى الظاهر لينبه على انهم استغرقوا
ليلهم بالعبادة وقوله وهو اى ذلك الوراء امامى جملة معترضة
بين الخبر المقدم والمبتدا المؤخر بالتصريح بما علم من قوله اقتفى وهو
انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم
موانع ايضا وقوله سبل مبتدا مؤخر اى طرق وقوله وعرة بفتح الواو
وسكون العين اى يعسر سلوكها لان اولئك القوم كلفوا انفسهم من الاعمال
ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرته على القيام بما قاموا به وقوله
عراء بفتح اوله اى فضاء واسعة حمد بكسر الميم ولكن القوم المدلجون

اى المتأخّرون من اوّل الليل الى آخره او اكثره والقياس حمدوا ايضا فعدل الى الظاهر ليتبيّن انهم على فرقتين منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كلّه او اكثره وهذا القسم الثانى افضل واكمل لانهم راوا ما يتجدّد به حمدهم مما لم يره من قبلهم وقوله غبّ اى عاقبة سراهم من الفوز برضى الله وقربه وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد السرى وقوله من تخلّف اى عنهم فى سيرهم وقوله الابطاء اى التانّى فى السير المفوّت لادراك منازلهم وفى ذكره ايماء الى غاية التحسّر والتألّم

رحلة لم يزل يعنّفنى الصيـ ... ـف اذا ما نويتها والشتاء

رحلة اى سيرهم الذى قطعوه رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات وقواطع البطالات وهذه الرحلة عزّ علىّ وتعسّرا اقتفيهم فيها لانى لم يزل يعنّفنى اى يكذّبنى الصيف وقوله اذا ما نويتها ما زائدة وقوله والشتاء اى يكذّبنى ايضا اى اذا جاء الشتاء انوى الى الصيف لانّ الشتاء يكثر فيه البرد والامطار فيعسر فيه السير واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتاء لانّ الاعمال تتيسّر فيه اكثر ومن ثمّ قال صلّى الله عليه وسلّم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وقال ايضا مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة امّا ليله فطويل للقائم وامّا نهاره فقصير للصائم وقال ايضا لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم الّا عند انسلاخ الشتاء

يتّقى حرّ وجهى الحرّ والبر ... د وقد عزّ من لظى الاتقاء

يتّقى حرّ وجهى بضمّ الحاء وتشديد الراء المضمومة وهو ما يبدو من الوجه وقوله الحرّ والبرد اى باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقّة العبادة فى الشتاء والصيف كما انّ ما فى البيت السابق كذلك وقوله وقد عزّ اى والحال انه قد عزّ اى صعب على من لظى اى جهنّم متعلّق بقوله الاتقاء لانى متلبّس بما يؤول بى اليها الّا ان يتغمّدنى الله برحمته

ضعفت ذرعا مما جنيت فيومى ... قمطرير وليلتى درعاء

ضعفت ذرعا بالمعجمة وقوله مما جنيت اى من اجل الذى جنيته او من اجل جنايتى فما موصولة او مصدرية ومعنى ضعفت ضعفت قوّتى وطاقتى عن ان احمل وزره اى وزر الذى جنيته ولم اجد من يخلّصنى من ثقله وقوله فيومى قمطرير اى شديد وقوله وليلتى درعاء

بالمهملة

بالمهملة اى مظلمة وهذا كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل الذرعاء
التى يطلع ثمرها صفدا الفجر ومراده ان ذلك المضيق ملازم له ليلا ونهارا
لا ينفك عنه فى واحد منهما وتذكرت اى ولكن خفف عنى انى
تذكرت رحمة الله اى سعتها التى دل عليها قوله تعالى ورحمتى وسعت
كل شئ وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث ان الله كتب كتابا فهو
عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى اى ان مظاهر رحمتى
غلبت مظاهر الغضب يعنى ان العباد المرحومين اكثر من المغضوب
عليهم وليس المراد ان الرحمة نفسها سابقة على الغضب لان ارادة
الله لا اسبقية فيها وقوله فالبشرى اى فبسبب ذلك البشرى اى الفرح
والسرور وهذا مبتدا خبره قوله تلقاء وقوله لوجهى متعلق بما اى
بالخبر وقوله انى انتحى اى فى اى مكان انتحى اى اقصد واتوجه اى
فالبشر مقابل لوجهى فى اى مكان توجهت اليه لانى مستشعر بسعة الرحمة
ومعول عليها فالحمد اى فبسبب تذكرى لما جنيت المقتضى لمزيد
الخوف وتذكرى لسعة الرحمة المقتضية لسعة الرجاء الخ اى اقام
الرجاء والخوف بالقلب فهما على حد سواء كما هو الراجح عند ائمتنا ان
الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب
الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف
لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا امنت
غلبة احدهما فلا محذور يختشى بخلاف غلبة احدهما فانه يختشى منها
المحذور الذى فى مقابله اما المريض فيغلب الرجاء لحديث لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اى يظن انه يغفر له ويرحمه وقوله
وللخوف والرجاء اى اذا تواردا على القلب اخفاء اى استقصاء
ومنازعة ومصادمة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء
شدة وحصر للنفس لا يطاق لان من لوازمه الكف عن كل محرم
ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لوازمه استحضار
سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله ويتجاوز
عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصى فى
مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد علمت ان الاولى للصحيح
ان يستوى عنده المقتضيان ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف

صاح لا تيأس وان ضعفت عن الطاعة واستأثرت بها الاقوياء

ان لله رحمة واحق الناس منه بالرحمة الضعفاء

فابق فى العرج عند منقلب الذود ففى العود تسبق العرجاء

المقتضى لليأس صاح الخ صاح اى يا صاحبى وفيه تجريد اذ الاصل
يا نفس تجرد منها شخصا وخاطبه وقوله لا تأس اى لا تيأس من رحمة
الله تعالى ايس من الشئ ويئس منه اذا لم يبق له طمع وقوله عن الطاعة
اى عن الاكثار منها وليس المراد عنها بالكلية لان تركها رأسا والاتكال
على عفو الله عز وجل او رأى ان ضعفت عن الدأب فى الطاعة والمواظبة عليها
لضعف همتك وغلبة بطالتها وايثارك الراحة وقوله واستأثرت
اى انفردت بها اى بكثرتها الاقوياء اى اهل الهمة والنشاط وقهر
النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها وصارت عندها
من الذ مألوفاتها واعظم مشتهياتها ان لله الخ وان كانت مكسوة
لكن فيها شائبة تعليل للنهى السابق وقوله رحمة اى عظيمة ادخرها
لبعض عباده تعم القوى والضعيف والشريف والوضيع وقوله
منه متعلق بقوله بالرحمة وقوله الضعفاء اى الذين لا يعولون
على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله
فى عباداتهم فهم اقوى نية فى العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت
لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء فابق فى العرج اى فبسبب
الاحقية المذكورة ابق ايها العاقل الضعيف عملا فى العرج اى فى
الضعفاء المشبهين بالعرج جمع اعرج وهو من برجله داء يمنعه
من استقامة المشى وقوله عند منقلب الذود اى توجهه بامر
صاحبه وارساله الى جهة من الجهات والذود جماعة الابل من الثلاث
الى العشرة وقوله ففى العود تسبق العرجاء اى الى صاحبها لتفوز
منه بمأمولها فتأخرها اوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير
من الطاعات اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من
الذل والافتقار والاخلاص ما يجلب تأخرك بخلاف المكثر فقد
يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف
ابن عطاء الله رب معصية اورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة
اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا
من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذى افاده
ان المعصية قد يصحبها وصف هو خير من الوصف الذى صحب الطاعة
فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا

لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا يتنزل على
هذا   لا تقل اى اذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة
والانكسار ولا تقل حاسدًا اى حال كونك حاسدًا الغيرك الذى اكثر من
الطاعة والمراد بالحسد هنا معنى حقيقته الشرعية وهى تمنى زوال نعمة
الغير اى لا تقل ماسيا اى حال كونك متمنيًا زوال نعمة التوفيق عنه
وقوله هذا اى القوى فى الطاعة وقوله اثمرت نخله اى كثرت
اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وقوله
ونخلى اى اعمالى عفاء بفتح العين اى كالتراب لا ثمرة لها بسبب ضعفى
ولا يعتد بها ووجه النهى فى النظم انك لو قلت ما ذكره مع الحسد
تعترض على الحكيم فى فعله وتخصيصه لكل ما اراد وخرج بقوله
حاسدًا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد الممدوح المسمى بالغبطة وهو ان
تتمنى ان يكون لك مثل ما للغير مع بقاء نعمه بحالها وهذا مطلوب
كما فى الحديث لا حسد الا فى اثنتين   وات اى واحذر ان تتكل
على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع العمل ومن ثم
قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد وات
بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وقوله فقد يسقط اى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة
مزيد اخلاص او انكسار كما انه قد يسقط الثمار الكثيرة النفيسة
الاتاء بفتح الهمزة والفوقية والمد وهو صغار النخل كما قاله الجوهرى
وهو قد يثمر ثمرًا كثيرًا جيدًا اذا اخلصت ارضه وزاد ريه وخصبه
ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك انت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى
السابق بما لم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه فتلخص ان الاتاء
بالكسر اسم لثمر النخل والشجر وقد تقدم بهذا المعنى آنفا وان الاتاء
بالفتح اسم لصغار النخل وهذا هو المراد هنا فسقط ما اطال به الشارح
ويحب النبى متعلق بقوله فابغ رضى الله اى اطلب رضى الله امتثالا
لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية وقوله ففى حبه اى من الله
المنعم بما لا يحصى وقوله والحباء بفتح الحاء والمد اى العطاء منه تعالى
لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز
بالمقامات العلية   يا نبى الهدى لو فى هذا رجوع لما سبق

لا تقل حاسدا لغيرك هذا اثمرت نخله ونخلى عفاء

وات بالمستطاع من عمل البر فقد يسقط الثمار الاتاء

ويحب النبى فابغ رضى الله ففى حبه الرضا والحباء

يا نبى الهدى استغاثة ملهوف اضرت بحاله الحوباء

من الضراعة واظهار المسكنة وقوله الهدى اى الدلالة الموصلة بالنسبة
لخصوص المؤمنين ومنه انك لا تهدى من احببت ومطلق الدلالة
بالنسبة لمطلق المكلفين ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم
وقوله استغاثة بالنصب مفعول مطلق اى استغثت بك استغاثة
اى ناديتك نداء فالاستغاثة نداء من يخلص من شدة او يخففها
وقوله ملهوف اى مضطر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه وقوله
الحوباء بفتح الحاء وسكون الواو والمد اى ممسكنة ذنوبه وضعف همته
يدعى الحب هذا فى المعنى تعليل لقوله اضرت بحاله الحوباء
اى يدعى الحب لله ولرسوله وقوله وهو يأمر بالسوء اى والحال انه
يصدر عنه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال يأمر نفسه وغيره
بالسوء اى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح
لمن تامل ولهذا اشار الى تمنيه ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال
ومن لى من استفهامية اى من الذى يتكفل لى وكان الظاهر ان
يقول له ففيه التفات من الغيبة الى التكلم وقوله ان تصدق الرغباء
اى رغبتى وعزيمتى فى الرجوع الى الله بالتوبة والعمل الصالح اى حتى
يصح منه فيه التفات من التكلم الى الغيبة وقوله وطرفى حال فيه التفات
عكس ما قبله وقوله للكرى اى النوم وقوله واصل اى متصل
لا ينفك عنه النوم وليس هذا شأن المحب وقوله وطيفك اى
خيالك راء اى محتجب عنى كما احتجبت الراء عن واصل بن عطاء الرجل
المشهور لانه هجرها فلم يتكلم بكلمة فيها راء قط لعجزه عنها بل يرادفها
او بمقاربها خشية ان يعير بلثغته بالراء فصار هجر الشئ المستمر تمثيلا
عندهم بهجر واصل للراء ففى النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى
اسم فاعل اى مواصل للكرى اى النوم اى مديم له وبالنظر للراء اسم
علم وتلميح لانه اشار الى قصة واصل وفيه الاستفهام الانكارى
اى كيف تصدق محبتى وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة
النوم لا تنافى المحبة لانها امر وجدانى فكيف توجد مع عدم خطور
خيال المحبوب بالضمير لا فى اليقظة ولا فى النوم وهذا ينافى المحبة
كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب عن خيال المحب
نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قد

يدعى الحب وهو يأمر بالسوء ومن لى ان تصدق الرغباء

اى حين يصح منه وطرفى للكرى واصل وطيفك راء

في ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك او لغيره فقال ليت شعري الخ
ليت شعري اى علمي اى ليتني علمت اذا ذاك اى عدم خطور طيفه بقلبي
وقوله من عظم ذنب اى من اجل عظم ذنب وقع مني وهو ظاهر
والعظم اكثر الشيء اى من اجل كثرة ذنب وقوله المتيمين اى المحبين
وقوله حظاء بضم الحاء وكسرها جمع حظوة كذلك وهي المكانة
والرتبة اى انصباؤهم الى المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من
غير كثرة عمل وبعضهم لا يحظى به الا بعد كثرة العمل ان يكن عظم
زلتي اى التي ارتكبتها وفي نسخة ذنبي وقوله حجب رؤياك خبر
يكن فيقدر مع اسمها مضاف ليصح الاخبار اى ان يكن جزاء عظم
ذنبي حجب رؤياك اى رؤيا طيفك عني في النوم وقوله فقد عز داء
قلبي اى لداء قلبي فداء منصوب على نزع الخافض وقوله الدواء
فاعل عز اى قل بل عدم الدواء الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد له شفاء
لانه لا يوجد الا من جنابك وهذا التردد في وجود المحبة انما هو لمزيد
الخوف وان الانسان لا يامن المؤاخذة بذنبه وان كان محبا لا لزوال
محبته بل هي باقية ورجاؤه في محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة
وثم كيف يصدى الخ كيف يصدى اى يسود بالذنب اى
بسبب الذنب الذي ارتكبه ذلك المحب وقوله وله اى والحال ان
له الخ وذكرك مبتدا والجميل نعت له وجلاء خبره وله متعلق بجلاء مقدم
عليه وقوله ذكرك مضاف للمفعول اى ذكره لك بالصلاة والتسليم
عليك وسؤال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه ويصح ان يكون مضافا
للفاعل اى وذكرك له وقوله جلاء اى للصدا والمراد انه يمنعه بالكلية
لان ذاكره صلى الله عليه وسلم لا يصدى قلبه هذه علتي لما غلبت
على ظنه ما اشار الى التردد فيه بقوله ان يكن الخ من ان سبب حجب
الرؤية عنه عظم ذنبه صرخ كما يصرخ من وجد اخذ ماله او قاتل ابيه
بعد يأسه منه فقال هذه علتي التي انحلت جسمي واد هشت قلبي لا غيرها
وقوله وانت اى والحال انك انت طبيبي العالم بها الماهر في ازالتها
وقوله ليس يخفى عليك الخ اى وانت لا احد من الخلق اكرم ولا اعلم منك
فعجل لي بدواء ذلك المحصل للشفاء من وصمة جميع ما هنالك فان
شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب ومن الفوز الخ

ليت شعري اذا الذي ... من عظيم ... ام حظوظ المتيمين حظاء
ان يكن عظم زلتي حجب رؤيا ك فقد عز لداء قلبي الدواء
كيف يصدا بالذنب قلب محب وله ذكرك الجميل جلاء
هذه علتي وانت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء
ومن الفوز ان ... اشكو اليك وهي ... هي

اى وانما رفعت اليك قصتي وشكوت اليك قلة حيلتي مما جنيت على نفسي لان من الفوز اى النجاة والظفر لمثلي بجميع المطلوب ان اث من بث وابث نشر واظهر وقوله شكوى هي الاخبار عن النفس او الغير بسوء فعله وقوله هي شكوى اليك اى لكن هذه انما هي شكوى مني لنفسي اليك لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك في ضمن مدح لك ما كاد ان يهلكني من عظيم ذنوبي وقبيح عيوبي رجاء ان تمحي بنظرة تزيل عني كل وصمه وتوجب لي منك كل رحمه لان رجائي فيك واسع وقوله وهي اى تلك الشكوى الواقعة في ضمن ذلك المدح اقتضاء اى اطلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الورطات وانجو من هذه العثرات وان يحصل لي الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب ضمنتها بالبناء للمفعول والهاء عائدة على الشكوى وقوله مدائح نائب الفاعل اى ضمنت تلك المدائح الشكوى اليك اى جعلت الشكوى في ضمن المدائح فقوله مدائح جمع مدحه اى لجنابك اى كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح وقوله مستطابا بالرفع صفة مدائح وقوله فيك منها اى من تلك الشكوى وهذان الظرفان متعلقان بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضية وقوله المديح اى لك وقوله والاصغاء اى من سامعيها اى سامعي تلك المدائح لان اوصافك زينتها ومن استطابة ذلك المدح ان الله يسره لي في هذه القصيدة البديعة ببركة التجائي اليك فلما حاولت اى تلك الشكوى هكذا قرره الشارح وفيه شيء لانه يقتضي ان الشكوى هي المقصودة بالذات مع انه فيما سبق جعلها مضمنة للمدح اى في ضمنه فالاولى ارجاع الضمير على القصيدة المعلومة من السياق ولواحق كلامه تدل على هذا ويكون الاسناد على هذا مجازيا وكذا يقال في قوله الآتي ساعدتها وقوله ميم ودال وحاء اى مسمى هذه الاسماء وهو مدح اى ما توقف على معنى فوجهت همتي الى احسن منه الآ وبدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرني وتساعدني عليه فتاتي قريحتي منه لما هو ابدع وابلغ وما في قول مصدرية فالمعنى قلت محاولتها مديحك في غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة

فيك منها المديح والاصغاء مستطابا

فلما حاولت مدحا فدالت ميم ودال وحاء

ساعدتها

اما فى تلك الحالة فانها لا تقل بل تكثر وعلى هذا يلزم وقوع الاستثناء المفرغ فى غير نفى او شبهه وهو النهى او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاة وح فيتعين تأويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وما نافية والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على ما اردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدنى مدحك على اكمل ما ينبغى ولاجل هذه المساعدة المسهلة على ما اردته من اعلا انواع البلاغة حق لى فيك الخ حق بفتح الحاء وضمها اى ثبت واستقر وقوله فيك اى فى مدحك وقوله قوما وهم الشعراء الذين مدحوك ومعنى اساجلهم افاخرهم واغالبهم فاقول ما صنعته خير مما صنعتموه وابين لهم ذلك حتى يذعنوا لى فيه وحينئذ افوز منك بابلغ ما فازوا به والمساجلة تنازع المستقيين على بئر بدلاء مختلفة ليريد كل منهم ان يظفر بملاء دلوه قبل غيره شبه بهم المادحون فى تنازعهم وادعاء كل ان مدحه خير من مدح غيره فهى استعارة بالكناية واثبات المساجلة تخييل والدلو ترشيح إن لى غيرة الخ هذا اشارة الى علة اخرى لتميزه عليهم وتسليمهم له والغيرة بالفتح اى حمية توجب لى ان لا احب غيرى يسبقنى فى مديحك وقوله وقد اى والحال انى قد زاحمتنى اى ضيقت على فى معانى الفاظ مديحك الشعراء واردوا ان يسبقونى فيه ولقلبى فيك الخ حال من الياء فى زاحمتنى وقوله فيك اى فى مدحك وقوله الغلو اى مجاوزة الحد وقوله وانى للسانى اى وانى يكون للسانى فى مدحك الغلواء اى الاسراع والتقدم عليهم لولا اسعافك وامدادك لى بما يميزنى عليهم وانى استفهامية بمعنى كيف او بمعنى من اين ويصح كسر ان اى وانى فالياء اسمها لكن الاول ابلغ واظهر فاثبت اى فبسبب صدق محبتى وشدة رغبتى اثبت خاطرا اى قلبا بان تمدح بما يتفوق به على مزاحميه ومسابقيه فانك اكرم من جازى محبيه واجود من جاد على مادحيه وانا اصدقهم محبة وابلغهم مدحة وقوله يلذ بفتح اللام اى يلذ له مدحك لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وقوله علما مفعول لاجله اى لاجل علمه بانه اى مدحك اللآلاء اى المضئ والمشرق

فى قلوب المادحين حتى تاتى فى مدحها بالمعانى البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لى فى هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه حاك من صنعة القريض حاك اى من تلك الامور التى تميز بها هذا النظم على غيره انه حاك اى نسج ذلك الخاطر وقوله القريض اى الشعر وقوله برودا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية فيه زينة وقوله لك متعلق بحاك وقوله لم يحك اى لم يشبه وقوله وشيها اى نقشها بالالوان المختلفة وقوله صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشى اعجز الدر اى ومن تلك الامور انه اعجز الدر اى اللؤلؤ الابيض وقوله نظم اى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذى يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه وقوله فيه اى فى العجز عنه وقوله اليدان اى القريحتان وقوله الصناع بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة وقوله والخرقاء اى الغبية فارضه اى فبسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره ارضه اى اقبله يا خير من امتدحه المادحون ورجاه العارفون وتجاوز عما فيه وقوله افصح منادى اى يا افصح امرئ نطق الضاد منصوب على نزع الخافض اى بالضاد اى يا افصح العرب وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان احسنوه لكنهم يتفاوتون فيه وكلهم لم يصل احد منهم الى الحد الذى كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه فى تاديتها وقوله فقامت اى فبسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر النطق بها على غير العرب وتعذر نهايته على غير النبى صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد قامت فاعله الظاء وقوله تغار منها جملة حالية وسبب الغيرة ان الضاد تميزت عليها بتلك المزية العلية فارادت الظاء ان تحصل لها مزية مثلها فلم تحصل فقامت تغار ابذكر الايات اى ان طلبى من كرمك يا اكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة

ليس

حاك من صنعة القريض برودا لك لم تحك وشيها صنعاء

اعجز الدر نظمه فاستوت فيه اليدان الصناع والخرقاء

فارضه افصح امرئ نطق الضاد فقامت تغار منه الظاء

ابذكر الايات اوفيك مدحا اين منى واين منها الوفاء

لیس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها فی مدحك بل للطمع
فی سعة حلمك وجودك وقوله ابذكر الآیات ای فی هذا النظم ای
لخصائص والمعجزات الدالة علی وصولك الی ما لم یصل الیه مخلوق
والاستفهام انكاری ای لا یمكن ذلك الا من احاط بمقامك وقوله
این منی ای این منی الوفاء بذلك والاستفهام ایضا انكاری وقوله
واین منها الوفاء ای بذلك فهو راجع لكل منهما   ام اماری
ای اجادل بهن ای بذكری لهن ای لتلك الآیات قوم نبی هو محمد
صلی الله علیه وسلم والمراد بقومه المادحون لجنابه ای لم اذكر تلك
الآیات بقصد ان اوفی بها حقه ولا بقصد ان اجادل بها مادحیه
ومن ظن بی واحدا منهما فهو غبی لا یفهم ولا یعقل شیئا وقوله
الاغبیاء ای لانهم لقلة فطنتهم یجاسرون علی الناس بما هم بریئون
منه   ولك الامة استئناف او معطوف علی محذوف ای لك
الآیات التی لا تحصی ولك الامة التی هی خیر الامم وقوله غبطتها
من الغبطة وهی تمنی مثل نعمة الغیر من غیر ذهابها عنه وقوله
لما اتیتها ای حین ارسلت الیها وقوله الانبیاء ای فانهم وان
كانوا من امتك لكنهم ودوا ان یكونوا من اتباعك الذین بعثت فیهم
لیفوزوا بغایة الفخر كما فاز بذلك امتك الذین بعثت فیهم فاطاعوك
وكان الظاهر ان یقول غبطتك بها الانبیاء لانهم تمنوا ان
یكون لهم امة مثل امته لكنه ارتكب احد انواع البدیع الذی
هو القلب فی النظم القلب وتقدیره غبطتك بها كما تقدم
        لم نخف بعدك الضلال ای عما تركتنا علیه من الشریعة
الواضحة البیضاء التی لا یزیغ عنها الا هالك وهذا علی نسخة نخف
بالنون وفی نسخة لم تخف ای الامة ویؤید الاولی قوله وفینا
ای والحال ان فینا اعلام الهدی وهم وارثو نور هدیك ای
ما كنت علیه انت واصحابك وقوله العلماء خبر مبتدا محذوف
ای علماء العقائد كابی الحسن الاشعری وابی منصور الماتریدی
وعلماء الفروع كالائمة الاربعة وعلماء التصوف كالغزالی
واضرابه   فانقضت ای فبسبب ان فی امتك وارثو هدیك
انقضت آی الانبیاء بالمد جمع آیة ای معجزاتهم لانتساخ شرائعهم

ام اماری بهن قوم نبی
ساء ما ظنه بی الاغبیاء

ولك الامة التی غبطتها
بك لما اتیتها الانبیاء

لم نخف بعدك الضلال وفینا
وارثو نور هدیك العلماء

فانقضت آی الانبیاء وآیا
تك فی الناس ما لهن انقضاء

بموتهم وآياتك اى معجزاتك فى الناس ما لهن انقضاء اذ فى كل حين
يقع لخواص امتك من خوارق العادات ما يدل على تعظيم قدرك الكريم
مما لا يحصى والكرامات منهم اى الواقعة منهم اى من الناس
وقوله معجزات اى لان كلا منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان
فى التحدى وعدمه لكنها فى الحقيقة معجزات لك وقوله من تراثك
اى ميراثك اى ورثوها منك وفى نسخة من نوالك اى عطائك
وكرمك وقوله الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله
ورسوله فلم يخرج عن امرهما ولا عن نهيهما او بمعنى مفعول لان
الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزايا هداه وكرمه وضابط
الولى انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصى المعرض
عن الانهماك فى اللذات والشهوات ان من معجزاتك هذا
تاكيد لقوله ما لهن انقضاء وقوله العجز اى من سائر الناس
وقوله عن وصفك مفرد مضاف فيعم للعموم اى عن الاحاطة بكل
فرد من اوصافك التى اختصك الله بها وقوله اذ لا يحده اى الوصف
المذكور واذ تعليلية وقوله الاحصاء اى العد كيف
يستوعب الكلام اى الصادر من واصفيك وقوله سجاياك
اى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة
اقصى الكمال التى لا حد لها باعتبار انك لا تزال تترقى فى مراتب القرب
فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى ما لا نهاية له وقوله
وهل تنزح البحار اى المشبهة اوصافك بها فى ان بتلك قيام الوجود
الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم روح الكون
والخليفة الاكبر عن الله فى امداده وقوله الركايا اى المشبهة بها
الالفاظ فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه
وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين
المرشح لهما بذكر النزح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول
الزمان الى آخره لا تعد ولا تحصى ليس من غاية من زائده
وقوله لوصفك اى لاوصافك وخبر ليس محذوف وفى تقديره توجد
او موجودة وقوله ابغيها اى اطلبها لما تقرر ان ذلك الترقى
لا نهاية له فلا مطمع فى الاطلاع عليه وقوله وللقول اى منى

بكل

والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الاولياء

ان من معجزاتك العجز عن وصفك اذ لا يحده الاحصاء

كيف يستوعب الكلام سجاياك وهل تنزح البحار الركايا

ليس من غاية لوصفك ابغيها وللقول غاية وانتهاء

انما فضلك الزمان وآيا
تك فيما نعده الآناء

لم اطل فى تعداد مدحك نطقى
ومرادى بذلك استقصاء

غير انى ظمآن وجد وما لى
بقليل من الورود ارتواء

فسلام عليك تترى من الله
وتبقى به لك البأواء

بل ومن كل مادح غاية وانتهاء من عطف المساوى فهو تاكيد
انما فضلك اى انما فضائلك الزمان اى كالزمان فالكلام على حذف
ادات التشبيه وهذا التشبيه من حيث الاجمال فى كل من المشبه
والمشبه به واشار الى تشبيه آخر من حيث التفصيل فيهما بقوله وآياتك
الآناء من حيث ان جزئيات كل منهما كجزئيات الآخر فى عدم احصاء
كل فقوله وآياتك اى معجزاتك وخصائصك وقوله فيما نعده
اى فيما نحسبه ونضبطه وقوله الآناء اى كالآناء اى كالازمان
والساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك والآناء بالمد
جمع انا كمعا وامعاء ومعناه الساعة والوقت كما عرفت ويقال فيه
ايضا آن بمد الهمزة لم اطل الخ اى لا تظن انى باطالتى فى هذه
القصيدة تعدادا اوصافه صلى الله عليه وسلم اخالف ما قد قدمته انها
لا تعد لانى لم اطل الخ وقوله ومرادى الخ والحال ان مرادى بذلك
استقصاء اى حصر لاوصافه واستيعاب لها وانما مرادى بتلك
الاطالة برد الغليل وشفاء العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة
الاستثناء الذى هو منقطع فقوله غير انى الخ غير انى الخ اى غير
انى لم ارد الحصر والاستيعاب لكنى ظمآن وجدا اى بى من شدة شوقى
لسماع تلك الاوصاف غاية الظمأ والعطش للارتواء من سماعها وقوله
ومالى بقليل اى وليس يحصل لى بقليل من الورود الورود اتيان الماء
للاستقاء والمراد هنا نفس الماء الذى يورد اى وليس لى ارتواء بقليل
من اجل ما بى من شدة العطش فاطالتى لطلب مزيد الارتواء
لا لطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة من حيث
تشبيه شغفه وتولهه بتعداد الايات وذكر الصفات بظمأ وعطش
شديد لا يزيله الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء
فسلام اى فبسبب حصول الارتواء من تلك الاطالة اختم
بما هو المتعين على من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله
تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول سلام اى عظيم شريف اى زيادة
تكريم وطيب تحية واعظام وقوله تترى اى يتكرر ويتبع بعضه
بعضا دائما وفى القاموس تترى يترى كرمى يرمى تراخى واتى على
اعمالا متواترة بين كل عملين فترة اه وقد يشكل على استعمال الناظم

اى بايجاده وامداده وقوله الاشياء اى الموجودات فى الدنيا
والآخرة واتيدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار لما مر وللتبرك
بذكر المتعبدين آخر كلامه وبالثانى الذى لا ينقطع بدوام نعيم الجنة
وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثانى مع الاشارة بالختم
بذكر الرب الى استفتاح ابواب تربيته واستمناح موانح لطفه وهدايته
جعلنا الله ممن حقق له حقائق قربه وامداده واسعافه وامنا من كل
فتنة ومحنه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وصلى الله وسلم وبارك
على افضل خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه عدد معلوماتك ومداد
كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره
الغافلون ورضى الله عن التابعين ومن تابعهم باحسان الى يوم
الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ووافق
الفراغ من جمع هذه الحواشى قبيل العصر يوم الخميس السابع والعشرين
من شهر رمضان سنة الف ومائة وثمانية وثمانين تجاه القطب
البدوى امدنا الله تعالى من مدده واعاد علينا من نفحاته وعلى المسلمين اجمعين آمين

وقد تم طبعها وكمل وضعها بمحروسة مصر القاهره بمطبعة الحجر النيرة الفاخره
لا زالت بكتب العلوم ممدوده وعاقبة من فيها بحول الله محموده على يد
ملتزميها الكرام مولانا الشيخ محمود الجزائرى مفتى روضة البحرين الهمام
والشيخ محمد شاهين الدمشقى والسيد درويش عفره الدمشقى
منحهم الله بامداده واعاد عليهم من اسعاده آمين
وذلك فى غرة شهر محرم الحرام الذى هو افتتاح شهور سنة ١٢٧٤
من هجرة سيد الانام وخاتم الرسل الكرام عليه وعليهم
افضل الصلاة والسلام على ممر الليالى والايام
وكان الكاتب لها الراجى من مولاه
غفران المساوى احمد بن الحاج اسمعيل
الشامى المشتهر بالفجاوى
غفر الله له ولوالديه
واحسن اليهما
واليه آمين